

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الشريعة

قسم أصول الدين

رسالة دكتوراه بعنوان :

عرف القرآن الكريم والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في

الترجيح الدلالي.

(دراسة تأصيلية تطبيقية)

**Quranic Convention And Effect On Denotative
Probability
(An Authenticating Applied Study)**

إعداد الطالب:

أحمد فالح محمود الخالدي

٢٠٠٣٢٥٠٠٠٣

المشرف على الرسالة :

الأستاذ الدكتور محمد الشافعي

أستاذ التفسير و علوم القرآن/ كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية في جامعة

اليرموك

المشرف المشارك :

الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف الخرابشة

أستاذ أصول الفقه /كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التفسير و

علوم القرآن

٢٠٠٨/٢٠٠٧

رسالة دكتوراه بعنوان :
عرف القرآن الكريم والمعهود من معانيه واستعمالاته وأثره في الترجيم
الدلالي .

(دراسة تأصيلية تطبيقية)

إعداد الطالب :

أحمد فالح محمود الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في
تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك اربد - الأردن .

وافق عليها

أ.د : محمد إبراهيم الشافعي رئيساً ومشرفاً .
أ.د : عبد الرؤوف الخرابشة مشرفاً مشاركاً .
أ.د : ياسر الشمالي عضواً .
أ.د : عبد الجواد خلف عضواً .
د : عبد الرزاق أبو البصل عضواً .
د : عبد الجليل ضمهره عضواً .

نوقشت بتاريخ

٢٠٠٨ / ٦ / ٢٢

الإهداء

هذه باكورة قلّمي أهدّيها إلى أناس عن قرب عرفتهم،
فوجدتهم ممن أكرمهم الله تعالى بالنبل والشهامة وحب الخير،
يحبون العلم الشرعي وأهله ، أهل صنائع المعروف ، لهم من الله
تعالى الأجر والثواب ثم لهم مني كل إكبار وتقدير .
لهم أهدي هذا الكتاب وهم :-

- ١- السيد (أبو سلطان) محمد عبداللطيف العرايشي
- ٢- السيد (أبو يوسف) سلطان محمد العرايشي
- ٣- السيد (أبو جمال) محمد مفلح الطوباسي
- ٤- السيد (أبو محمد) علي عبد الرحيم علي ارحيم المشهور
بالفران

- ٥- السيد (أبو إبراهيم) محمد المغربي
- ٦- السيد (أبو إبراهيم) عوض شريف مصطفى
- ٧- السيد (أبو بكر) رافع صقر
- ٨- السيد (أبو مؤمن) أيمن بحراوي
- ٩- السيد فادي الحايك
- ١٠- السيد جمال العرايشي

والى السيدتين الفاضلتين :

- ١- السيدة (أم هزاع) سبتة درويش .
- ٢- السيدة (أم سلطان) حمدة قريناوي .

(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

الشكر الأول والأخير لله تعالى الذي أعانني على إتمام الموضوع ووفقتي فيه، إذ
لولا توفيقه وإعانه لما فعلت شيئاً.

ثم الشكر والتقدير للوالدين الكريمين اللذين أعاناني وسعيا في تعليمي وبدلاً
جهدهما في ذلك بكل وسيلة وخاصة بالدعاء الخالص. فجزاهما الله عني أحسن الجزاء.
وأوفى، ورفع درجتهما وأحسن عاقبتهما في الأولى والآخرة، وأعانني على برهما.

كما أجد نفسي عاجزاً عن الشكر والتقدير لفضيلة الشيخين الجليلين العلامة
الأساذ الدكتور: محمد الشافعي المشرف على هذه الرسالة، والعلامة الأساذ الدكتور
عبد الرؤوف الخرايشة المشرف المشارك، واللذان بدلاً جهدهما ووقتهما في توجيهي
وإرشادي طيلة اشتغالي بالرسالة، مع ما كانا ينحليا به من الخلق الفاضل، والكلام
الطيب، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأوفى.

وكذلك جزى الله الخير جميع أعضاء هيئة المناقشة لقبولهم التكرم بمناقشة الرسالة
وهو الأساذ الدكتور عبد الجواد خلف، والأساذ الدكتور ياسر الشمالي والأساذ الدكتور
عبد الرزاق أبو البصل والأساذ الدكتور عبد الجليل ضمرة.

كما أقدم الشكر لجميع أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية في جامعة اليرموك على ما تعلمت منهم من علم واقتبست منهم من فضل،
وأخص بالذكر الشيخين الفاضلين العلامة الأساذ الدكتور فضل حسن عباس والعلامة

¹ هذه العبارة حديث شريف أخرجه أحمد في مسنده وقال شعيب الامرنأوط: [إسناده صحيح، مؤسسة قرطبة،
التأخرية ج ٢ ص ٢٥٨ رقم ٧٤٩٥ والترمذي في سننه الجامع الصحيح وقال: حديث حسن صحيح] تحقيق أحمد شاكر
وأخر من دار إحياء التراث العربي بيروت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ج ٤ ص ٣٣٩.

الأساذ الذكورا إبراهاىر خلفة لما كان لهما الدور الأكر فى تعلفى فى هذة المرحلة
من الدراسة .

وشكرى وقدرى لزوجنى؁ لصبرها وطملها وبذلها ما تستطيعان من
عون ومساعدة خلال فترة انشغالى بالرسالة .

والشكر موصول لكل من أعاننى على هذا البحث برأى سديد؁ وقول مرشيد؁
أو إعارة كتاب؁ أو دعاء بظهر الغيب؁ أو نحو ذلك . وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك فى
میزان حسناته يوم الدين؁ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
وأخص ممن أعاننى إخوانى الطلاب فى نفس القسم؁ وأصدقائى من طلاب العلم خارج
الجامعة الذين لم يدخلوا على فى ما يشرى البحث ويدعمه .

وأرجو من الله إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك - القرآن الكريم - أن
يجعلنا مباركین أينما كنا؁ وأن يبارك لنا وعلینا؁؁ وأن يعمر ذلك جمع إخواننا المسلمين .
والله تعالى أعلم؁ فما كان فى هذا البحث من إجادة وإتقان وإحسان فمن فضل
الله تعالى وكرمه وتوفيقه؁ وما كان من نقص وخلل وخطأ فمن نفسى والشيطان
وأسأل الله تعالى العفو والغفران .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة .
	(١) القسم الأول : الدراسة النظرية الفصل الأول: التعريف بعرف القرآن الكريم و ضوابط معرفته
١٤	المبحث الأول: التعريف بعرف القرآن الكريم
١٤	المطلب الأول : العرف في اللغة
١٧	المطلب الثاني: العرف في الاصطلاح
٢٩	المطلب الثالث: عرف القرآن الكريم في الاصطلاح
٤١	المبحث الثاني: ضوابط معرفة العرف القرآني
	الفصل الثاني:
	(٢) طريقة استخراج العرف القرآني و الاصطلاحات الدالة عليه في كتب التفسير.
٤٦	المبحث الأول: طريقة استخراج عرف القرآن
٥٥	المبحث الثاني: الاصطلاحات الدالة على عرف القرآن في كتب التفسير
	الفصل الثالث:
	(٣) أثر الدلالة العرفية في تفسير النصوص و ثمرات العرف القرآني في تفسير القرآن الكريم.
٧٦	المبحث الأول : أثر الدلالة العرفية في تفسير النصوص
٧٨	المبحث الثاني: ثمرات العرف القرآني في تفسير القرآن الكريم
	القسم الثاني: الدراسة التطبيقية.
	الفصل الأول: عرف القرآن في استعمال الألفاظ.
١٠٨	المبحث الأول: الألفاظ التي ورد فيها عرف قرآني

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٠٨	المطلب الأول: ألفاظ مفردة ومركبة فيها عرف قرآني
١٠٨	أ(ف)-رأيتم
١٠٩	أهل الكتاب
١١١	التأويل
١١٤	تقييد الخلود في النار بالتأبيد
١١٤	التكذيب
١١٦	الختم على القلب
١١٧	خسر
١١٨	خليفة
١١٩	خوض
١٢١	الذين آمنوا
١٢٢	الرزق الكريم
١٢٣	الزعم
١٢٥	الزكاة
١٢٦	سبيل الله
١٢٩	السعي
١٣١	الشرك
١٣٢	شَطَرَ
١٣٣	الضلال البعيد
١٣٤	الظلم إذا لم يعد إلى مفعول
١٣٥	عبادي
١٣٦	عبده
١٣٨	العذاب المهين
١٤٠	عسى المقيدة بلفظ الجلالة
١٤١	الفؤاد
١٤٣	القرض الحسن
١٤٥	القول المقرون بالأفواه والألسنة

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٤٦	الكأس
١٤٨	الكفار
١٤٨	الكفر
١٥١	كفور
١٥٢	لا يفلح
١٥٣	لا ينبغي
١٥٤	ما لهم في الأرض من ولي ولا نصير
١٥٥	ما يكون لك ، ما يكون لنا
١٥٦	المجرم
١٥٧	المسجد الحرام
١٥٨	مشيئة الله
١٥٩	الناس و يا أيها الناس
١٦١	النجوم
١٦٤	هؤلاء
١٦٦	الورود
١٦٩	الوعظ
١٧٠	اليتيم
١٧١	المطلب الثاني : عرف القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ المترادفة .
١٧٥	الإعطاء والإيتاء
١٧٧	أنا ونحن
١٧٩	التمام والكمال
١٨٢	جاء ، وأتى
١٨٧	الجسم و الجسد
١٨٨	حضر الموت وجاء الموت
١٩٠	الحلف والقسم
١٩٢	الحمد والشكر
١٩٣	الخشية والخوف

الصفحة	الموضوع
١٩٥	خلق وجعل
١٩٦	الرؤيا و الحلم
١٩٨	زوج و امرأة
٢٠١	السبيل والطريق
٢٠٢	السنة والعام
٢٠٥	الصنم والوثن
٢٠٦	عرف و عِلْم
٢٠٨	عقاب وعذاب
٢٠٩	عمل وفعل
٢١١	الغلبة والنصر
٢١٢	القعود والجلوس
٢١٣	الكتاب والسفر
٢١٤	المطر و الغيث
٢١٦	مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات
٢١٩	النبا والخبر
٢٢٠	النكاح والزواج
٢٢١	النور والضياء
٢٢١	الوالدان والأبوان
٢٢٦	المطلب الثالث: عرف القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ ذات الجذر الواحد.
٢٢٦	أتينا وأوتوا
٢٢٧	الأخوة والأخوان
٢٣٠	أشداء وشداء
٢٣٠	الأمن و الأمانة
٢٣٢	الإنس و الإنسان
٢٣٣	أوصى ، ووصى
٢٣٤	الثواب والتثويب

الصفحة	الموضوع
٢٣٥	الخَبَرُ والخُبْرُ
٢٣٦	الخطف والتخطف
٢٣٧	الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
٢٤٢	الرشاد ورشدا
٢٤٣	الريح والرياح
٢٤٥	سقى وأسقى
٢٤٦	شرى واشترى
٢٤٧	الشبهة والأشباع
٢٤٩	ظلم و ظلام
٢٥٠	عبيد و عباد
٢٥٤	عزاً و عزّة
٢٥٤	العيون و الأعين
٢٥٦	الكره و الكره
٢٥٨	اللاتي واللاتي
٢٥٩	ميتٌ (بالتشديد) وميتٌ (بالسكون على الياء
٢٦٠	النعمة و النعيم
٢٦١	النقمة و الانتقام
٢٦٣	يشاق و يشاقق
٢٦٤	المطلب الرابع: عرف القرآن في اختلاف معاني الألفاظ بالاقتران والتجريد.
٢٧٢	المبحث الثاني: ﴿؟﴾ ما ادعي ان فيه عرفاً قرآنياً من الألفاظ وليس كذلك
٢٧٢	المطلب الأول: تعميمات من باب الاستعمال اللغوي ولم تحقق شرط الاختصاص القرآني.
٢٧٢	أو كذا أو كذا
٢٧٤	البخس
٢٧٦	جثيا
٢٧٧	الرجز والرجس
٢٧٨	الريب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٧٩	السكينة
٢٨٠	القلوب
٢٨١	الكنز
٢٨٢	هوى
٢٨٤	المطلب الثاني: تعميمات حكيت كلية وهي من باب الوجوه والنظائر.
٢٨٤	الأجر
٢٨٥	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٨٦	الأسف
٢٨٨	الإفك
٢٩٠	البروج
٢٩٢	البعل
٢٩٣	البكم
٢٩٥	التزكي
٢٩٥	التسبيح
٢٩٨	حسبان
٢٩٩	حفظ الفروج
٣٠٠	الخير
٣٠٢	الدحض
٣٠٣	الرجم
٣٠٤	الزور
٣٠٥	السخر
٣٠٦	السلطان
٣٠٨	الظلمات والنور
٣٠٩	ظن
٣١٢	الفحشاء
٣١٢	الفرح
٣١٥	يقدر

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: تعميمات ظاهرها العرف القرآني ولم تحقق شرط الاطراد أو الغالبية.	٣١٦
بساطا	٣١٧
رحيق.	٣١٧
الريحان	٣١٧
السياحة	٣١٨
مانعا	٣٢٠
يعمل على شاكلته	٣٢٠
الفصل الثاني: عرف القرآن الكريم في استعمال الأساليب	
المبحث الأول: عرف القرآن الكريم في تقديم الألفاظ وتأخيرها	٣٢٢
المبحث الثاني : عرف القرآن الكريم في جمع الألفاظ وأفرادها	٣٤٥
المبحث الثالث: عرف القرآن في اقتران الألفاظ	٣٤٩
المبحث الرابع: عرف القرآن الكريم في تذكير الألفاظ وتأنيثها	٣٦١
المبحث الخامس: عرف القرآن الكريم في العطف	٣٦٤
المبحث السادس: عرف القرآن الكريم في الإيجاز	٣٧٣
المبحث السابع: عرف القرآن الكريم في الإطناب	٣٨٦
المبحث الثامن: عرف القرآن الكريم في استعمال الأفعال والأسماء	٤٠٥
المبحث التاسع: عرف القرآن الكريم في أسلوب الوعظ	٤١٦
المبحث العاشر: عرف القرآن الكريم في تناول القصص	٤٣١
المبحث الحادي عشر : عرف القرآن الكريم في عرض الأحكام الفقهية	٣٤٤
المبحث الثاني عشر : عرف القرآن الكريم في تناول العلوم الكونية	٣٦٢
المبحث الثالث عشر: عرف القرآن الكريم في الجدل والمنظرة وطسرق الاستدلال	٣٦٨
المبحث الرابع عشر : عرف القرآن الكريم في أساليب الخطاب	٣٧٨
المبحث الخامس عشر: عادات قرآنية متفرقة	٣٩٦

الصفحة	الموضوع
٥٠٨	الفصل الثالث: اثر عرف القرآن في الترجيح بين أقوال المفسرين الترجيح في الآيات
٥٦١	الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة
٥٦٥	التوصيات.
٥٦٦	فهرس المصادر والمراجع
٥٩١	الملخص باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

القرآن الكريم وإن كان نزل بلسان عربي مبين ، ولا يخرج عن الاستعمال اللغوي لكنه خرج بنوع تخصيص أو تقييد أو ابتكار وإبداع في مجال استعمال الألفاظ واستعمال أساليب الخطاب ، فقد تنوعت عادات القرآن الكريم تنوعا كثيرا في مجال الألفاظ وفي مجال الأساليب ، فللقرآن إبداعات متنوعة في مجال الألفاظ جرت بها عاداته ولم تعهد من جهة اللغة فبعضها في التفريق في الاستعمال بين الألفاظ ذات الجذر الواحد وبعضها في التفريق بين المترادفات في اللغة وبعضها في استعمال اللفظ على جهة خاصة كاستعماله في سياق الكلام عن أمور الآخرة أو أمور الدنيا أو في سياق المدح أو الذم أو استعمال اللفظ في شأن طائفة مخصوصة أو تنوع معاني اللفظ في الإطلاق والتقييد أو الاقتران والتجريد وغير ذلك من عادات القرآن في استعمال الألفاظ .

أما في مجال الأساليب فقد عُرف عن القرآن الكريم عادات في استعمال الأساليب لم تعهد عن العرب كعادات القرآن في استعمال الأسلوب القصصي وعاداته في الوعظ من استغلال فرص الوعظ إثناء الكلام والتفنن في الأساليب مخافة سامة السامع والجمع بين الترغيب والترهيب وعاداته في أن يقرن بين الأضداد أو بين المتشابهات والمتناسبات وعاداته في النداء وفي الدعاء وفي القسم وفي التذكير والتأنيث واستعمال صيغ الأسماء والأفعال وغير ذلك من الأساليب المتنوعة التي جرت بها عادة القرآن وعُرفت عنه التي ظهرت في الدراسة .

وهذا البحث محاولة جادة للكشف عن هذه الجوانب ، وقد تم تقسيم البحث إلى

قسمين :

القسم الأول : القسم النظري للبحث :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: التعريف بعرف القرآن الكريم و ضوابط معرفته

الفصل الثاني: طريقة استخراج العرف القرآني و الاصطلاحات الدالة عليه في كتب

التفسير.

الفصل الثالث: أثر الدلالة العرفية في تفسير النصوص و ثمرات العرف القرآني في

تفسير القرآن الكريم.

القسم الثاني : القسم التطبيقي للبحث :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: عرف القرآن في استعمال الألفاظ.

الفصل الثاني: عرف القرآن الكريم في استعمال الأساليب

الفصل الثالث: أثر عرف القرآن في الترجيح بين أقوال المفسرين

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) سورة آل عمران. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) سورة النساء. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) سورة الأحزاب

أما بعد:

فالقرآن الكريم كلام الله، أكرم الله بنزوله الخلق عموماً والمسلمين على الخصوص ، أكرمهم حيث وهبهم هذا الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)). [إبراهيم: ١] هدى الله به البشرية إلى أقوم المناهج والطرق في كل حياتهم، حتى في نواحي تفكيرهم وطرق معيشتهم، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)). [الإسراء]، ولقد كان فضل الله على

الناس كبيراً بالقرآن العظيم حيث نقل البشرية حضيض الجاهلية إلى آفاق العلم والأخلاق والآداب. وقاد أمة بعيدة عن الحضارة نحو نظام إلهي رفيع، وعدل وشيع، وأعاد إليهم شخصيتهم وبلغ بهم ذروة العلم والكمال في فترة وجيزة. والقرآن الكريم وإن كان كتاب هداية بالدرجة الأولى فإن الله تعالى جعله معجزة باهرة وحجة قائمة وقد استودع الله فيه من العلوم والأسرار ما لا يعلمه إلا الذي أنزله، فنهل منه العلماء في كل عصر ومصر، وما زال معينا لا يعرف النضوب. ولقد رأينا المؤلفات في بيان هدايته وعلومه. وخير دليل على ذلك كتب التفسير وأسفار التأويل التي لا تحصى أسماؤها فضلا عن كلماتها. وكيف لا يكون ذلك والقرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفضله على الكلام كفضل الله على خلقه. لا يمله من تلاه ولا يشبع منه من تدبره، كلماته وجمله وآياته وسوره أحكمت من لدن حكيم حميد، خبير لا يغيب عن علمه شيء.

ثم إنني بعد تطلعي إلى كتابة الرسالة العلمية استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه وقع اختياري على موضوع مهم في تفسير القرآن الكريم ألا وهو دراسة عُرِف القرآن الكريم، والذي يعني بصورة أولية ومختصرة: طريقة القرآن في استعمال الألفاظ والأساليب، ذلك أن كل متكلم له عادات في كلامه. ومعرفة عادات المتكلم في كلامه لها الدور الأكبر في معرفة معاني ألفاظه وكلامه .

ولعل هذا البحث أن يكون الخطوة الأولى واللبنة الأساس لدراسة هذا اللون من التفسير، كونه لم يدرس الدراسة العلمية الكافية، وإن أشار العلماء إلى أهميته خاصة في مقدمات التفاسير كما فعل ابن عاشور والشنقيطي وغيرهم.

لذا أسأل الله تعالى أن يوفقني لما شرعت فيه، هو ولي ذلك ومولاه.

أولاً: أهمية البحث في هذا الموضوع وذكر أهدافه:

أهمية البحث في هذا الموضوع

١- يعتبر هذا الموضوع غاية في الأهمية في الدراسات القرآنية واللغوية أيضاً، نظراً

للمباحث الهامة المتعلقة به، ويكفي لبيان أهمية العناية به والبحث فيه أن ننبه

على العناصر التالية:

٢- قيمة هذا النوع من التفسير.

٣- فقد أجمع السلف والخلف على أن أصح طرق التفسير وأجلها تفسير

القرآن بالقرآن، والتفسير بعُرف القرآن الكريم نوع من أهم انواع

تفسير القرآن بالقرآن.

٤. انعدام تصنيف نظري مستقل جامع لمباحث هذا الفن وقواعده.

فلم يشتهر بين مصنفاتهم الكثيرة في مجال التفسير على تعددها، وتنوع مطالبها،

ومناهجها، مصنف بالشكل الذي ذكرناه. وحسب جهودي المتواضعة في تتبع هذا الفن

وتطوره، لم أقف على شيء ينسب إليهم مما ذكرت.

٣. تفرق عناصر هذا الفن في مصنفات ومباحث متنوعة لا تحمل عنوانه.

إن ما يلاحظه المتتبع لهذا اللون من التفسير في مصنفات القدماء والمحدثين أن

عناصره ومباحثه تفرقت وانتثرت في مصنفات ومباحث لا تحمل عنوان عُرف القرآن أو

عاداته، بل واختلطت في أغلب هذه المصنفات بغيرها من المواد والعلوم. بحيث يجد

المهتم بهذا اللون من التفسير ومباحثه وقواعده، مشقة كبيرة؛ أولاً: في الاهتداء إلى

مطائنه، وثانياً: في الظفر بما يريده من هذه المطان.

٤. الشعور بحاجة الموضوع إلى دراسة عميقة.

فهذا اللون من ألوان التفسير لم يلق العناية الكافية من الباحثين مع ما فيه من فوائد جمة، ومساحة واسعة من البحث الجاد. وهذا الموضوع يحتاج إلى التأصيل العلمي المحكم الذي يظهر معالم هذا العلم وضوابطه وأثره على التفسير والترجيح وبيان فوائده. وهذا ما سنعتني به هذه الدراسة.

وأما أهداف البحث فتتمثل فيما يلي:

٠١ تجلية العُرف القرآني بتعريفه، وبيان طرق معرفته واستخراجه، وبيان ثمرات دراسته، وبيان عناية السلف والمفسرين به.

٠٢ جمع ما أمكن من تطبيقاته المنثورة في كتب التفسير لتجتمع في مكان واحد فمادة البحث منثورة في بطون الكتب وغير مجتمعة يصعب على المتتبع لهذا العلم الانتباه لمواضعه والوقوف عليه. وهذا البحث يجمع متفرقاتها ويلم أطرافها لتجتمع في مكان واحد ثم يتناولها بقلم البحث والنقد والتمحيص لتعطي صورة متكاملة عن هذا الموضوع المهم في التفسير والترجيح. خاصة وأن هذه الظاهرة التفسيرية قد تخفى على بعض المتخصصين في مجال التفسير، نظرا لندرة الكتابة في هذا الباب كدراسة مستقلة تأصيلية تطبيقية

٠٣ بيان أثر العُرف في التفسير والترجيح.

٠٤ هذا البحث يناقش كثيرا من تعميمات المفسرين التي ينقصها التحقيق العلمي، بقصد دراستها دراسة علمية تعتمد الدليل المعتبر عند أهل النظر والتحقيق، ولا يفهم من هذا أنني أستدرك شيئا فات من سبق، بل هي محاولة لتسليط الضوء عليها لتأخذ نصيبها من البحث والتمحيص، فالحكمة ضالة المؤمن فأني وجدها فهو أحق بها.

ثانيا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمتابعة لم أجد رسائل علمية أو أبحاثا أو كتباً مستقلة تعالج موضوع هذه الدراسة. ولكن هذا النوع من العلوم القرآنية ليس بدعا من القول، بل ان هذا العلم مشار إليه في كتب التفسير وله تطبيقات متناثرة وكثيرة فيها. ولقد استفدت من التفسير التي عنيت بهذا النوع من المعارف مثل: مثل جامع البيان للطبري، والكشاف للزمخشري. وروح المعاني للألوسي. وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، وفتح القدير للشوكاني، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وأضواء البيان للشنقيطي، والتفسير البياني لبنت الشاطي.

وأيضا استفدت من كتب علوم القرآن مثل البرهان للزركشي والإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

ومن كتب اللغة مثل المفردات للراغب الأصفهاني. و الكلبيات للكفوي. وفي مراجعة الآيات وإحصاء الألفاظ استفدت من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ولكن نظرا لأهمية بعض الكتب في بحثي هذا وكثرة النقول عنها افردتها بالبيان كما يلي

مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني:

وهو كتاب وكما يظهر من عنوانه يهتم بالمفردات القرآنية. رتب الراغب المفردات اللغوية فيه حروف المعجم.

وعلى حد علمي كان الراغب الاصفهاني أول من عني بتصنيف المسائل والمعارف الخاصة بعلم مفردات القرآن. وقد ذكر في مقدمته لكتابه «مفردات ألفاظ

القرآن» ثلاثة فروع أصلية ورئيسة لعلم المفردات: علم معاني الألفاظ المفردة في القرآن، وعلم مناسبات الألفاظ المفردة في القرآن، كالاتقافات والاستعارات وغيرهما، و علم الألفاظ المترادفة في القرآن وما يميزها من فروق

وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في استخراج عُرف القرآن في استعمال الألفاظ فقد ظهر إبرازه رحمه الله في إظهار استعمال القرآن للألفاظ أكثر من تفسير معنى الكلمة، وقد تعددت العبارات الدالة على ذلك في كتابه، ومن العبارات التي جسعت في الكتاب قوله:

كل موضع في القرآن . .

حيثما ورد في القرآن . .

ولم يرد في القرآن . .

جاء كذا في القرآن كل كذا . .

أكثر ما جاء في القرآن . .

عمدة الحفاظ للسمين الحلبي

كتاب عمدة الحفاظ للسمين الحلبي كتاب متميز، غالب مادته من المفردات للراغب، وفيه إضافات على ما في مفردات الراغب وفيه تعقبان عليه كذلك؛ وأرى أنه أفضل من كتاب المفردات وأشمل وأكثر تحريراً. وقد ذكر في مقدمته بأن الراغب قد اغفل في كتابه ألفاظا كثيرة لم يتكلم عليها مع شدة الحاجة إلى معرفتها.

وقد استفدت كثيرا من كتاب السمين خاصة وأنه لم يكن دوره فقط النقل عن العلماء من قبله ولكن كان ينفرد بالألفاظ جديدة في موضوع عُرف القرآن ووجدت له لفتات نقدية هامة في هذا المجال ومن ذلك:

-رده لإطلاق العلماء ما جاء في الريح والرياح في القرآن، وإن لم اخذ برأيه فسي ذلك في بحثي هذا.

-- ومنها تعليقه على لفظ النكاح والعجلة وغير ذلك.

البرهان في علوم القرآن: الزركشي

وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب وخاصة في موضعين:

الأول: ذكره لإفراد ابن فارس.

والإفراد لابن فارس من الكتب الصغيرة الحجم يصل إلى صفحات بعدد أصابع

اليد، و هذا الكتاب ضمنه الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)^١ حيث قال: (وقال

ابن فارس في كتاب (الأفراد): كل ما في كتاب الله من ذكر الأسف... الخ).

ومن الأمثلة على أفراد ابن فارس:

قوله: كل ما في القرآن من ذكر "الأسف" فمعناه "الحزن" إلا في قوله تعالى (فَلَمَّا

آسَفُونَا انْتَمَنَّا مِنْهُمْ) (الزخرف ٥٥) أي "أغضبونا" وقال: وكل ما في القرآن من

ذكر "البروج" فهي "الكواكب" إلا في قوله تعالى (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) [النساء ٧٨]

فهي "القصور الطوال الحصينة" وقال: وكل ما فيه ذكر "البر والبحر" فالمراد

^١ الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ٧٩٤ هـ ، البرهان في علوم القرآن، ت ٧٩٤ هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م (١/ ١٠٥) وقد ظهر الكتاب محققاً في مجلة الحكمة، في العدد الثاني والعشرين من ص ١٢٧ - ١٤١ تحت عنوان: (أفراد كلمات القرآن، ولم يكتب اسم المحقق الذي قام بتحقيقها . ويقول المحقق أنه وجدها في دار المخطوطات بصنعاء في مجموع برقم ٢٠٨.

بالبحر "الماء" وبالبر "التراب اليابس" [لا في قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ) [الروم ٤١] فالمراد به "البرية والعمران"

ثانياً: كلامه في آخر باب الذي هو أسلوب القرآن فقد جاء أكثرها مما انفرد

القرآن به عن الاستعمال اللغوي.

الالتقان في علوم القرآن للسيوطي:

كان السيوطي قد استفاد من البرهان وحذا حذوه ولكنه انفرد وتميز في بعض

الأمر منها ما يخص بحثي هذا، فقد ذكر السيوطي بعض الكليات في الألفاظ ولم يذكرها

الزركشي بلغت اثنتين وثلاثين كلية.

وأيضاً استفدت مما ذكر في باب تقديم وتأخير الألفاظ وجمعها وافرادها كما

سيظهر في البحث بإذن الله تعالى.

التحرير والتنوير لابن عاشور:

استفدت كثيراً مما جاء عند ابن عاشور في اصطلاح القرآن وعاداته، ومما يميز

هذا التفسير انه نبه إلى أهمية معرفة عادات القرآن في مقدمة التفسير، حيث قال: (ويحق

على المفسر ان يعرف اصطلاحات القرآن من كلمه ونظمه): ثم ساق أمثلة في المقدمة

منها لفظ الكأس وعادة الترغيب والترهيب.

وفي ثنايا التفسير استقرا ابن عاشور كثيرا من اصطلاحات القرآن في الألفاظ والأساليب ونبه ابن عاشور على سبقه لهذا الاستقراء كل في موضعه وقال: (وقد استقرت بجهد عادات كثيرة في اصطلاحات القرآن)^١.

وسيطهر في بحثي هذا كثرة النقول عنه رحمه الله فهي تصيب مباشرة في موضوعي هذا.

أضواء البيان للشنقيطي:

لقد استغدت كثيرا من هذا التفسير كون هذا التفسير جاء غنيا في هذا الباب، ومبرزا فيه:

منها أن الشنقيطي استقرا بنفسه كثيرا من مصطلحات القرآن. ومنها جاء عنه رحمه الله بعض النقد والتعقيب لما ورد من الكليات عن السلف. ومنه أن الشنقيطي قام بتوظيف استعمال القرآن وعادته في الألفاظ في الترجيح بين أقوال المفسرين، وقد نبه في مقدمة تفسيره إلى أهمية هذا الأمر في الترجيح بين أقوال المفسرين حيث قال: (وإن من أنواع البيان الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية)^٢ ثم ذكر بعض الأمثلة.

1 ابن عاشور، محمد بن الطاهر ١٣٩٣ هـ، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر ١٩٨٤ م (٥ / ١٢٥).
2 الشنقيطي، محمد الأمين ١٣٩٣ هـ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ / محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ١ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م. (١ / ١٦)

ثالثا: حدود الدراسة:

١٠١ ليست الدراسة محدودة على قسم معين من القرآن الكريم تجري عليه، بل سيكون

مجال البحث في القرآن الكريم كاملا.

١٠٢ ليست الدراسة محدودة على نوع معين من كتب التفسير، بل ستأخذ الدراسة ما

تحتاجه لتغطية هذا الموضوع مما تيسر من جميع كتب التفسير

وهذا الاتساع الذي يظن من أول وهلة يضيقه أمران.

أولا: قلة هذه المادة في كتب التفسير.

وثانيا: عدم التزام الباحث الاستقصاء التام لتطبيقات عُرف القرآن في كتب

التفسير، بل يكفي في ذلك الجانب التأصيلي أولا ثم الإكثار من الأمثلة التطبيقية.

رابعا: منهج الدراسة:

١٠١ إن البحث التطبيقي لا يهدف إلى استيعاب جميع الوارد في ذلك عن السلف وفي

كتب التفسير إذ إن هذا أمر غير مقدور عليه، ولا يظن أن يحاط به. وإنما

المراد الإكثار من الأمثلة لتتجلى هذه الظاهرة القرآنية.

١٠٢ حرصت في بيان عادة القرآن في اللفظ أو الأسلوب كونها غالبية أو مطردة.

١٠٣ بعض الألفاظ القرآنية المدروسة تكون الآيات الواردة في القرآن بشأنها كثيرة جدا

تصل إلى عشرات المواضع إن لم أقل المئات، والتزام إيرادها جميعها يطيل

البحث وقد يكون المعنى واضحا بأدنى تأمل، فلا حاجة والأمر كذلك لحشد

أقوال المفسرين في ما هو واضح في بعض الألفاظ.

٤ . التزام ذكر جميع مصادر اللفظ أو الأسلوب في كتب التفسير أمر عسر وشاق، وبما ان المراد دراسة العُرف ذاته لا تكثير مصادره، فيكفي ان أحيل إلى أهم المصادر التي أوردت العُرف القرآني.

٥ . لا يقتصر دور الباحث في النقل عن أهل العلم وإنما سأتبع ذلك بالنقد والدراسة، وكل قول أو استنتاج لم اذكر له مرجعا في البحث فإنما يعود لاستنباط الباحث واستقرائه.

٦ . طريقة توثيق المادة العلمية:

أ . الآيات القرآنية:

- غزو الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية.
- نُقلت الآيات بخط المصحف سلامة لها من الخطأ.
- جعلت غزو الآيات بجوار الآية مباشرة تخفيفاً للحواشي.
- قد ترد في أثناء الكلام كلمة أو مقطع صغير من آية، فيكتفي بكتابته بالرسم الإملائي دون رسم المصحف، ويكون من الآية محور الدراسة، أو يكون سبق قريباً ذكر الآية كاملة معزوة.

ب . الأحاديث النبوية:

- تخريج الأحاديث من مظانها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا حاولت الحكم على صحة الحديث مستعينا بأحكام أهل العلم في ذلك.

ج . الأقوال المنقولة عن العلماء:

- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء، بذكر اسم المؤلف أولا مجردا من الألقاب، ثم اسم الكتاب، وأضيف رقم الجزء والصفحة والطبعة وتاريخ الطبع وسنة النشر في أول مرة يذكر فيها المرجع، ثم اكتفي بالاختصار فيما بعد بذكر اسم الباحث المشهور به واسم الكتاب المشهور وإن كان مختصرا عن اسمه الكامل ثم ذكر رقم الجزء والصفحة.

- أقوال العلماء تأتي بين معقوف على الشكل التالي (...) إذا كان النقل نقلا للنص نفسه بحروفه ، إما إذا استقت من كلام العالم ثم صغته بعبارتي وتصرفت فيه تصرفا شديدا فلا اذكر القوسين واكتفي بوضع حاشية عند نهاية الفكرة واذكر في الأسفل انظر كذا.

٥٧ . تذييل الرسالة فهرس المراجع والمصادر.

القسم الأول: الدراسة النظرية

الفصل الأول: التعريف بعُرف القرآن الكريم و ضوابط

معرفته

المبحث الأول: التعريف بعُرف القرآن الكريم

المطلب الأول: العُرف في اللغة.

المطلب الثاني: العُرف في الاصطلاح .

المطلب الثالث: عُرف القرآن الكريم في الاصطلاح.

المبحث الثاني: ضوابط معرفة العُرف القرآني.

المبحث الأول

التعريف بعُرف القرآن الكريم

المطلب الأول: العُرف في اللغة

العُرف في اللغة

العُرف في اللغة يأتي بمعان كثيرة: ^١

١. العُرف بمعنى الشيء المعروف غير المجهول. يقال تعارف القوم إذا عُرف

بعضهم بعضاً. ^٢ ومنه: العُراف: الكاهن الذي يُخبرُ بالأحوال المُستقبلة.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ

قَبْلِ يُسْتَنْقِضُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩)

سورة البقرة، والمعنى أن اليهود يعلمون ولا يجهلون دلائل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام.

٢. العُرف ضد المنكر: وهو ما كان مُستَحْسَناً في العقول وبالشرع. أي المعروف ،

وهو الخير والرفق والإحسان.

1 انظر ذلك في: للزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني ١٢٠٥ هـ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: مجموعة من الباحثين سلسلة تصدرها وزارة الإعلام بالكويت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م [٦٠١٦ / ١] و انظر للزبيدي الخليل بن أحمد ١٢٥ هـ ، العين ، تحقيق: مجموعة من الباحثين منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢ ٨ ٤٠ هـ - ١٩٨٨ م [٢ / ٢١٢] و القيسومي، أحمد بن محمد بن علي ٧٧٠ هـ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية ، بيروت [٤٠٥ / ٢] .

² ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ٧١١ هـ، لسان العرب، دار المعارف، [٢٢٦ / ٩] و الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٦ هـ - ١٩٩٦ م مادة عُرف، [٢ ، ٧٤٥ - ٧٤٧] بشيء من الاختصار.

قال الفيومي: (أمرت بالعرف; أي المعروف; وهو الخير والرفق والإحسان)^١.

وقال الراغب: (العرف: المعروف، والمعروف اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرعة حسنه)^٢.

ومنه قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩.

وفي الحديث: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)^٣.

٣. العرف: بمعنى الجزء المرتفع من الشيء، فيقال: عرف الجبل، وعرف الفرس، وعرف الديك. ويقال: ناقة عرفاء: أي مشرفة السنام. والعرف: موج البحر. والعرف: ضرب من النخل والأعراف: أعالي السور.

^١ الفيومي، المصباح المنير ص ٤٠٤.

^٢ الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت [٣٣١ - ٣٣٢].

^٣ أخرجه الطبراني في الكبير (الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ٣٦٠ هـ، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة بالعراق ، ط ٢) [٨ / ١٢] من حديث أبي أمامة ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧) برقم (٨٨٩) والألباني في صحيح الترغيب والترهيب. وأخرجه الطبراني في الأوسط (الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ٣٦٠ هـ ، المعجم الأوسط ، تحقيق: د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م). من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده برقم (٣٧٩٥) وصححه الألباني في الجامع (الألباني، محمد ناصر الدين ، صحيح الجامع المكتب الإسلامي ط ٣ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) برقم (٣٧٩٦) وأخرجه البيهقي في الشعب (البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ٤٥٨ هـ، شعب الأيمان تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بسبولي زغلول دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١٠ هـ) (٨٠٦١) من حديث انس وصححه الألباني في صحيح الجامع وبالجمله فالحديث صحيح.

ومن هذا المعنى في النصوص الشرعية: قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ

رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ سورة

الأعراف الآية (٤٦)، والمقصود بالأعراف هنا سورٌ بين الجنة والنار.

٤٠. العُرف بمعنى التتابع والظهور؛ ذلك يقال: تعارف الناس على كذا بمعنى تتابعوا

عليه، وأعراف السحاب ما ظهر منها. يُقال: طارَ القطاُ عُرْفاً بالضم: أي مُتتَابِعَةً بَعْضُهَا خَلْفَ بَعْضٍ. ويُقال: جاءَ القَوْمُ عُرْفاً عُرْفاً أي مُتتَابِعَةً كذلك

ومن هذا المعنى في النصوص الشرعية: قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً﴾ سورة

المرسلات الآية (١). وهي الملائكة أُرْسِلَتْ مُتتَابِعَةً. أي يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

٥٠. العُرف بمعنى المجازاة: وعُرف فلاناً: جازاه

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَأَخْبَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

عُرْفٌ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سورة

التحریم (٣)، أي جازى حفصة رضي الله تعالى عنها ببعض ما فعلت.

٦٠. العُرف بمعنى الريح الطيبة: يُقال: ما أَطْيَبَ عُرْفُه ! وأكثرُ استِعمالِه في الطُّبِيَّةِ.

ومنه الحديث: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به

عرضاً من الدنيا لم يجد عُرْفَ الجنة يوم القيامة) ^١ أي: ريحها الطيبة.

^١ أخرجه أبو داود (السجستاني، سليمان بن الأشعث، ٢٧٥ هـ سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر مكتبة الرياض الحديثة) (٢/ ٣٤٦) برقم (٣٦٦٤) وابن ماجه (ابن ماجه القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد ٢٧٣ هـ، سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة: الشيخ

٧. العُرف بمعنى الاعتراف والإقرار: تقول: لهُ عليّ ألفُ عُرفاً: أي اعترافاً.

ومن هذا العرض لمعاني العُرف في اللغة تبين لنا أن العُرف يدور حول معنى

المعروف والمشهور والمعتاد والظاهر من الأمور الحسية والمعنوية.

المطلب الثاني: العُرف في الاصطلاح .

وفي هذا المطلب لا بد من بيان تعريف العُرف وبيان الفرق بينه وبين العادة

وشروط اعتبار العُرف ، وذكر أقسامه ، و مجالات الأخذ به في الشريعة.

وفيما يلي البيان:

تعريف العُرف:

أما تعريف العُرف في الاصطلاح .

قال الجرجاني: (العُرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وثقلته الطبائع

بالقبول)^١

وعُرفه عبد الله بن أحمد النسفي في [المستصفي]، بقوله:

العُرف - ما استقر في النفوس من جهة العقول، وثقلته الطبائع السليمة بالقبول^١.

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع توزيع جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني ط
٢ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (١ / ٩٢) برقم (٢٥٢) وأحمد في المسند (الإمام أحمد بن حنبل ، ٢٤١ هـ -
مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة) (٢ / ٣٣٨) وابن حبان (ابن حبان البستي ، محمد بن حبان بن
أحمد أبو حاتم التميمي ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت
الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣) (٧٨) كلهم من طريق أبي هريرة.

وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (الألباني ، محمد ناصر الدين ، صحيح سنن ابن ماجه ، الناشر: مكتب
التربية العربي لدول الخليج ط ٣ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.) (٢٠٤).

^١ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الكتاب العربي - بيروت، الطبعة
الأولى، ١٤٠٥ (١ / ١٩٣).

ونقل ذات التعريف ابن عابدين في رسالته عن العُرف، وقد أضاف كلمة [العادة]

في بداية التعريف، فقال: العادة والعُرف ما استقر ... الخ.

وفي هذه التعاريف ملاحظات هي:

١٠ لم تذكر التعاريف ما الذي استقر في النفوس، وثقلته الطباع بالقبول.. .

وينبغي أن يتضمن التعريف ذلك، فيقال: ما استقر في النفوس من الأفعال.. .، ويشمل الفعل: الإيجابي، والسلبي.

١١ جعلت هذه التعاريف شهادة العقول وتلقى الطباع له بالقبول في مفهومه مع أن الأعراف تتفاوت وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة فهل تختلف العقول والطباع السليمة معها أم ماذا؟ ثم إن قسماً من الأعراف سموها بالأعراف الفاسدة فهل أن هذه الأعراف مما تقبلها العقول والطباع السليمة؟ وكيف يتسع التعريف لها وهي مجانبسة للسليم من الطباع مع أنهم جميعاً يذكرون في تقسيمات العُرف انقسامه إلى فاسد وصحيح. وعرفه جمع من العلماء المحدثين: ٢

قال محمد مصطفى شلبي: العُرف هو: ما تعودّه الناس أو جمع منهم والفُسوة

حتى استقرت في نفوسهم من فعل شاع بينهم أو لفظ كثر استعماله في المعنى خاص بحيث يتبادر منه عند إطلاقه دون الأصل ٣

^١ راجع أحمد فهمي أبو منة، العُرف والعادة في رأي الفقهاء، مطبعة الأزهر، ١٩٤١، ص ٨.

^٢ محمد مصطفى شلبي، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، ١٩٦٩، ص ٢٦٠. وراجع عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، الكويت، ص ٨٩. وبنفس المعنى كلام د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مكتبة القدس، ص ٢٥٢. ود. مصطفى الزلمي، أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية، بغداد، ص ٥٠٣. و انظر، د. وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر بيروت [٨٢٩/٢]، و الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام ط دار الفكر دمشق التاسعة ١٩٦٨ م [١ / ١٣٤].

^٣ محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي ص ٣٢٥

قلت: وقوله: (حتى استقرت في نفوسهم) عبارة يمكن الاستغناء عنها في

التعريف السابق لقوله في التعريف (ألفوه) لأن معناهما واحد.

وعرفه الزحيلي فقال: (ما اعتاده الناس وساروا عليه من كل فعل شاع بينهم أو

لفظ تعارفوا على إطلاقه لمعنى خاص لا يتبادر غيره عند سماعه).^١

وعرفه عبد الوهاب خلّاف فقال: (العُرف هو ما تعارفه الناس وساروا

عليه من فعل أو قول أو ترك ويسمى العادة)^٢

قلت: وفي هذين التعريفين دورٌ - كما يقول المنطقة -، لتوقف [العُرف]

على لفظة [تعارف].

وعبد الوهاب خلّاف لم يعتبر [الترك] فعلاً، مع أنّ عدم الفعل فعلٌ، والامتناع

الإرادي فعلٌ، ولذلك يُحاسب عليه الإنسان .

وقال فيه الزرقا: (عادة جمهور قوم في قول أو عمل).^٣

قلت: وهذا أجود التعاريف في نظري لخلوه مما يعترض عليه فيه، كما سبق

من الاعتراض على التعريفات السابقة. ولو أن التعريف خلا من عبارة (عادة) لكان

أجوداً من هذا، لأن العُرف والعادة بمعنى واحد على الراجح كما سيأتي، أو إنهما من

^١ انظر وهبة الزحيلي، أصول للفقه الإسلامي [٨٢٩/٢].

^٢ خلّاف، علم أصول الفقه ص ٩١

^٣ الزرقا، المدخل الفقهي العام [١٣٤ / ١]. وانظر الحفناوي، محمد ، التعارض والتزجيح. دار الفكر، بيروت. ص ١١٣. والشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي، اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ (١ / ١٣٠)، والمقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، قدم له وعلق عليه: د. محمد بكر إسماعيل مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ [٩ / ٢] ، و الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ٧٩٤ هـ ، البحر المحيط في أصول الفقه ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ط ٢ ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م. (١٥٦ / ٢).

المترادفات، والتعريف بالمرادف جائز شريطة أن يكون المحدود أجلى من الحد، أما إذا استويا فلا يجوز. فكيف إذا كان المحدود اصطلاحاً يحتاج إلى بيان كالحد، ويدخل في معنى الدور ! ولو قال في التعريف: ما ألفه جمهور قوم وساروا عليه من قول أو فعل ، لكان الأجود وهو الذي ارتضيه .

الفرق بين العرف والعادة.

أما العادة في اللغة: فيقول ابن فارس: (العين والواو والdal أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على تثنية في الأمر، والآخر جنس من الخشب...والعادة: الدربة والتمادي في شيء حتى يصير له سجية، ويقال للمواظب على الشيء:المعاود)¹

وقال الراغب: (العَوْدُ: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٧]. ..والعادة اسم لتكرير الفعل والانفعال، حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع، ولذلك قيل:العادة طبيعة ثانية)² وقال ابن منظور: (العادة الديدن يعاد إليه)³ وسُميت كذلك لأن صاحبها يعاودها، أي: يرجع إليها مرة بعد أخرى. وعودته كذا، فاعتاده وتعوده، أي: صيرته له عادة.⁴

¹ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن الحسين الصاحبى ٣٩٥هـ ، معجم مقاييس اللغة ، ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ / ٩٧٠ م. [٢ / ٣٤٢].

² الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عَوَدَ) ص:٥٩٣.

³ ابن منظور، لسان العرب؛ الأفريقي مادة (عَوَدَ).

⁴ الفيومي، المصباح المنير ص ٦٣٤.

والعادة والعرف عند أغلب الفقهاء بمعنى واحد، وقولهم: هذا ثابت بالعادة والعرف لا يعني أن العادة غير العرف، وإنما هي نفسه، وذلك من باب التأكيد لا التأسيس. وممن سوى بين العادة والعرف الجرجاني، وابن عابدين، وصاحب المستصفى، ومن الأساتذة المحدثين عبد الوهاب خلاف ومحمد الخضر حسين ومحمد مختار القاضي وعلي حيدر وعبد العزيز الخياط.^١

قال الجرجاني بعد تعريف العرف: (وكذا العادة هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى)^٢.

قال عبد الوهاب خلاف بعد تعريف العرف: (ويسمى العادة)^٣

وكذلك علي حيدر في شرحه للمجلة قال: (والعرف بمعنى العادة)^٤

ومن العلماء من يرى بأن: العادة أعم من العرف، وأوسع، منهم أبو هلال العسكري و ابن الهمام.

وقد فرقوا بينهما على النحو التالي:

١٠ من جعل العرف عادة المجموع والعادة ثقال لعادة الفرد وعادة المجموع^١.

ولذلك يقال: عادة المرأة في الحيض؛ لأنها فرد، ومن هنا يقال: يحرم صوم يوم الشك إلا

^١ علماء من الأزهر، وانظر أقوالهم: عبد الوهاب خلاف، أصول الفقه ص ٩ ومحمد مختار القاضي، الرأي في الفقه الإسلامي دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٣٦ وعلي حيدر الندوي الحنفي، درر الحكّام شرح مجلة الأحكام، دار الجليل [٤٠ / ١] ومحمد خضر حسين، الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، دار الفكر بيروت ص ٣٣ وعبد العزيز الخياط، نظرية العرف، دار الفكر بيروت ص ٢٤

^٢ الجرجاني، التعريفات ١ / ١٩٣.

^٣ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه ص ٩١.

^٤ علي حيدر، درر الحكّام شرح مجلة الأحكام [٤٠ / ١].

لمن كان له عادة في الصوم، هذا؛ لأنه من المفرد، ويقال في مقابل ذلك: مقدار النفقة يرجع فيه إلى العُرف، عُرف عامة الناس.

٢٠ جعل أبو هلال العسكري الفرق بينهما هو أن العُرف يستعمل في الألفاظ والعادة في الأفعال.

قال أبو هلال العسكري: (الفرق بينهما أن العُرف يستعمل في الألفاظ.والعادة تستعمل في الأفعال) ٢

أقسام العُرف.

والعُرف قد يكون قوليا أو عمليا، وقد يكون عاما أو خاصا، وهو بجميع هذه الأنواع قد يكون صحيحا أو فاسدا.

ومثال القولي: تعارف الناس على إطلاق لفظ الولد على الذكر دون الأنثى. وإطلاق اسم اللحم على غير السمك.

ومثال العملي: تعارف الناس على تقسيم الصداق إلى مقدم ومؤخر. والعُرف العام ما يتعارفه جمهور الناس في زمن من الأزمان ، والعُرف الخاص هو ما تعارف عليه أهل بلد من البلدان أو أهل حرفة من الحرف أو أهل فن من فنون العلم. والعُرف الصحيح هو الذي يوافق الشرعة. والعُرف الفاسد هو ما يخالف الشريعة.

¹ انظر: ابن الهمام، محمد بن محمد بن أمير حاج، التقرير والتحبير لابن الأمير الحاج شرح التحبير، دار الكتب العلمية [٧٦٩ / ٢] وانظر الزرقاء، المدخل الفقهي العام [٨٢٦ / ٢].

² العسكري، أبو هلال الحسن ٤٠٠ هـ، الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م ص ٨٧١.

ومثال الأعراف الفاسدة وأد البنات عند العرب في الجاهلية، وفي أيامنا هذه

تعارف بعض الناس على أن يخلو الخاطب بمخطوبته دون ضوابط.

شروط اعتبار العرف.

وقد وضع الفقهاء شروطاً لأجل اعتبار العرف، وللعمل به، من أهمها:

١. أن لا يكون العرف مخالفاً للشرع.^١

٢. أن يكون العرف الذي يحمل عليه التصرف موجوداً وقت إنشاء التصرف،

بأن يكون حدوث العرف سابقاً على وقت التصرف، ثم يستمر إلى زمانه.. فيقارنه، سواء

أ كان التصرف: قولاً، أم فعلاً.

يقول ابن نجيم: (والعرف الذي تحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن السابق، لا

المتأخر، ولذا قالوا: لا عبرة بالعرف الطارئ)^٢.

٣. أن يكون العرف مطرداً. أو غالباً، قال ابن نجيم: (إنما تعتبر العادة إذا

اطردت، أو غلبت، أما الشهرة فلا عبرة بها)^٣.

مجالات الأخذ بالعرف في الشريعة.

اختلف العلماء في عد العرف مصدراً من مصادر التشريع (أو كما يقال دليلاً

من أدلة الأحكام)، واتفقوا على كون العرف مرجعاً لتطبيق الأحكام (مبيناً لمناط الحكم

الشرعي). وفيما يلي البيان:

^١ انظر المرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد، أصول المرخسي، تحقيق أبو الوفاء الألفاني، دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٧٢ (١٢ / ١٩٦) .

^٢ ابن نجيم الحنفي ، الأنشياء والنظائر وبحاشيته نزهة النواظر على الأنشياء والنواظر لابن عابدين تحقيق محمد مطيع الحافظ ط دار الفكر دمشق الأولى ١٤٠٣، ج ١، ص ١٣٣.

^٣ المصدر نفسه ج ١، ص ١٢٨.

أولاً: اختلاف العلماء في عد العُرف مصدراً من مصادر التشريع.

اختلف علماء الشريعة في عد العُرف مصدراً من مصادر التشريع ، والذين أخذوا به هم المالكية والحنفية. ولقد قرروا أن الثابت بالعُرف الصحيح، كالثابت بالدليل الشرعي.

و استدلووا على حجية العُرف بما يلي:

(١) قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١٩٩) الأعراف ^١

(٢) ما نسب ^٢ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن).

(٣) إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الأعراف التي كانت عند العرب قبل بعثته، كالمضاربة وشروطها، حيث ورد أن العباس بن عبد المطلب، كان إذا دفع مالا مضاربة، اشترط على العامل معه أن لا يسلك بالمال بحراً، ولا ينزل به وادياً، ولا يشتري به ذات كبد رطب، فإن فعل ذلك ضمن، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاستحسنه. ^٣

(٤) استند من اخذ بالعُرف إلى نظرة بعض الأئمة السابقين مثل الإمام مالك الذي بنى بعض أحكامه على عمل أهل المدينة، أي عادات وأعراف أهل المدينة المنورة.

^١ انظر القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الفروق، دار عالم الكتاب بيروت (٣ / ١٤٩).

^٢ انظر الكاساني، أبو بكر بن سعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٩٧ م ٥ / ٢٢٣.

^٣ انظر المصدر نفسه ٥ / ٥٢.

والإمام الشافعي، عندما نزل مصر، غير بعض الأحكام التي كان قد اجتهد فيها في بغداد، بسبب تغير العرف في مصر عنه في بغداد فكان له مذهبان، قديم وجديد.

ويجاب عن هذه الأدلة بما يلي:

(١) إن الآية الكريمة (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١٩٩)

الأعراف، التي استشهد بها على حجية العرف، لا علاقة لها به، لأن العرف في الآية هنا يقصد به المعروف^١، وهو المشهور حسنه في أبواب الخير من الأقوال والأعمال، وهو كل ما أمرت به الشريعة، والأمر بالعرف الوارد في الآية، يعني الأمر بما أنزل الله، لأن العرف فيها معناه الحسن من القول والفعل، والحسن في الإسلام ما حسنه الشرع، وليس الحسن ما هو موجود من أفعال الجاهلية.

وليس المقصود به عادات العرب وأعرافهم وتقاليدهم التي كانوا عليها من الأقوال والأعمال، فعادات العرب وأعرافهم كانت جاهلية مخالفة للإسلام، وقد بعث الله الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم لتغييرها.

(٢) وأما قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (ما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن) فهو قول لعبد الله بن مسعود، وليس حديثاً نبوياً،^٢ فلا يحتج به في الأحكام

^١ انظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. (١٥٢ / ٦).

^٢ قال العجلوني: (رواه أحمد في كتاب السنة وليس في مسنده كما وهم عن ابن مسعود بلفظ إن الله نظر في قلوب العباد فاختر محمداً صلى الله عليه وسلم فبعثه برسائله ثم نظر في قلوب العباد فاختر له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح. وهو موقف حسن. وأخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الاعتقاد عن ابن مسعود أيضاً) العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السلة الناس، دار الكتب المصرية. ١٢١١ / ٢.

الشرعية، فكيف يحتج به على المصادر التشريعية، وهو أيضاً لا علاقة له بالعُرف، لأنه ينص على ما رآه المسلمون حسناً، وليس على ما تعارفوا عليه واعتادوه، و المسلمون يحتكمون في تحسينهم وتقبيحهم الأفعال والأشياء إلى الإسلام وليس إلى العادات.

(٣) وأما الأعمال التي أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت من الأعراف والعادات في الجاهلية، كشركة المضاربة، والاستصناع، وبعض بيع السلم، فإن الأخذ بها، يعد أخذاً للدليل الشرعي، وهو إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لها، وليس أخذاً بالعُرف، فالرسول صلى الله عليه وسلم أقر أموراً ولم يقر كثيراً من العادات والأعراف عند العرب أو عند غيرهم، كالربا وشرب الخمر، والطواف عراة حول الكعبة. فالشارع لم يراع العُرف لأنه عُرف، وإنما وافقت أحكامه بعض ما عند العُرف فأبرزها بطريق الإقرار، وفرق بين أن يقر حكماً لدى أهل العُرف لموافقته لأحكامه وبين أن يعتبر نفس العُرف أصلاً يرجع إليه في الكشف عن الأحكام.

(٤) إن الأعراف والعادات التي سادت المجتمع الإسلامي زمن التابعين ومن بعدهم، كانت أعرافاً وعادات مستمدة من الإسلام لتطبيق أحكام الشرع في تلك المجتمعات، مما حمل بعض الفقهاء على الرجوع إليها لمعرفة بعض الأحكام، كرجوع الإمام مالك إلى عمل أهل المدينة المنورة، الذين كانوا حريصين على الالتزام بالإسلام في كل شيء، فجاءت أحكامهم وفقاً للأدلة الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ثم انه بابتعاد الناس عن أحكام الإسلام مع تقادم الزمان واختلاط المسلمين بالثقافات الأخرى فإن الأعراف والعادات قد فسدت ، فهي في معظمها مخالفة ومناقضة للإسلام، فيكون الاحتكام إليها تحاكماً لغير الإسلام، وهو حرام.

وعلى ما مضى فاني أرى نفسي في صف من لا يأخذ بالعُرف كمصدر من مصادر التشريع، ذلك أن الأدلة التي احتج بها من يقولون بالعُرف، لا تصل لأن يحتج بها في الأحكام الشرعية العملية، التي يجوز أن يكون دليلها ظنياً، فكيف ترقى هذه الأدلة لتكون برهاناً ودليلاً على مصدر من مصادر التشريع، الذي يجب أن يكون الدليل عليها قطعياً؟.

وما حقيقة العُرف إلا مجموعة تقاليد وعادات في الأقوال والأعمال يتداولها الناس، وهي منبثقة من الأفكار والمفاهيم السائدة في مجتمع ما من المجتمعات، وأكثرها مما لا يُعرف مصدره ومنها ما يكون مصدره غير إسلامي نتيجة تأثر المجتمع الإسلامي بالتقافات الأخرى، وقد حذر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك قال تعالى: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)) سورة المائدة ،

وقال تعالى: (وَمَنْ يُتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥))

سورة آل عمران، فأخذ حكم واحد من غير الإسلام حرام بلص الآية.

ثانياً: الأخذ بالعُرف في مناط الحكم الشرعي أو العمل به كمرجع لتطبيق

الأحكام.

تبين فيما مضى أن الراجح عدم اعتبار العُرف مصدراً من مصادر التشريع

الإسلامي، وليس العُرف مما يستمد منه الأحكام الشرعية. ولكن هناك مجالات في

الشريعة يؤخذ فيها بالعُرف وهي التي تسمى مناط الحكم، ويقصد بمناط الحكم بيان محل الحكم الشرعي أو واقعه، وفرق كبير أن يكون العُرف حاكماً وبين أن يكون العُرف مبيناً لواقع الحكم الشرعي.

ومن الأمثلة في اعتماد الشريعة على العُرف ما يلي:

١ . اعتماد الشريعة على العُرف في بيان المقادير^١.

ومن الأمثلة على ذلك.

١١ . أرجع الله سبحانه وتعالى تقدير نفقة الموضع إلى العُرف غنى وفقراً. قال

الله عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة ٢٣٣].

١٢ . أرجع الشرع الحكيم تقدير متعة المطلقة إلى العُرف غنى وفقراً. قال -جل

وعلا-: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة البقرة الآية

٢٣٦ ٣٠ في أمر ولي اليتيم له أن يأكل من مال اليتيم بما تعارف عليه الناس بينهم. قال

-جل وعلا-: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ سورة النساء الآية (٦).

^١ انظر الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ٣٧٠ هـ، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى في مطابع الأوقاف الإعلامية في دار الخلافة ١٣٣٥ هـ (١ / ٤٧٨).

٣٠٣. أحال الشرع نفقة الزوجة والولد إلى العُرف. فقد جاء في حديث هند رضي

الله عنها أنها: (سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن زوجها الشحيح، فقال -صلى

الله عليه وسلم-: خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف)^١.

٣٠٤. جاء في الشريعة أن السارق لا تقطع يده إلا إذا سرق من الحرز، والحرز لا

ضابط له في الشرع ولا في اللغة، فيرجع إلى العُرف.

فهذا التقدير الذي جعله الله لأهل الخبرة من الناس، هو محل الحكم الشرعي،

وليس حكماً شرعياً، فالمعروف في الآية هو مقدار النفقة اللازمة لهذه المرأة أو لتلك، كل

واحدة حسب مستوى عيشها في عائلتها التي تنتمي إليها. فالتقدير يلزم لتحقيق مناسبات

الحكم، بمعنى معرفة الواقع الذي يراد الحكم عليه، وبعد ذلك يبحث في الأدلة الشرعية

المتعلقة بهذا الواقع لإصدار الحكم الشرعي المنطبق عليه.

ب . اعتماد الشريعة على العُرف في بيان واقع الألفاظ.

ومثال ذلك: ما تعارف عليه أهل اللغة من إطلاق لفظ (دابة) على غير

الإنسان من الحيوانات، مع أنها في وضعها اللغوي كانت تشمل كل حيوان يسدب على

سطح الأرض ومنه الإنسان، فتصبح لهذه الكلمة حقيقة لغوية عُرفية، يراعى معناها

العُرفي عند تطبيق الأحكام الشرعية، فلو حلف شخص أنه لن يسقي دابة، فإنه لا يحدث

بينه إن هو سقى إنساناً، لأن الاصطلاح العُرفي أخرج الإنسان من معنى لفظ دابة.

^١ أخرجه البخاري (البخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦ هـ ، صحيح الإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية
استانبول تركيا، توزيع مكتبة العلم بالسعودية). كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والإجارة والمكيال والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة (٢ / ٧٦٩) برقم (٢٠٩٧).

المطلب الثالث: عُرف القرآن الكريم في الاصطلاح.

ورد مصطلح (عُرف القرآن) في كلام المفسرين وغير المفسرين من أهل العلم في الشريعة قديماً وحديثاً.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١٠ قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى (فإن كذبتك فقد كذب رسل من قبلك جاوزوا

باليينات والزبور والكتاب المنير) (١٨٤) : " والكتاب في عُرف القرآن ما يتضمن الشرائع

والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن ^١

١٢ قال الألويسي: (وقيل: المراد به التوراة والإنجيل والزبور وهو في عُرف

القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء هو والحكمة متعاطفين في عامة المواقع)
٢.

٣٠ قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا

تعتبطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) ٥٣ : (وإضافة العباد تخصصه

بالمؤمنين على ما هو عُرف القرآن الكريم) ^٢

^١ البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد القاضي ٦٩١ هـ، أنوار التنزيل وحقائق التأويل، تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية بتركيا دار صادر (١ / ١٢٥) .

^٢ الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ١٢٧٠ هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٤ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م. (٤ / ١٤٥)

^٣ أبو السعود العمادي، محمد بن محمد ٩٥١ هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (٧ / ٢٥٩) .

٤٠ قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (س [٦٢]): (فالمراد من الذين آمنوا

في هذه الآية هم المسلمون الذين صدقوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لقب للأمة الإسلامية في عُرْف القرآن) ^١.

٥٠ قال ابن قدامة: (عُرْف القرآن فيما أريد به التخيير البدائية بالأخف ككفارة

اليمين، وما أريد به الترتيب بدئ فيه بالأغلظ فالأغلظ ككفارة القتل) ^٢

٦٠ قال ابن القيم: (للقرآن عُرْف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها،

ولا يجوز تفسيره بغير عُرْفه والمعهود من معانيه) ^٣

وقد يعبر أهل العلم عن عُرْف القرآن بألفاظ أخرى مثل طريقة القرآن و

معهود القرآن و الطريقة المعهودة في القرآن وعادات القرآن قال ابن القيم: (إن هذا جاء

على الطريقة المعهودة في القرآن الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف

إلى الله سبحانه وتعالى فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل معها للمفعول فإذا جيء

بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدباً) ^٤

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير (١ / ٣٠٥).

^٢ ابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ١٠ / ٢٩٩.

^٣ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ، ، بدائم الفوائد، حققه وخرجه أحاديثه وعلق عليه: معروف مصطفى زريق محمد وهبي سليمان علي عبد الحميد بلطه جي توزيع: دار الخاني، دار الخير ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م. (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

^٤ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ، ، التبيان في أقسام القرآن، صححه وعلق عليه: الشيخ / طه يوسف شاهين ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. ص ٢٩.

و قال الرازي: (وعادة القرآن جارية بأنه إذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيهها على كونها أعظم جزئيات ذلك الكلي)^١ وقال ابن القيم: (والمألوف من عادة القرآن في استعمال (وما يدريك) في الأمور الغائبة العظيمة)^٢ وقال ابن عاشور: (يحق على المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه. وقد تعرض بعض السلف لشيء منها فعن ابن عباس: كل كاس في القرآن فالمراد بها الخمر)^٣.

صياغة التعريف:

رغم البحث الحديث لم أقف على تعريف اصطلاحى لعرف القرآن، لذا فقد عزمت على صياغة ذلك في هذا البحث مسترشدا بما سماه المفسرون والعلماء عرفا للقران الكريم.

ومما مضى من الأمثلة يتبين أن العرف القرآني يكون في الألفاظ وفي الأساليب ومما يدل على ذلك صراحة قول ابن عاشور عن عادات القرآن إنها في الكلم والنظم فالكلم هو الألفاظ والنظم هو الأساليب.

وكون العرف القرآني بضاف للقران فهذا يدل على أن القرآن الكريم يختص به عن الاستعمال اللغوي.

وعند اخذ هذه الأمور و المحددات في الاعتبار عند تعريف العرف القرآني، فيمكن لي أن أصيغ التعريف على النحو التالي.

^١ فخر الدين الرازي، محمد بن عمر ٦٠٦ هـ، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م. (١٦٩ / ٥).

^٢ ابن القيم، التبيان في اقسام القرآن ٢٩.

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ٧٥.

مصطلح عُرِف القرآن الكريم يعني: طريقة القرآن الكريم التي انفرد بها في استعمال الألفاظ والأساليب والتي جاءت على نحو مطّرد أو غالب.

الشرح:

قولي في التعريف: طريقة القرآن الكريم في استعمال الألفاظ.

قولي: الألفاظ، جمع لفظ ويشمل ما كان مفردا وما كان ألفاظا مركبة أو جملة.

قولي: استعمال الألفاظ، وليس معاني الألفاظ كان لغاية مقصودة وهي أن الاستعمال اشمل من معاني اللفظ بل يتناول استخدام اللفظ في طريقة خاصة أو دلالة ما، مثل أن يستعمل اللفظ في فئة خاصة من الناس، أو في جانب العذاب أو في الدنيا أو في الآخرة، فاستعمال اللفظ في ذلك ليس من باب معنى اللفظ وإنما طريقة في الاستعمال يوحي بمدلولات معينة.

والمقصود بطريقة القرآن في استعمال الألفاظ هنا دلالة اللفظ على المعنى من جهة القرآن، أو هو ما اختص به القرآن الكريم في باب دلالة الألفاظ والتراكيب على المعاني.

و للقران الكريم خصوصيات في استعمال الألفاظ فقد يخرج باللفظ عن معناه اللغوي إلى معنى شرعي أو يتخير القرآن احد معاني المشترك اللفظي مثلا ويستعمله دون غيره من المعاني الأخرى،، أو يستعمل القرآن اللفظ في وجه من وجوهه كأن يستعمله في وجه الخير أو الشر أو المدح أو الذم أو الرحمة أو العذاب أو الدنيا أو الآخرة، أو يستعمل القرآن اللفظ في فئة خاصة ، كتخصيص اللفظ في خطاب الكفار مثلا ، وغير ذلك من الاستعمالات القرآنية للألفاظ كما سيظهر في البحث بإذنه تعالى.

أمثلة من خصوصيات القرآن الكريم في استعمال الألفاظ :

قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) (١٨٤) سورة آل عمران: (والكتاب في عُرف القرآن ما

يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن). ١

وقال في تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) سورة الزمر / ٥٣: (وإضافة العباد

تخصصه بالمؤمنين على ما هو عُرف القرآن) ٢

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ

سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (١٦٢) سورة النساء: (فالمراد من الذين آمنوا في هذه الآية هم

المسلمون الذين صدقوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لقب للأمة الإسلامية في

عُرف القرآن) ٣

ومن أمثلة الترجيح الدلالي لعُرف القرآن الكريم في معاني الألفاظ:

1 أنوار التنزيل، البيضاوي ١ / ١٢٥. و أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢ / ١٢٢. و الأوسى، روح المعاني ١٤٥ / ٤.

2 أنوار التنزيل، البيضاوي ١ / ٧١. و أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧ / ٢٥٩.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٣٠٥.

قوله - تعالى -: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] قيل: آيات القرآن،

ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء، وقيل: هي النجوم المعروفة في السماء. وهو الراجح؛

لأن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد بها الكواكب؛ كما قال ابن القيم.^١

قولي في التعريف: طريقة القرآن الكريم في استعمال الأساليب .

المقصود بالأسلوب هنا طريقة النظم. وعُرف القرآن في أساليب النظم يعني عادات اختص بها القرآن الكريم في تقديم و الألفاظ وتأخيرها ، و عادات في أيراد الألفاظ مفردة أو مجموعة، و عادات في اقتران لفظ بلفظ، وعادات في الإيجاز والإطناب، وعادات في طريقة عرض الموضوعات والقضايا ، كعادات القرآن الكريم في أيراد القصص وطريقة القسم وطريقة تناول الأحكام الفقهية والعقدية وعادات في طريقة أيراد المناظرة والجدل والتفنن في أساليب الخطاب وغير ذلك من الطرائق التي عُرِفَت عن القرآن الكريم في تناول الموضوعات والتي ستظهر في البحث بإذنه تعالى.

أمثلة من عُرِف القرآن في استعمال الأساليب:

يصعب هنا في هذا الموضع ذكر الأمثلة على جميع ذلك، فهذا مما سيظهر في

البحث، ومن باب التمثيل لذلك اذكر الأمثلة التالية:

المثال الأول: قال ابن قدامة في بيان حكم من قتل من المحاربين: (يدل عليه (أي

على ترجيحه بعدم التخيير) أنه بدأ بالأغلظ فالأغلظ وعُرف القرآن فيما أريد به التخيير

البداءة بالأخف ككفارة اليمين وما أريد به الترتيب بدء فيه بالأغلظ فالأغلظ ككفارة الظهار

والقتل)^٢.

١ ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن ص ١٣٦

٢ ابن قدامة المقدسي، المغني ١٠ / ٢٩٩.

والملاحظ هنا أن دلالة الآية على المعنى الذي ذهب إليه ابن قدامة وهو المعنى الموافق لعرف القرآن الكريم لم يتحدد من جهة دلالة اللفظ على المعنى، وإنما جاءت الدلالة على المعنى المرجح من جهة عادة القرآن في النظم.

فلما علمنا أن القرآن من عادته في سوق الكفارات أن الكفارة إذا كانت متعددة وذكر فيها (أو) إذا كان مراد الشارع التخيير في الكفارة بدء بالأخف ككفارة اليمين، قال تعالى: ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾

المائدة / ٨٩. فإن الإطعام أخف من الكسوة والكسوة أخف من عتق الرقبة.

وإذا كان مراد الشارع عدم التخيير بدأ بالأغلظ فالأغلظ ككفارة الظهار والقتل. قال تعالى في كفارة الظهار: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) سورة المجادلة. فتحرير الرقبة هو الأغلظ ثم أخف منه صيام شهرين، ثم أخف منه إطعام ستين مسكيناً.

وفي كفارة القتل قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) سورة النساء.

وبتطبيق هذه العادة القرآنية على آية الحراية وهي قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ

يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ
يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) المائدة.

يتبين أن القتل هو الأغلظ ثم تتدرج العقوبة إلى الأخف حتى تصل النفي من
الأرض.

فلما كان ذلك كذلك علمنا أن مراد الشارع حسب ما يظهر من العادة القرآنية
هو عدم التخيير.

المثال الثاني: قال ابن القيم في الرد على من فسر الخنس بالظباء: (أنه ليس
بالبين إقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا عُرف القرآن ولا عاداته وإنما يقسم
سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الإنسانية
ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم بالعلويات أقسم بأشرفها وهي
السماء وشمسها وقمرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفها وهو الليالي العشر وإذا

أراد سبحانه أن يقسم بغير ذلك أدرجه في العموم كقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ

(٣٨) ﴿ سورة الحاقة وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) سورة الليل) .^١

ففي هذا المثال يتبين جلياً لنا عادة القرآن في القسم وهي أن الله تعالى يقسم من كل جنس بأعلاه. وعند تطبيق هذه العادة القرآنية على القسم في الآية يترجح أقسام الله تعالى بالكواكب لا بالغزلان .

المثال الثالث: أشار أبو حيان الأندلسي المفسر لعادة القرآن الكريم في تناول الأحكام الفقهية، حيث قال: (إذا كان التكليف شاقاً ناسب أن يعقب بترجي الشكر)^٢ .
وقد مثل على هذه العادة بأمثلة ذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ (١٨٥)
سورة البقرة.

قال أبو حيان: (ختمت هذه الآية بقوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)؛ لأن قبله

ترخيص للمريض والمسافر بالفطر)^٣ .

1 ابن القيم ، التبيان في إقسام القرآن، ١ / ٧٢

2 أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ٧٤٥ هـ، البحر المحيط ، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الكتب

العلمية، بيروت ط ١ ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م، ٣ / ٦٧٥.

3 المصدر نفسه ٣ / ٦٧٥.

ويعني - رحمه الله - أن التكاليف المذكورة كانت شاقة ويدل على ذلك كونها رخص بالفطر للمريض والمسافر.

وقال أبو حيان أيضاً: (وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، جاء عقيب

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة

الآية ١٨٣، وقبله قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ سورة البقرة الآية ١٧٩، ثم

قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة، لأن الصيام والقصاص من أشق التكاليف ^١

وقال أيضاً معهما العادة القرآنية: (وكذا يجئ أسلوب القرآن فيما هو شاق،

وفما فيه ترخيص أو ترقية؛ فينبغي أن يدرك فإنه من محاسن البيان) ^٢

قولي في التعريف: التي جاءت على نحو مطرد أو غالب.

المطرد في اللغة: (أصل مواضع (ط ر د) مأخوذ من اطرد الشيء: إذا تابع

بعضه بعضاً، يقال: اطرد الأمر أي: استقام، وطردت الطريدة إذا اتبعتها واستمرت بين

يديك، ومنه مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً فكل يطرد صاحبه، و المطرد هو رمح قصير

يطرد به الوحش. واطرد الجدول إذا تتابع ماؤه بالريح) ^٣.

أما العرف القرآني المطرد فاعني به بعد الاسترشاد بمعنى الاطراد في اللغة: أن

تكون العادة القرآنية في اللفظ أو في الأسلوب تامة في كل مواطن ورودها في القرآن

^١ المصدر نفسه ٣ / ٦٧٥.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٦٧٥.

^٣ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (٦١٢ - ٦١٣)، وابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتاب العربي بيروت. ١ / ٩٦

الكريم، ولم ينخرم ذلك التّعيد بخروج مثال أو آية عن الأمر الذي قرر، باستثناء موضع النزاع.

والاستعمال الغالب اعني به: أن تكون الكثرة الكاثرة من الاستعمال القرآني على الأمر الذي قرر، وهذا يعني وجود موطن أو أكثر لم يندرج تحت العادة القرآنية المقررة في اللفظ أو الأسلوب.

المبحث الثاني:

ضوابط معرفة العُرف القرآني.

المقصود بضوابط معرفة معرفة العُرف القرآني بيان شروطه وبيان ما يميزه

ويوضح معالمه حتى لا يختلط بغيره. ولا يتم ذلك إلا ببيان ما يلي:

١. يجب أن يتميز الاستعمال القرآني للألفاظ أو للأساليب عن الاستعمال اللغوي، ولا بد من بيان ماهية هذا التميز.

٢. يجب أن تكون مواضع ورود العُرف القرآني مطردة أو غالبية، ولا يصلح أن تكون أكثرية أو مضطربة أو أن تكون وردت في القرآن مرة أو مرتين.

٣. لا بد من بيان أنه هل يشترط موافقة عادة السنة النبوية للعُرف القرآني ؟

وفيما يلي بيان هذه الأمور:

تميز العُرف القرآني عن الاستعمال اللغوي:

قلت في تعريف العُرف القرآني (طريقة القرآن التي انفرد بها)، وهذغيره، في تعريف العُرف القرآني، مهم جدا فلا بد في العُرف القرآني من أن يكون معنى اللفظ أو طريقة التركيب مما اختص به القرآن الكريم، فإذا جاء اللفظ في القرآن بنفس الاستعمال اللغوي ولم يغير القرآن في ذلك اللفظ لا بتخصيص ولا بتقييد ما فلا يعد ذلك اللفظ عُرفا قرآنيا، ومثال ذلك لفظ (مَزَجَ)، فقد ورد في القرآن في مواضع، وهي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥)، وقوله تعالى:

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (الإنسان: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ

تَسْنِيمٍ﴾ (المطففين: ٢٧).

ولفظه (مزج) لا تخرج عن معناها اللغوي الذي يدل على خلط الشيء بغيره^١،
فمثل هذا لا يدخل في العُرف القرآني ؛ لأن المراد بالعُرف القرآني أن يكون للقرآن في
اللفظ عادة اختص بها.

والأمر نفسه يقال في طريقة القرآن في النظم وهو تأليف الكلام ، فطريقة النظم
التي استعملها القرآن الكريم ولم يختص بها عن اللغة أو أن تكون جاءت من معهودات
اللغة فلا تعد من عُرف القرآن الكريم، وعلى سبيل التمثيل فلا يقال إن من عُرف القرآن
استعمال المجاز لان المجاز مما استعملته اللغة قبل نزول القرآن، ولا يقال إن من عُرف
القرآن استعمال المحسنات البديعية كالجناس والطباق وأمثال ذلك فهذا أيضا مما جاء عن
العرب قبل القرآن، وإنما طريقة النظم التي تعد من عُرف القرآن الكريم فهي الطريقة
التي عُرفت عن القرآن الكريم.

أما عن ماهية التميز فلا يشترط في العُرف القرآني أن يخرج معنى اللفظ عن
المعنى اللغوي، بل ربما يستعمل القرآن اللفظ بنفس معناه اللغوي ولكن لا بد من نوع
تقييد أو تخصيص كأن يكون للمعنى مثلا أكثر من معنى من قبيل المشترك اللفظي،
ويستعمل القرآن اللفظ في احد هذه المعاني، فيكون تميز القرآن في استعمال هذا اللفظ هو
قصر معنى اللفظ على احد معانيه.

^١. ابن منظور، لسان العرب، مادة مزج.

الاطراد أو الغالبية في العُرف القرآني:

يشترط في العُرف القرآني أن يأتي مطّرداً أو غالباً، وهذا يعني أن يخرج من

ذلك:

٠١ يخرج اللفظ أو الأسلوب الوارد في القرآن الكريم لمرة واحدة أو مرتين. فان مثل

هذا لا يقال فيه مطّرد ولا انه أغلبي.

٠٢ يخرج من ذلك استعمال القرآن للفظ أو الأسلوب على الوجه الاكثري.

وفرق كبير بين الاستعمال الأغلبي والاستعمال الاكثري. فإنه يشترط في

المستثنى من العادة القرآنية إذا كان أكثر من موضع أن يكون كثير الشواهد حتى يصح

أن يكون أغلباً، فاستثناء ثلاثة مواطن أو أربعة من عشرين آية مثلاً يعد أغلباً. واستثناء

ثمانى آيات أو تسع من عشرين يعد أكثرى لا أغلباً.

هل يشترط موافقة عادة السنة النبوية للعُرف القرآني ؟

فالتحقيق هنا انه لا يشترط في طريقة القرآن موافقة طريقة السنة النبوية.

ويعني ذلك انه لا يضر في ذلك مخالفة عادة السنة:

ومن الأمثلة التي توضح ذلك: مادة (وصف) في القرآن الكريم:

مدلول لفظة (وصف) في اللغة تعمّ مطلق الوصف للأشياء سواء أكان الوصف

كاذباً، أم كان الوصف صادقاً.

وكذلك جاء اللفظ في السنة النبوية مستعملاً في الصدق فعن عائشة: أن رجلاً

كان يُكثر قراءة (قل هو الله أحد)، فقال النبي: سلوه لم يفعل ذلك ؟

فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنما أحبها.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه ^١.

وإذا نظرنا في موارد هذه اللفظة في القرآن، نجد أن استعمال القرآن لها جاء استعمالاً خاصاً، وهو أنه يستعمل اللفظ فيما يكون من باب الكذب، وليس لمطلق الوصف أو لصادقه ومن أمثلة موارد الاستعمال القرآني الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَصِفُوا لَهُمْ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ

النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (النحل: ٦٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ

مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٣٩).

قال ابن تيمية: (.. الواصف إن لم يكن قوله مطابقاً كان كاذباً، ولهذا إنما يجيء الوصف في القرآن مستعملاً في الكذب) ^٢.

^١ أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦ / ٢٦٨٦)، و مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد (١ / ٥٥٧).

^٢ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد القاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م. [٦ / ١١٨ - ٣١٩].

الفصل الثاني :

طريقة استخراج العُرف القرآني و

الاصطلاحات الدالة عليه في كتب التفسير.

المبحث الأول: طريقة استخراج عُرف

القرآن.

المبحث الثاني: الاصطلاحات الدالة على

عُرف القرآن في كتب التفسير.

المبحث الأول:

طريقة استخراج عُرف القرآن.

إن طريقة التعرف على العُرف القرآني للفظة ما أو أسلوب ليست بالأمر الهين وبحاجة إلى علم غزير في معاني اللغة العربية وأساليب استعمال الألفاظ والتراكيب، وبحاجة أيضا إلى التدبر الحثيث في القرآن الكريم ومعرفة دقة القرآن في التعبير عن المعاني وطرائق استعمال الألفاظ والأساليب، لذا فانه يصح القول إن هذا الأمر من الأمور الجلال التي يقبل عليها العلماء ذوي الخبرة الواسعة، من أمثال علمائنا المفسرين الأوائل ومن سلك دربهم واقتفى أثرهم من علماء التفسير المعاصرين الذين هم خلف لأولئك رحم الله من قضى نحبه، وأمد الله في عمر من بقي منهم.

أثر الاستقراء في معرفة عُرف القرآن.

الاستقراء في اللغة: هو الاستنباع^١. وفي الاصطلاح يعني الاستقراء الملاحظة والتجربة^٢.

ولقد دلت أقوال أهل العلم على طريقة كشف عُرف القرآن هي الاستقراء ومما يدل على ذلك قول ابن عاشور: (وقد استقريت بجهد عادات كثيرة في اصطلاح القرآن)^٣، وقوله هذا بين في أن الطريقة المسلوكة في التعرف على العُرف القرآني هي الاستقراء بنص عبارته.

^١ انظر الرازي، مختار الصحاح مادة (قرأ).

^٢ عفيفي عبد الفتاح. المنطق الحديث، دار الفكر بيروت ص ٦١.

^٣ ابن عاشور، التحرير والتوير ٣ / ٧٨٦.

وقالت بنت الشاطي: (وقد اتبعت منهج استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالاته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم)^١، وقد قالت ذلك في بيان منهجها في معرفة مراد الألفاظ القرآنية، و بلا شك أن المرادات الخاصة في الاستعمال القرآني للفظ من عُرِف القرآن الكريم.

وقد يعبر عن ذلك في كلام أهل العلم بعملية جمع النظائر القرآنية. قال ابن تيمية: (ينبغي الحديث، إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ؛ ماذا عني بها الله ورسوله؟ فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث، وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده، وهي العادة المعروفة من كلامه)^٢.

وللاستقراء خطوات هي :

الخطوة الأولى: وتبدأ من الملاحظة، حيث يلحظ العالم أو المفسر من تدبر القرآن والتفكر في مواطن ورود اللفظ المختلفة أن اللفظ يستعمل في القرآن على معنى معين أو وجه ما. أو يلحظ ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم.

الخطوة الثانية: عملية جمع نظائر اللفظ أو الأسلوب في القرآن الكريم، ويجب أن تكون عملية الجمع تامة بحيث لا يغفل الباحث موطناً واحداً من مواطن ورود اللفظ في القرآن الكريم.

الخطوة الثالثة: عملية فحص هذه الملاحظة ويكون ذلك بالنظر في جميع موارد اللفظ أو الأسلوب في القرآن الكريم وتطبيق شروط العرف القرآني في اللفظ أو الأسلوب،

1 بنت الشاطي، عائشة، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف الطبعة الرابعة [٧ / ٢].

2 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٤ / ١١٠.

وهما شرطان كما تبين من قبل، وهما اختصاص القرآن بالاستعمال والثاني الاطراد أو الأغلبية في الاستعمال

الخطوة الرابعة: عملية إطلاق القاعدة في اللفظ أو بما يسمى العُرف القرآني للفظ، والقاعدة تكون بالحكم على الملاحظة.

ومن باب التمثيل لخطوات معرفة عُرف القرآن في معنى اللفظ المثال التالي:

الخطوة الأولى (الملاحظة).

كلمة (أصحاب النار) الموجودة في القرآن هل تعني أهلها الذين هم الكفار لا عصاة المسلمين ؟ أم تتجاوز ذلك إلى أن تطلق على عصاة المسلمين.

الخطوة الثانية (الاستقراء):

جمع جميع الآيات التي فيها كلمة (أصحاب النار).

والخطوة الثالثة عملية فحص الملاحظة، وبعد الفحص تبين أن حمل الآيات على

الملاحظة ممكن إلا أن هناك آيات ثلاث بحاجة إلى نظر دقيق:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

لِلَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ (المدثر: من الآية ٣١)

والمانع من الحمل على الملاحظة أن الآية صريحة في أن المراد الملائكة عليهم

السلام.

قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا

عَدَّتْهُمْ إِلَّا قِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سورة المدثر الآية ٣١، أي خزائنها (إلا ملائكة) أي زبانية

غلاظا شدادا).

ولو تم تعديل الملاحظة إلى القول بأن كلمة (أصحاب النار) في القرآن

يقصد بها الكفار إذا كان الخطاب للمكلفين. وبذلك يكون قد خرجت الآية التي كان المقصود فيها الملائكة من النقاش.

ثم جاء دور النظر في الآية الثانية وهي آية تتكلم عن الربا قال تعالى: ﴿وَمَنْ

عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢٧٥ سورة البقرة.

والمانع من حمل الآية على الملاحظة أن الربا وإن كان من كبائر الذنوب فلا يكفر صاحبه به.

و من المفسرين من يحمل الآية على مستحل الربا. قال البيضاوي: (ومن عاد)

إلى تحليل الربا إذ الكلام فيه (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لأنهم كفروا به.

فالضمير في عاد راجع إلى التحليل المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ

الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة من الآية ٢٧.

وقيل إن (من عاد) يعود إلى القول (إنما البيع مثل الربا) وأنه يكفر بذلك

فيستحق الخلود.

ولا مانع من حمل الآية على الملاحظة ففي ذلك حظ من النظر فيها عند أهل

العلم.

وبقي النظر في الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ

فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ سورة المائدة / ٢٩.

وهنا امتنع حمل الآية على الملاحظة كون الآية تتكلم عن عقوبة القتل التي هي

وان كانت كبيرة من الذنوب إلا أنها لا تكون كفرا مخرجا من الملة. بل كان ابنا ادم على

الإسلام وإن أذنب أحدهم، فقد قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على

الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيههم.^١

فكانت نهاية المطاف انه لا ينبغي أن تعمم تلك الملاحظة. وعلى هذا يمكن

أن يقال إن هذا اللفظ فيه عُرِف قراني غالب لا مطرد.

ولا بد هنا من التنبيه إلى أن الملاحظة ناتجة عن الاجتهاد، والاجتهاد عرضة

للصواب والخطأ، وكذلك عملية الاستنباع أو فحص الملاحظة هي عملية اجتهادية

تتعرض للخطأ أحيانا، وذلك أن المتفحص يحاول إثبات صحة الملاحظة بانطباق الآيات

عليها وقد يخطئ في تفسير آية أو يتكلف تطبيق الملاحظة عليها فتكون النتيجة غير

سليمة مع ظن الفاحص انه قد أصاب، وهذا كثير في دراسات الباحثين.

^١ الطبري جامع البيان ١٢ / ٢٥٣.

أثر السياق في معرفة عُرف القرآن.

السياق لغة من الجذر اللغوي (س و ق)، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقاً

وسيقاً) فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع ¹.

أهمية السياق:

علم السياق علم عظيم المنزلة، وهو من أهم ما يوصل للفهم الصحيح لكتاب الله تعالى؛ وإن من أعظم ما يبين منزلة هذا العلم أنه مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن، ذلك أنه تفسير للآية بما تضمنه نصها، أو بما سبقها ولحقها من الآيات.

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة "لكل مقام مقال". وتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

كما أنّ الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، وربما اتحد المدلول واختلف المعنى طبقاً للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقاً لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه (٦).

ومن أهمية معرفة السياق التفريق بين معاني "المشترك اللفظي"، وأنّ التحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق. فإذا تعدد معنى الكلمة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها. وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى. ويقوم السياق

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق).

ووضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديدا دقيقا مهما تعددت معانيها ويصرف ما يُدعى من التباس أو إيهام أو غموض في الدلالة.

كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في فوائد منها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، وردّ المفهوم الخاطيء.. وغيرها.

قال السيوطي في الإتيان وهو بصدد بيان أسباب الخطأ في التفسير بالرأي: (وما يجوز أن يراد به من غير نظر إلى ما يصلح به للمتكلم وسياق الكلام) ١.

وقال الزركشي في البرهان: (وليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سبق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز) ٢

وقال ابن تيمية: (ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة) ٣.

وقال ابن القيم (السياق برشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقيد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم) ٤

^١ السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ ، الإتيان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت و لبنان، ط ٢، ١٤١١ هـ ١٩٩١ (ج ٢ ص ١٧٩).

^٢ الزركشي، البرهان في علوم القرآن ص ١٨٦.

^٣ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١٨/٦

^٤ ابن القيم ، بدائع الفوائد ٢ / ٦٨

وقال ابن دقيق العيد: (أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من

كلامه).^١

وقالت بنت الشاطئ: في بيان منهجها: (وقد اتبعت منهج استقراء اللفظ القرآني

في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالاته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها

في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف

كله التماسا لسرها البياني)^٢.

ويجب التنبيه هنا على أن السياق قد يخرج اللفظ عن معناه العرفي إلى المعنوي

اللغوي، ولا يكون ذلك أبطلا للعرف القرآني، إذا اجبرنا السياق في إرادة المعنى اللغوي.

وفي ما يلي هذا المثال لتوضيح ذلك:

لفظ (النكاح) له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عرف القرآن أن يستعمل

في عقد الزواج فقط .

فالنكاح في الاستعمال اللغوي عقدا لزواج أو مجرد الوطء. و القرآن الكريم لا

يستعمل هذا اللفظ إلا بالمعنى الأول الذي هو عقد الزواج وهو متضمن للوطء. أما أن

يكون للوطء بلا عقد فليس كذلك.^٣

قال ابن تيمية: (ليس في القرآن لفظ نكاح إلا ولا بد أن يراد به العقد وإن

دخل فيه الوطء أيضا فأما أن يراد به مجرد الوطء فهذا لا يوجد في كتاب الله قط)^٤.

1 ابن حزم، إحكام الأحكام ٢/ ٢١١.

2 بنت الشاطئ، التفسير البياني ٢ / ٧.

3 انظر أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ١ / ٥١٧.

١٨٨ ابن تيمية، مجموع الفتاوى [٣٢ / ١١٣].

ومع ذلك فقد ورد قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ

طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسِرْحُونَهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴾

البقرة: ٤٩.

قال ابن كثير في تفسير الآية: (هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق

النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها وقد اختلفوا في النكاح:

هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن

إنما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك

وتعالى: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾^١.

ومن المعلوم أن السياق القرآني في هذه الآية قد حدد المقصود بالنكاح هنا وأنه

استعمل في العقد وحده من غير الوطء، وذلك لقوله تعالى: (من قبل أن تمسوهن) فلا

يمكن أن يكون المعنى العقد مع الوطء.

وإذا كان كذلك فلا يقال: إن هذه الآية أخرجت لفظ النكاح في القرآن عن كونه

يراد به العقد مع تضمنه للوطء.

وباختصار أيضا فإن القائل: نكح الرجل زوجته، لا يمكن أن يراد بالنكاح هنا

أنه العقد لوجود لفظ الزواج الذي حدده السياق وإنما يراد به هنا الوطء.

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم [٣ / ٦٥٧].

المبحث الثاني:

الاصطلاحات الدالة على عُرف القرآن في كتب التفسير.

لقد تنوعت وتعددت عبارات المفسرين في التعبير عن العُرف القرآني المطُرد والغالب، فمن الصيغ الدالة على عُرف القرآن المطُرد قولهم: حيث وقع كذا في القرآن فالمراد كذا. وذلك عُرف القرآن حيث ذكر في كل موضع. عُرف القرآن من أوله إلى آخره. جاء في عامة القرآن، عامة ما في القرآن من كذا. كل (كذا) في القرآن فالمراد به (كذا). حيثما أطلق في القرآن فالمراد كذا. لم يقع في القرآن إلا، ليس في القرآن كذا إلا. جاء التنزيل به في سائر القرآن. جميع ما جاء في القرآن. المطُرد في القرآن. اطرُد في التنزيل. هذا اصطلاح القرآن أو مصطلح القرآن. هذه لغة القرآن. عادة القرآن، من عادات القرآن. المؤلف من عادة القرآن. إطلاق القرآن. طريقة القرآن، الطريقة المعهودة في القرآن. من مبتكرات القرآن. أسلوب القرآن كذا. لفظ كذا يراد به في القرآن كذا. بذلك نزل القرآن، هذا استعمال القرآن. أينما ورد في القرآن لم يرد إلا (كذا). لم يرد خلاف ذلك في القرآن ولا في موضع واحد.

ومن الصيغ الدالة على العُرف الغالب، قولهم: الغالب في القرآن، أغلب ما في القرآن. كل كذا في القرآن يراد به ذا إلا.. أكثر ما في القرآن. المشهور في القرآن. أكثر استعمال القرآن.

وبعد النظر في هذه العبارات والصيغ يتبين أن استعمال المفسرين لهما من باب الاستعمال اللغوي، باستثناء بعض المواضع التي استعملوا فيها مصطلحات علمية قائمة بذاتها، فلا بد هنا من بيان هذه المصطلحات وبيان وجه العلاقة بين هذه المصطلحات وبين عُرف القرآن

أما هذه المصطلحات فهي على النحو التالي:

١. عادات القرآن.

٢. كلييات القرآن.

٣. اصطلاح القرآن أو مصطلح القرآن.

٤. مبتكرات القرآن.

٥. لغة القرآن.

٦. أسلوب القرآن.

٧. العُرف الشرعي.

وفيما يلي البيان:

أولاً: (عادات القرآن) .

بعد النظر المتأنّي في ما جاء عن المفسرين وكتب أهل العلم في موضوع عُرف القرآن، ثم النظر في المواضع التي سموها عادة القرآن وقد زادت على المائة وخمسين موضعاً في كتب التفسير وأهل العلم وجدت أن لا فرق بين قولهم: (عُرف القرآن) وقولهم: (عادة القرآن) ويستعملون اللفظ مكان الآخر بلا تخرج أبداً ويكون الكلام عن شيء بعينه فتارة يقولون عُرف القرآن وتارة عادة القرآن. وقد يرد لفظ عُرف القرآن معطوفاً على عادة القرآن في مكان واحد ومثال ذلك قول ابن القيم وهو يرفض تفسير الخنس في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُفِ ﴾ (١٦) سورة التكويد، بأنه البقر والغزلان حيث قال:

(إنه ليس بالبين إقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا عُرف القرآن ولا

عادته)^١ وليس المقام مقام تحرير الترجيح وعدمه وإنما المقصود أن عُرف القرآن وعادته اجتمعت في كلام ابن القيم على سبيل الترادف حيث لا فرق بينهما.

ثانياً: كليات القرآن.

الكليات بالنظر إلى المعنى اللغوي مأخوذة من لفظ (كلي) وأصلها (كل) وصيغة (كل) من صيغ العموم، لذا ظهر استعمال لفظ الكليات في سائر العلوم. فهناك كليات فقهية وكليات لغوية وكليات في التراجم وغير ذلك و كليات القرآن مصطلح يطلق على عدة أمور منها:

١٠ كليات القرآن بمعنى القواعد الكلية القرآنية، وما له متعلق واضح بالخصائص العامة للتشريعات الإسلامية:

و مثاله قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

أَكْسَبَتْ﴾ سورة البقرة ٢٨٦.

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ سورة الطلاق الآية (٢).

وغيرها من الآيات 2

١٢ كليات القرآن بمعنى الآيات التي تصدرت بعبارة (كل) . مثل قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ سورة الرحمن.

٣٠

^١ ابن قيم الجوزية ، التبيان في أقسام القرآن [٧٢ / ١]

^٢ انظر حسن الحريفي، الكليات الشرعية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه ، المغرب.

٣. كليات القرآن بمعنى كليات علوم القرآن.

وهي عبارة عن ضوابط أو علامات يُعرف بها المكي والمدني من الآيات والناسخ والمنسوخ من الآيات^١.

ومن أمثلتها قولهم:

- كل سورة فيها ذكر قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.^٢

- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية.^٣

- كل سورة فيها كلا فهي مكية.^٤

- كل سورة فيها (يا أيها الناس) مكية وكل سورة فيها (يا أيها الذين آمنوا) مدنية.^٥

- كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف.^٦

- كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة.^٧

^١ انظر للزركشي، البرهان ١ / ٢٤٠ والسيوطي، الإتيان ١ / ٣٣.

^٢ الزركشي، البرهان ١ / ٢٤٠ والسيوطي، الإتيان ١ / ٣٤.

^٣ مكي بن أبي طالب أبو محمد، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، تحقيق أحمد حسن فرحات ط دار المنار جدة الأولى ١٤٠٦ هـ. ص ١١٤.

^٤ الزركشي البرهان ١ / ٢٤٠

^٥ أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق أحمد عبد الواحد الخياط طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب ١٩٩٥ م ٢ / ٢٠٢.

^٦ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، التحبير في علم التفسير، تحقيق فتحي عبد القادر فريد دار العلوم للطباعة والنشر ط ١٩٨٢ م. ص ٢٥٢.

^٧ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام تفسير القرآن، تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد مكتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، ١٤١٠ (٢ / ٢٢٣).

٤ . كليات القرآن بمعنى كليات في تفسير معاني الألفاظ وأساليب استعمالها.

وقد قالوا في تعريفها انه: الألفاظ والأساليب الواردة في القرآن على معنى مطّرد.^١

وقالوا أيضا بأنها: ما يصدر به المفسرون تفسير بعض الألفاظ بالقول: كل ما

كان في القرآن من كذا فهو بمعنى كذا. أو ما يقوم مقام كلمة كل. مثل: ما ورد في

القرآن من كذا فهو كذا، أو حيثما ورد، أو لم يرد إلا كذا.^٢

وللمفسرين في أيراد الكليات طريقتان:

الطريقة الأولى: الإطلاق ؛ كقول ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد: (كلُّ

شيء في القرآن رَجَزٌ فهو عذاب.^٣

الطريقة الثانية: الإطلاق مع الاستثناء، وتُسمّى (الأفراد) .

والأفراد هي الألفاظ التي لا نظير لها ومعناها واحد في كل المواضع ، إلا ما

استثنى.

وأول من سبق في الكتابة في هذا الموضوع وسماه بالأفراد أحمد بن فارس،

في كتابه الأفراد.

أما عن العلاقة بين عُرف القرآن وكليات القرآن فان كليات القرآن بالمعنى

الأول والثاني والثالث لا دخل لها بما انا في صددته في هذا البحث، ويبقى النظر في النوع

الرابع والذي هو كليات في تفسير الألفاظ وأساليب استعمالها.

1 انظر: الطيار، مساعد، فصول في أصول التفسير، دار النشر الدولي للنشر و والتوزيع الرياض ، ط ١٤٣١هـ / ١٩٩٣ م. ص ١٢٢، و العبيد، د. علي سليمان، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ، مكتبة التوبة ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م. ص ١٢٠.

2 انظر: الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، رسالة دكتوراه ص ١٠٣.

3 انظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، [٣٠٥ / ١] .

والقول فيه: إن كليات القرآن اعم من عُرف القرآن الكريم، وبيانه ان كثيرا مما
أورده العلماء من الكليات لا اختصاص فيه للقران الكريم بل تكون من باب الاستعمال
اللغوي البحت .

ومن الأمثلة على ما أورده العلماء على أنه من الكليات وليس فيه عُرف قرآني
ما يلي:

١. لفظ (فاطر) :أوردها اصحاب الكليات قال الضحاك: (كل شيء في القرآن
فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض) وكذلك قال مقاتل^٢ والكفوي^٣
قلت: لفظ فاطر في اللغة معنى واحد هو الابتداء والاختراع ومنه معنى الشق
وفطر الله الخلق خلقهم وابتدعهم والفطرة الخلقة.^٤

وإذا كان هذا فيكون اللفظ وان اطرده في القرآن بنفس المعنى إلا انه ليس
بعُرف قرآني كون القرآن استعمله بنفس الاستعمال اللغوي ولا زيادة ولا تخصيص.

٢. لفظ (الأليم) : فعن ابن عباس: (كل شيء في القرآن اليم فهو الموجع)^١
ومثله عن الضحاك^٢ وأبي العالية^٣.

^١ ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٧ هـ تحقيق: أسعد الطيب مكتبة نزار الباز مكة المكرمة ط ١
٤١٧ هـ. ١٠ / ٣١٧٠ برقم ١٧٩١٧
و السيوطي، جلال الدين ٩١١ هـ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
لبنان [٥ / ٢٤٤]. وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو ٧٧٤ هـ ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم
بيروت ط ١ ١٤١٩ هـ [٣ / ٥٤٦] و السيوطي، الإتيان في علوم القرآن [١ / ٣٠٦].
^٢ المالطي، أبو الحسين محمد بن أحمد ٣٧٧ هـ ، التبيين والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق: يمان سعد
الدين الميادين الناشر: رمادي للنشر ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، ص ٨٨.
^٣ الكفوي، أبو لبقاء أيوب بن موسى، ١٠٩٤ هـ ، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق:
د. عنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة ، ط ٢، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م. ص ٦٧٤.
^٤ انظر الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد ٣٧٠ هـ ، تهذيب اللغة ، تحقيق: مجموعة من الباحثين الدار
المصرية للتأليف والترجمة [١٣ / ٣٢٥] والرازي، مختار الصحاح [٢ / ٧٨١] والفيروزآبادي، القاموس
المحيط ص ٥٨٧ والزيبيدي، تاج العروس [١٣ / ٣٢٥].

قلت: وكذلك معنى اللفظ في اللغة بمعنى واحد هو الموجه^٤، فهو وإن جاء مطرداً في القرآن فليس بعُرف قرآني.

٣٠ لفظ (الرجس): فعن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رِجْسِكُمْ

رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٧١) سورة الأعراف، قال: جاءهم منه عذاب، والرجس: كله عذاب في القرآن.^٥

قلت وهو كذلك في اللغة. قال صاحب مختار الصحاح: الرِّجْسُ القذر و

العقاب والغضب^٦

الخلاصة:

ونتيجة ذلك فإنه يمكن أن نقسم الكليات من حيث جريانها ضمن الاستعمال اللغوي أو اختصاص القرآن إلى قسمين فتكون الكليات التي جاءت بتقييد اللغة أو اختصاص القرآن بها عن اللغة يمكن عدّها من عُرف القرآن الكريم كونها جمعت شرطي

^١ السيوطي: الدر المنثور [٣٠ / ١] والشوكاني، محمد بن علي، ١٢٥٠ هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: د. عبدالرحمن عميرة دار الوفاء، ط ١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م [٩٨ / ١] والألوسي، روح المعاني [١٥٠ / ١] والكفوي، الكليات ص ١٦٤.

^٢ الطبري، جامع البيان [٢٨٤ / ١] والسيوطي، الدر المنثور [٣٠ / ١].

^٣ ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم [٤٤ / ١] برقم ١١٩.

^٤ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة [٤٠٢ / ١٥] والرازي، مختار الصحاح [١٨٦٣ / ٥] والفيروزآبادي، معجم مقاييس اللغة [١٢٦ / ١] والراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٢.

^٥ الطبري، جامع البيان [١١٨ / ١٣].

^٦ الرازي، أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان بيروت الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ - ١٩٩٥ مادة رجس [٢٦٧ / ١].

العُرف القرآني وهما العادة واختصاص القرآن عن اللغة. أما القسم الآخر من الكليات وهي التي جاءت على الاستعمال اللغوي البحث فهي غير داخلة في مسمى عُرف القرآن الكريم.

ثانياً: اصطلاح القرآن أو مصطلح القرآن.

الاصطلاح في اللغة يعود إلى الجذر (صلح): وهو ضد الفساد، ويقال أصلح الشيء إذا أقامه وأحسنه. ثم انتقل المدلول إلى معنى السلم؛ فيقال تصالح القوم، إذا حدث فيهم السلم، والتوافق. ومن تعريفات فعله الماضي: اصطلحوا، وصالحوا، واصلحوا، واصلحوا، وتصلحوا، والمصدر: الصلّاح، بكسر الصاد.¹

وجاء في (تعريفات) الجرجاني قوله: (الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول)²

وقد حدث اختلاف بين أهل العلم في إطلاق هذا المصطلح على القرآن الكريم، وسبب هذا الاختلاف كون القرآن من الله تعالى أنزله الله سبحانه من فوق سبع سماوات وليس من باب الاصطلاح الذي هو اتفاق طائفة³.

¹ للتفصيل انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: صلح، ص ٢٤٧٩/٤، والزمخشري، أساس البلاغة، طبعة دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠، ص ٣٤٥

² الجرجاني، التعريفات، مادة: صلح.

³ انظر حول هذا الكلام: النجار، د. عبد المجيد، مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم، بيروت ص ٢٨٨.

وقد أجاز هذا اللفظ كثير من علماء التفسير. حيث إن المصطلح القرآني ليس ضرورة أن يتفق عليه الناس، كما هو سائد في تعريف المصطلح. إذ يمكن أن يكون هناك مصطلح يأتي من جهة جاهز الاصطلاحية.¹

وعند النظر في استعمال المفسرين للفظ المركب (اصطلاح القرآن) يظهر من ذلك أنهم يريدون به معاني متعددة.

أولها: يطلق اصطلاح القرآن على التسمية الإسلامية أو اللقب الإسلامي.

ومن ذلك على سبيل التمثيل:

(القرية) في مصطلح القرآن تعني المجتمع أو الدولة القائمة بذاتها والتي تتبعها

مدن ومدائن. قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩٦) سورة الأعراف.

و(البويضة الملقحة) في المصطلح الطبي الحديث تسمى في مصطلح القرآن

(النطفة الأمشاج) قال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)

(٢) سورة الإنسان .

والمعجزات في مصطلح القرآن الكريم هي (الآيات). قال تعالى: (وَأَقْسَمُوا

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجِئَنَّكُمْ آيَةً يُؤْمِنُ بِهَا قُلُوبُ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)

(١٠٩) سورة الأنعام.

¹ انظر المصدر نفسه ص ٢٨٩.

والأشراف أصحاب النفود هم حسب مصطلح القرآن (الملاء) . قال تعالى: (لَقَدْ

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٥٩)

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٦٠) سورة الأعراف والاعتراف بالخطأ والاعتذار

حسب مصطلح القرآن هو (التوبة) .

ثانيها: يطلق اصطلاح القرآن على المعاني الشرعية للألفاظ.

ومثال ذلك قول ابن عاشور عن لفظ (الجحيم) : (صار علما بالغلبة على جهنم

دار العذاب في الآخرة في اصطلاح القرآن)^١ . أي في تسمية القرآن .

ومثاله أيضا قول الثعالبي: (والظن في اصطلاح القرآن الاعتقاد المخطئ عن

غير دليل، الذي يحسبه حقا وصحيحا)^٢ .

وقال ابن عاشور: (وقد استقرت بجهدى عادات كثيرة في اصطلاح القرآن

سأذكرها في مواضعها ومنها أن كلمة هؤلاء إذا لم يرد بعدها عطف بيان يبين المشار

إليهم فإنها يراد بها المشركون من أهل مكة كقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ

جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٩) سورة الزخرف .^٣

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير [١ / ٣٢٤٥]

^٢ الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان. [٨ / ٢٦] .

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١ ص ٢٣٤١ .

وقال في تفسير قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الزمر: ١٠:

(والأجر: الثواب في الآخرة كما هو مصطلح القرآن.)^١

ثالثها: يطلق اصطلاح القرآن على المفاهيم وهي تتبع الكلمة من القرآن الكريم ومحاولة الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن. والخروج باسم قرآني يحمل قضية بمدلولاتها، وذلك مثل مصطلح (الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..) وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) أصدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض)، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها..

رابعها: يطلق اصطلاح القرآن على الأسلوب القرآني المتبع. ومن أمثلة ذلك:

: قول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾

(٣١) سورة الذاريات: (وكان في الابتداء بذكر قوم لوط في هذه الآية على خلاف

الترتيب الذي جرى عليه اصطلاح القرآن في ترتيب قصص الأمم المكذبة بابتدائها بقوم

نوح ثم عاد ثم ثمود ثم قوم لوط أن المناسبة للانتقال من وعيد المشركين إلى العبرة

بالأمم الماضية أن المشركين وصفوا آنفا بأنهم في غمرة ساهون فكانوا في تلك الغمرة

أشبهه بقوم لوط)^٢.

^١ المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٣٤١.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير ج ١ ص ٢٣٤١.

وقال أيضا: (وهذا اصطلاح القرآن في الغالب أن يقرن الإيمان بالعمل الصالح

كما في قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ

مُخْضَرُونَ ﴾ (١٦) سورة الروم، حتى توهمت المعتزلة والخوارج أن العمل الصالح شرط

في قبول الإيمان ^١.

ومن المعلوم أن اقتران لفظ بلفظ أو ورود قصة لوط عليه السلام على خلاف

ترتيب قصص القرآن الذي هو مراعاة التسلسل الزمني وقد أطلق عليه ابن عاشور أنه

من اصطلاح القرآن إن هذا يخرج مصطلح القرآن عن أن يكون محصورا في وضع

التسمية للفظ أو معنى اللفظ بل إن طريقة استعمال اللفظ تدخل تحت مسمى اصطلاح

القرآن .

وعلى ما مضى فانه يتبين لي أن اصطلاح القرآن وعُرف القرآن من

المصطلحات المتقاربة وليست من المصطلحات المتطابقة أو المترادفة، حيث يطلق

اصطلاح القرآن على المفاهيم مثل مصطلح (الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض،

والخلافة..) ومثل هذا لا يطلق عليه انه من عُرف القرآن فالقول - مثلا - عن قضية

الجهاد في القرآن أنها من اصطلاح القرآن فان هذا لا دخل فيه للعُرف القرآني فقضية

الجهاد قضية ضخمة ذات مدلولات متشعبة وأحكام فقهية متباعدة ولا يصلح أن يقال إنها

من عُرف القرآن.

^١ المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٣٤١.

رابعاً: مبتكرات القرآن:

لم يرد هذا المصطلح في كتب التفسير إلا ما كان من تفسير ابن عاشور. وقد وقفت في تفسيره على ما يقارب ستة وعشرين مثلاً، وهذه بعضها أوردها بعد ذكر الآية التي ذكرها عندها:

فمنها: عند قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران - الآية ٧٣)، قال: (وأحسب أن وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن).^١

وقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ (إبراهيم - الآية ٩)، قال: (وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكرات القرآن).^٢
وقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد - الآية ٤)، قال: (والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال أو المسافر أثقاله، وهذا من مبتكرات القرآن).^٣

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (أنفال: من الآية ١)، قال: (وأعلم أنني لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن).^٤

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٧٧٢.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٢٢٦٧.

^٣ المصدر نفسه ١ / ٤٠٢٧.

^٤ المصدر نفسه ١ / ٧١١٢.

ومن الأمثلة على الأمثال والتشابيه:

قال ابن عاشور في بيان المثل في قول الله تعالى: ﴿فَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ

عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: ١٧٦): (وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فإن الالهث

حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وإن لم يكن
لاضطراب باطنه، سبب آت من غيره فمعنى {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ} إِنْ تَطَارَدَ وَتُهَاجِمَهُ. مشتق
من الحَمَل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله، يقال حمل فلان على القوم حملة شعواء أو
حملة منكرة. ^١

وكذلك حكم على المثل المذكور في قول الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ

أَتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ (العنكبوت: ٤١) بقوله: (وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن). ^٢

وبعد هذا التطواف في كلام ابن عاشور يتبين أن المراد بهذا النوع: ما استعمله
القرآن من الألفاظ والأساليب والتراكيب والأمثال والقصص والمعاني والتشابيه
والاستعارات مما لم يرد في كلام العرب قبله. وهو عند اسمه اللغوي من الابتكار وهو
الإبداع.

وإذا كان ذلك كذلك فإن هذا النوع من المعرفة عام يدخل فيه عُرف القرآن
الكريم ويتجاوزه إلى غيره، فلا يقال مثلا إن المثل الذي ضربه الله تعالى في العنكبوت
أنه من عُرف القرآن الكريم وإن كان من مبتكرات القرآن، وعليه فإن كثيرا من الأمثلة

^١ المصدر نفسه ١ / ١٦٧٤.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٣١٩٩.

التي أوردها ابن عاشور في المبتكرات لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة، وإنما مدار المبتكرات على أمر مبتكر بغض النظر عن وروده في القرآن مرة أو أكثر.

والخلاصة: أنه لا مانع من أن تكون المبتكرة القرآنية من عُرف القرآن بشرط ورودها بعادة متكررة وبشروط العُرف القرآني كما بينت سابقا.

خامسا: لغة القرآن.

يستعمل العلماء مصطلح (لغة القرآن) ويقصدون به عُرف القرآن في الألفاظ ومن الأمثلة على ذلك:

قال ابن تيمية: (ولهذا الحديث، أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ؛ ماذا عني بها الله ورسوله ؟ فيُعَرَف بذلك لغة القرآن والحديث، وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده، وهي العادة المعروفة من كلامه)¹. فسمى ابن تيمية العادة المعروفة من كلام القرآن التي هي عُرف القرآن لغة القرآن.

وقال رشيد رضا: (فلغة القرآن أن الزعم يستعمل في الباطل والكذب وهو يرد على الزاعمين ولا يقرهم على شيء)²

وهذا المصطلح (لغة القرآن) إذا أطلق فيقصد به اللغة الخاصة للقرآن الكريم وهو بلا شك معنى عُرف القرآن في الألفاظ. أما إن قصد به أن العربية لغة القرآن فهذا أمر اعم من العُرف القرآني.

1 ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ٧٢٨هـ ، الإيمان، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م (١١٠-١١٢) .

2 رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان (٥ / ٢٢٥) .

سادسا: أسلوب القرآن:

الأسلوب في اللغة يعني: الطريق والمذهب، يقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في الكتابة^١

وأسلوب القرآن الكريم في الاصطلاح: هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه^٢.

قال الزرقاني: (الأسلوب غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه)^٣.

ولقد أطلق المفسرون هذا المصطلح كثيرا على ما يفيد عُرف القرآن الكريم.

أما عن وجه العلاقة بين المصطلحين فيمكن تلخيصها بأنها علاقة العموم والخصوص من وجه. فليس كل أسلوب من عُرف القرآن، وإنما الأساليب الداخلة في مفهوم العُرف القرآني الأساليب التي انفرد بها القرآن الكريم عن أساليب الاستعمال اللغوي.

كما أن العُرف القرآني لا يقتصر على أساليب الكلام وإنما يتعدى ذلك إلى معاني الألفاظ والتراكيب وهي ليست من الأساليب.

سابعاً: العُرف الشرعي.

^١ انظر ابن منظور، لسان العرب، باب سلب [٢ / ١٧٨]. وانظر: الراغب، المفردات ص ٢٣٨.

^٢ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العُرفان في علوم القرآن، تحقيق فؤاد احمد زملي دار الكتاب العربي بيروت ط ١ ١٩٩٥ م (٢ / ٢١٨).

^٣ المصدر نفسه ٢ / ٢١٨

العُرف الشرعي: هو نفسه الحقيقة الشرعية للألفاظ: وهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي، وقد وضعت بوضع الشارع لا بوضع أهل الشرع^١.

وذلك كلفظة (الصلاة) فإنها في اللغة بمعنى الدعاء، وكذلك لفظة (الصوم) الذي هو بمعنى الصيام المخصوص المعروف في الشرع أصله في اللغة بمعنى الإمساك ومثل ذلك (الحج) فإنه في اللغة بمعنى القصد، والحج في الشرع اسم للمناسك المعروفة.

ومن جملة الحقائق الشرعية (الإيمان) فإنه في اللغة بمعنى التصديق، ونقل في الشرع إلى معنى اعتقاد صدق ما جاء به الرسول والإقرار بالعمل والنطق باللسان كل ذلك يسمى أيماناً وهو مرادف للإسلام.

ومن جملة الحقائق الشرعية (الكفر) فإنه في اللغة بمعنى الستر والإخفاء، وقد غلب اسم الكفر في الشرع على إنكار الخالق تعالى أو إنكار صفة من صفاته أو فعل من أفعاله.

قال ابن فارس: (كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسكهم وقرابينهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونُسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفي الآخر الأول.)^٢

^١ الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد سعيد البدري ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الأولى ١٤١٢ هـ (٣٣ / ١) . (٣٣ / ١) .

^٢ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ص ٤٤ .

ثم بدأ يمثل في كتابه لمثل هذه الألفاظ فقال: (فكان مما جاء في الإسلام ذكرُ
المؤمن والمسلم والكافر والمنَافق و إن العربَ إنما عُرِفَت المؤمن من الأمان والأيمان
وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بها سُمِّي المؤمنُ بالإطلاق مؤمناً.
وكذلك الإسلام والمُسلم إنما عُرِفَت منه إسلامُ الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما
جاء وكذلك كانت لا تُعرف من الكُفر إلا الغطاء والستر فأما المنافقُ فاسمٌ جاء به الإسلام
لقوم أبطنوا غيرَ ما أظهروه وكان الأصل من نفاقه التَّربُّوع ولم يُعرفوا في الفسق إلا
قولهم: فسَقَت الرُّطْبَةُ إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاشُ في الخروج
عن طاعة الله تعالى)^١.

ويمضي متحدثاً عن الصلاة والصيام والزكاة والحج فقال: (ومما جاء في
الشرع: الصلاة وأصله في لغتهم الدَّعاء وقد كانوا يُعرفون الرُّكُوع والسجودَ وإن لم يكن
على هذه الهيئة، وكذلك الصيامُ أصله عندهم الإمساك ثم زادت الشريعة النِّيَّة وحظرت
الأكلَ والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم، وكذلك الحجَّ لم يكن فيه عندهم غير القصد
ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره، وكذلك الزكاة لم تكن العربُ
تُعرفها إلا من ناحية النماء وزاد الشرعُ فيها مآزاده، وعلى هذا سائر أبواب الفقه فالوجه
في هذا إذا سئل الإنسانُ عنه أن يقول فيه اسمان: لُغوي وشرعي)^٢.

علاقة العُرف الشرعي بالعرف القرآني:

العُرف الشرعي والعُرف القرآني ليسا من الألفاظ المتطابقة، بل العلاقة بينهما
علاقة العموم والخصوص من وجه.

^١ المصدر نفسه ص ٤٥.

^٢ المصدر نفسه ص ٤٥.

فالعُرف الشرعي اعم من العُرف القرآني من ناحية أن العُرف الشرعي في ألفاظ القرآن وألفاظ السنة بينما العُرف القرآني خاص بألفاظ القرآن. إضافة إلى أن العُرف القرآني قد يطلق على ما اصطلح عليه القرآن مما كانت اللغة بخلافه ولكن العُرف الشرعي يتعلق بما كان عُرفا خاصا بالقرآن وما كان داخلا في اللغة.

ومن الأمثلة على الألفاظ التي فيها عُرف شرعي ولم ترد في القرآن بل وردت في السنة النبوية لفظ السحور والإمساك في الصيام، والأذان، وغير ذلك.

ومن ناحية أخرى لعموم العُرف الشرعي على العُرف القرآني فإن كثيرا من الألفاظ التي فيها عُرف شرعي ووردت في القرآن لمرة واحدة فهذه الألفاظ وإن كان فيها عُرف شرعي إلا أنها ليست من عُرف القرآن كونها ليست بعادة جرى عليها القرآن الكريم. ومن الأمثلة على ذلك لفظ الجزية: فقد ورد لفظ الجزاء على المعنى اللغوي كثيرا في القرآن أما المعنى الشرعي لهذا اللفظ (الجزية) وهي ما يأخذه المسلمون من أهل الذمة، أو المال الذي يعقد عليه الكتابي الذمة. فهذا لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ سورة التوبة الآية (٢٩).

وأيضا لفظ الميقات: كان هذا اللفظ في لغة العرب عاما لكل ميقات في حياة الناس ثم خصه القرآن في ميقات الحج، ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ سورة البقرة الآية (١٨٩).

والعُرف القرآني: اعم من العُرف الشرعي من ناحية أن العُرف الشرعي لا يكون إلا في معاني الألفاظ كلفظ الصلاة والصيام وغير ذلك، أو في الأحكام الشرعية التي عُرفت واشتهرت من قبل الشرع، ومثال ذلك قول الزركشي: (قطع النكاح قد ثبت له في عُرف الشرع الحكم بنصف المهر قبل الدخول)^١، أما العُرف القرآني فممنه ما هو كذلك وممنه ما يدخل في أساليب استعمال الألفاظ وأساليب عرض الموضوعات. ولا يقال عن هذه الأساليب أنها من عُرف الشرع.

^١ الزركشي أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، المنثور في القواعد، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة الثانية، ١٤٠٥ (٢ / ٩٠).

الفصل الثالث :

**أثر الدلالة العُرفية في تفسير
النصوص الشرعية وغير الشرعية و ثمرات
العُرف القرآني في تفسير القرآن الكريم.**

**المبحث الأول: أثر الدلالة العُرفية في
تفسير النصوص الشرعية وغير
الشرعية.**

**المبحث الثاني: ثمرات العُرف القرآني في
تفسير القرآن الكريم.**

المبحث الأول:

أثر الدلالة العرفية في تفسير النصوص الشرعية وخير الشرعية.

المقصود بالدلالة العرفية للألفاظ.

يقسم علماء الشريعة حقائق الألفاظ إلى أقسام ثلاثة هي: الحقيقة اللغوية، والحقيقة العرفية، والحقيقة الشرعية.

أ - الحقيقة اللغوية:

أما الحقيقة اللغوية فهي ما وضعها واضع اللغة، ودلت على معانٍ مصطلح عليها في تلك المواضع، وعُرفت بأنها: اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في اللغة.^١ وهذا نحو قولنا: السماء والأرض، والإنسان والفرس، فهذه الألفاظ وما شاكلها تستعمل في معناها الأصلي ويسبق إلى الذهن معناها الذي تدل عليه دون الحاجة إلى تقييدها بقرينة تبين المراد منها.

ب - الحقيقة الشرعية:

لقد سبق المقصود بها، ولا بأس أن أذكر مجرد التعريف: فهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي.

ج - الحقيقة العرفية:

وهي أن ينقل الاسم من معناه اللغوي إلى معنى آخر يتعارف عليه الناس.^٢

^١ الشوكاني، إرشاد الفحول (١ / ٣٣) .

^٢ انظر: الشيرازي، المص في أصول الفقه [١ / ٣٠]، والمقدسي، روضة الناظر [٢ / ٩]، والزرکشي، البحر المحيط في أصول الفقه [٢ / ١٥٦]، والعاملي، زين الدين بن علي، الروضة البهية في شرح الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، دار العالم الإسلامي ببيروت ص ١٨٠.

فان كثر عدد المتعارفين سمي الاسم المنقول: حقيقة عُرْفِيَّة عامة، وإن قلوا

سمي: حقيقة عُرْفِيَّة خاصة، فهي قسمان: عامة وخاصة بحسب قلة المتعارفين وكثرتهم.^١

و الحقيقة العُرْفِيَّة العامة لها صورتان:

"الأولى": أن يشتهر استعمال المجاز بحيث يكون استعمال الحقيقة مستكرا، مثال

ذلك:كقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) ٢١ / النساء، أي حرم عليكم نكاح أمهاتكم ،

وقوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ) ٣ / المائدة ، أي حرم عليكم أكل الميتة.

ومثل ذلك أيضا: اسم (الغائط) فإنه في أصل اللغة للموضع المطمئن من

الأرض^٢ ، ونقل بالعُرف إلى الخارج المستقذر من الإنسان، وهم إنما سموه بذلك لنفسرة

الطباع عن التصريح باسمه الخاص به، فيكنون عنه باسم ما انتقل عنه.

"الثانية": أما الصورة الثانية من الحقيقة العُرْفِيَّة العامة فهي كأن يكون الاسم قد وضع في

اللغة لمعنى عام ثم يخصص بالعُرف ببعض ما كان يفيد معناه اللغوي، وبعبارة أخرى:

قصر الاسم على بعض مسمياته وتخصيصه به، وذلك كلفظ "الدابة" مثلا فإنها في أصل

الوضع موضوعة لكل ما يدب على الأرض، وقد غلب على هذا اللفظ استعمال العامة له

في نوات الأربع فهم يقصرونه عليها، ولا يتبادر منه عند الإطلاق إلا ذلك .

والحقيقة العُرْفِيَّة الخاصة:

1 انظر الشيرازي، اللمع في أصول الفقه ١ / ٣٠ وروضة الناظر ٢ / ٩ والبحر المحيط للزركشي ٢ / ١٥٦.

² الفراهيدي، العين (٤ / ٤٣٥).

هي ما تعارف عليها أهل عُرف خاص، وتسمى "اصطلاحية" أيضا، وذلك كمصطلحات العلوم عند أصحابها، كلفظ "الفعل" عند النحاة - مثلا - اسم لنحو "ضرب"، وأخبر وهو عُرف خاص بهم لأنه في أصل الوضع اسم للحدث مطلقا.

ومن ذلك عُرف الفقهاء أو عُرف النحاة أو عُرف المتكلمين أو عُرف أهل الحديث وغير ذلك من أعراف علوم الشريعة، ولقد تعارف المشتغلون في الفلك والطب والهندسة والنحو وغيرها على مصطلحات خاصة لكل منها، لتدل على معان معينة في تلك العلوم.

قلت:

٠١ وقد تسمى الحقيقة الشرعية العُرف الشرعي، لأن الشارع لم يضع الاسم للمعنى بل غلب استعماله فيه. وإجمال الأمر أن دلالة الألفاظ على المعاني إما أن تكون بالوضع أو بغلبة الاستعمال، فإن كانت بالوضع فهي الحقيقة اللغوية للألفاظ، وإن كانت بغلبة الاستعمال فهي الدلالة العُرفية. ثم يقال: إن كانت جهة الاستعمال الشرع فهو العُرف الشرعي الكتاب والسنة وإن كانت جهة الاستعمال هي أهل اللغة فهو عُرف الناس.

٠٢ قد يضاف العُرف إلى عالم بعينه فيقال - مثلا - إن الإمام أحمد يأخذ بالحديث الضعيف والحديث الضعيف في عُرفه يعني الحسن. أو أن يقال إن عُرف الإمام البخاري في قوله في الراوي: لا بأس به أنه مجروح.

٠٣ يمكن أن نقسم العُرف اللغوي من حيث زمان نزول الشرع إلى عُرف لغوي قبل نزول الشرع. و عُرف لغوي زمن التنزيل (عُرف الصحابة). و عُرف لغوي حادث (عُرف ما بعد التنزيل).

أثر الدلالة العرفية في تفسير النصوص الشرعية:

اختلف الفقهاء والاصوليون في أي الحقائق أولى بالتقديم عند إمكانية الحمل

على الجميع ؟

وقد بني هذا الاختلاف على اختلاف قبله وهو اختلافهم في تحديد المراد بالحقيقة

العرفية في قاعدة تفسير النصوص سابقة الذكر.

فمقصود الأصوليين بالحقيقة العرفية في القاعدة عُرف أهل اللغة العربية قبل

نزول الشرع أو عُرفهم في وقت نزول الشرع أو بما يُعرف بعُرف الصحابة، بينما يقصد

الفقهاء بالحقيقة العرفية في هذه القاعدة عُرف الناس بعد نزول الشرع إلى يوم القيامة.

فقال علماء الأصول: إن الأصل أن تحمل الألفاظ على المعاني الشرعية ثم على

المعاني العرفية ثم على المعاني اللغوية ما لم تظهر قرينة مانعة من هذا الترتيب^١

قال الأسنوي: (إذا تردد اللفظ الصادر من الشارع بين أمور فيحمل أولاً على

المعنى الشرعي لأنه عليه الصلاة والسلام بعث لبيان الشرعيات فإن تعذر حمل على

الحقيقة العرفية الموجودة في عهده عليه الصلاة والسلام لأن التكلم بالمعتاد عُرفاً أغلب

من المراد عند أهل اللغة فإن تعذر حمل على الحقيقة اللغوية لتعينها بحسب الواقع)^٢

وخالف في ذلك الفقهاء حيث قالوا: إن ما ليس له حد في الشرع، ولا في اللغة،

يرجع فيه إلى العُرف.

^١ انظر في تقرير هذه القاعدة: الزركشي، البرهان في علوم [٢٠٧/٢] وما بعدها، و السيوطي، الإتقان في علوم القرآن [١٨٢/٢]، والشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص ٤١١.

^٢ الأسنوي أبو محمد، عبد الرحيم بن الحسن، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول تحقيق: د. محمد حسن هيتو مؤسسة الرسالة - بيروت للطبعة الأولى، ١٤٠٠ ص ٢٣٠.

فقول الأصوليين صريح في تأخير اللغة عن العُرف وقول الفقهاء صريح في

تأخير العُرف عن اللغة.

وجمع بين قول الاصوليين وبين قول الفقهاء بعدم ورود القولين على محل

واحد، ذلك أن كلام الفقهاء في الضوابط، وهي في اللغة أضبط، فتقدم اللغة بالنسبة

إليها، وكلام الأصوليين في أصل المعنى، وهو في العُرف أظهر، فيقدم بالنسبة إليه.

قال البيضاوي: (واعلم أن من القواعد المشتهرة على ألسنة الفقهاء أن ما ليس

له حد في الشرع ولا في اللغة يرجع فيه إلى العُرف قال والذي في شرح المذهب وليس

مخالفا لما يقوله الأصوليون من أن لفظ الشارع يحمل على المعنى الشرعي ثم العُرفي ثم

اللغوي

قال والجمع بين الكلامين أن مراد الأصوليين إذا تعارض معناه في العُرف

ومعناه في اللغة قدمنا العُرف ومراد الفقهاء إذا لم يُعرف حده في اللغة فإننا نرجع فيه إلى

العُرف ولهذا قالوا كل ما ليس له حد في اللغة ولم يقولوا ليس له معنى فالمراد أن معناه

في اللغة لم ينصوا على حده بما يبينه فيستدل بالعُرف عليه ¹

ومما قيل في الجمع بين قول الفقهاء وقول الأصوليين أن كلام الأصوليين في

اللفظ الصادر من الشارع، وكلام الفقهاء في الصادر من غير الشارع.

ومنها أن مراد الأصوليين العُرف الكائن في زمنه عليه الصلاة والسلام،

ومراد الفقهاء غيره من الأعراف الناتجة بعد ذلك.

¹ السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ تحقيق: جماعة من العلماء.

قال الأسنوي: (وأما اللفظ الصادر من غير الشارع، فقال الرافعي في الطرف السابع من تعليق الطلاق: إنه إذا تعارض المدلول اللغوي والعرفي فكلام الأصحاب يميل إلى اعتبار الوضع والإمام والغزالي يريان إتباع العرف)^١ ثم ذكر بعده بأسطر مثله فقال: (الأصح وبه أجاب المتولي مراعاة اللفظ فإن العرف لا يكاد ينضبط ذكره في أول الفصل المعقود للألفاظ الواقعة عند مخاصمة الزوجين ومشاتمها ومنه قول الفقهاء ما ليس له ضابط في الشرع ولا في اللغة يرجع فيه إلى العرف فإنه يقتضي تأخير العرف عن اللغة وهو صحيح إذا حمل على ما ذكرناه فتفطن لما ذكرته فإن كثيرا من الناس قد اشتبه عليه ذلك وظن الاتحاد في التصوير والاختلاف في الجواب)^٢.

أدلة تقديم العرف الشرعي في النصوص الشرعية :

تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية والعرفية من القواعد التي قررها جمهور علماء التفسير وعلماء الأصول وعلماء الفقه.^٣

وهذا قول الجمهور خلافا لأبي حنيفة^٤ والباقلاني، قال الشوكاني: (إذا وردت في كلام الشارع (أي الحقيقة الشرعية) مجردة عن القرينة هل تحمل على المعاني الشرعية أو على اللغوية ؟ فالجمهور قالوا بالأول و الباقلاني ومن معه قالوا بالثاني)^١.

^١ الأسنوي / التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص ٢٣٠.

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

^٣ انظر: ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر ١٤ / ٢ والامدي، أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤، تحقيق د. سيد الجميلي [٢٥ / ٣]، والاسنوي، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ص ٢٢٨. و الزركشي، البحر المحیط [٤٧٣ / ٣]. وابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوح الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ت ٩٧٢ هـ تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، مكتبة المبيكان ١٤١٣ هـ ٩٩٣ م [١ / ٢٩٩]. والشوكاني، إرشاد الفحول ص ٢٩٠ و ٤٦٣.

^٤ انظر كلام أبي حنيفة وحجته عند ابن النجار، شرح الكوكب المنير [٣ / ٤٣٥] وعند البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين، كشف الأسرار عن أصول فخرى الدين البيزدوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤١٨ تحقيق عبد الله محمود محمد عمر [٢ / ٧٦].

وحجة من قدم اللغوية أن المعنى الشرعي مجاز والمعنى اللغوي حقيقة وحمل
الكلام على الحقيقة مقدم على المجاز.

ومن أدلة الجمهور على هذا التقديم:

١٠ أن القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم إنما جاءا ببيان الشرعيات التي
لا تُعرف إلا من جهته لا لتعريف ما هو معروف لأهل اللغة.^٢

٢٠ الأحكام تتعلق بالاسم الشرعي دون اللغوي فوجب حمله عليه.^٣

٣٠ المعنى الشرعي كالناسخ للمعنى اللغوي.^٤

٤٠ من كان له عُرف في لفظه وجب حمله عليه وكذلك القرآن فالحقيقة الشرعية
من عُرفه.^٥

ولقد ذكر صاحب الكوكب الإجابات على أبي حنيفة كما يلي.

أولاً: بأن الحقيقة الشرعية حقيقة بالنسبة للشرع ومجاز بالنسبة للغة.

ثانياً: كون المعاني المستفادة من عُرف القرآن تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن
الذي هو في صدارة ألوان التفسير، ذلك أن أولى ما يفسر به كلام المتكلم أن يفسر كلامه

^١ الشوكاني إرشاد الفحول ١ / ٣٣.

^٢ انظر: الامدي الإحكام [٢٦ / ٣] و الزركشي، للبحر المحيط [١٦٨ / ٢ و ٤٧٣ / ٣] وابن النجار،
شرح الكوكب [٤٣٣ / ٣].

^٣ انظر - ابن عبد البر النمري، أبو عمر يوسف بن عبدالله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ٤٦٣ هـ
تحقيق: مصطفى العلوي محمد البكري ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م [١٤١ / ٤].

^٤ انظر: ابن النجار ، شرح الكوكب [٤٣٤ / ٣].

^٥ انظر ابن النجار، شرح الكوكب [٢٩٩ / ١] والزرقاء، المدخل الفقهي العام [٨٥٢ / ٢].

بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا وأن يفسر اللفظ بنظيره وبذلك تُعرف عاداته وطريقته في استعمال الألفاظ على المعاني وما يريده بذلك اللفظ إذا تكلم به.¹

وعلى هذا فإن اللفظ إذا دار بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، فإن التفسير الصحيح هو الذي يحمل اللفظ على حقيقته الشرعية ؛ لأن الشرع قد نقل هذا اللفظ من معناه اللغوي إلى معنى شرعي جديد فوجب التزامه قال الماوردي: إذا كان أحد المعنيين مستعملاً في اللغة والآخر مستعملاً في الشرع، فيكون حمله على المعنى الشرعي أولى من حمله على المعنى اللغوي لأن الشرع ناقل.²

ومن أوضح أمثلة احتمال التعارض بين المعنى الشرعي والمعنى اللغوي ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (التوبة: من الآية ٨٤)، إذ السياق يحتمل المعنيين، فقد يكون المراد: لا تدع لهم، وهو معنى الصلاة في أصل اللغة. وقد يكون المراد لا تصل عليهم صلاة الجنازة، وهو المعنى الشرعي المخصوص، وهو المقدم هنا حسب القاعدة السابقة.

ولكن إن دل دليل على إرادة الحقيقة اللغوية فالنزوع إليها لازم، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٣).

1 انظر الإجابة على أبي حنيفة عند ابن النجار، شرح الكوكب [٤٣٥ / ٣]

2 - الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ٤٥٠هـ، النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م. [٣٨/١]

فالصلاة هنا لا يُراد بها الصلاة الشرعية، بل الصلاة بمعناها اللغوي، وهو الدعاء، ويدل على ذلك قول عبد الله بن أبي أوفى: (... ثم كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه قوم بصدقة قال: اللهم صلّ عليهم. فأتاه أبي بصدقته، فقال: اللهم صلّ على آل أبي أوفى)^١ فدلّ هذا الحديث على أن صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن جاء بصدقته ليست صلاة مخصوصة، بل هي مجرد الدعاء لهم، ولو كانت صلاة مخصوصة كصلاة الجنائز أو غيرها لبيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم بفعله.

أدلة العلماء في تقديم الدلالة العرفية على اللغوية:

١. أن المعنى العرفي اظهر في الخطاب من المعنى اللغوي لأنه هو المتبادر إلى الفهم وما وضع الكلام إلا للإفهام لذا يقدم المعنى العرفي.^٢

٢. المعنى العرفي ناسخ للغة.^٣

٣. التكلم بالمعتاد (المعنى العرفي) أغلب من التكلم بغير المعتاد (المعنى اللغوي) لذا يقدم المعنى العرفي.

ومن أمثلة تقديم الحقيقة العرفية على اللغوية قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ

رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ { سورة الأعراف / ٧ .

^١ أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة [٤٢٧ / ١] برقم (١٢١٠) ومسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقة (١٨٦٥ / ٤) برقم (٢٤) .

٢ انظر: البخاري عبد العزيز، كشف الأسرار عن أصول البيهقي [١٧٨ / ٢] وابن النجار، شرح للكوكب [٤٣٥ / ٣] .

٣ انظر: القرافي، الفروق [١٧٣ / ١] .

فالتوفي معناه اللغوي: أخذ الشيء وافئًا، ومنه استوفيتُ الطعامَ، أي: أخذته وقبضته وافئًا.¹

ومعناه العُرفي: قبْضُ الروح من الجسد. والمراد بالتوفي في الآية معناه العُرفي.

أثر الدلالة العُرفية في فهم النصوص غير الشرعية:

إن أحسن طريق لمعرفة مراد المتكلم الاستدلال ببعض كلامه على بعض حسب قواعد لغته التي يتكلم بها.

قال ابن تيمية: (اللفظ إنما يدل إذا عُرِف لغة المتكلم التي بها يتكلم، وهي عادته وعُرفه الذي يعتاده في خطابه، ودلالة اللفظ على المعنى دلالة قصدية إرادية اختيارية، فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى، فإذا اعتاد أن يعبر اللفظ عن المعنى كانت تلك لغته).²

وقال: (فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا وتعرف ما عادته يعينه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به وتعرف المعاني التي عُرِف أنه أرادها في موضع آخر فإذا عُرِف عُرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده)³

ولقد ناقش العلماء قضية دلالة ألفاظ الواقف، هل تحمل على عُرفه أم على العُرف الشرعي أو الوضع اللغوي. وفي المسألة خلاف وجمهور أهل العلم على اعتبار دلالة عُرف الواقف، وهذه جملة من أقوال أهل العلم في اعتبار عُرف الواقف:

¹ الرازي أبو بكر، مختار الصحاح، ٢ / ٤٣٢.

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٧ ص ١١٥

³ المصدر نفسه ٢٨٦/٧.

قال ابن عبد السلام: (فصل في تنزيل دلالة العادات وقرائن الأحوال منزلة صريح الأقوال في تخصيص العموم وتقييد المطلق وغيرهما، وله أمثلة. ١) ثم سرد جملة منها.

وقال الغزالي: (. . وعلى الجملة فعادة الناس تؤثر في تعريف مرادهم من ألفاظهم. ٢) .

وقال ابن تيمية: (. . مع أن التحقيق في هذا أن لفظ الواقف ولفظ الحالف والشافع والموصي وكل عاقد يُحمل على عادته في خطابه ولغته التي يتكلم بها ; سواء وافقت العربية العرباء، أو العربية المولدة، أو العربية الملحونة، أو كانت غير عربية وسواء وافقت لغة الشارع، أو لم توافقها ; فإن المقصود من الألفاظ: دلالتها على مراد الناطقين بها ; فنحن نحتاج إلى معرفة كلام الشارع ؛ لأن معرفة لغته وعُرفه وعادته تنل على معرفة مراده ، وكذلك في خطاب كل أمة وكل قوم ; فإذا تخاطبوا بينهم في البيع والإجارة أو الوقف أو الوصية أو النذر أو غير ذلك بكلام رُجع إلى معرفة مرادهم، وإلى ما يدل على مرادهم: من عادتهم في الخطاب ; وما يقترن بذلك من الأسباب)^٣.

^١ ابن عبد السلام، قواعد الأحكام، دار الكتب العلمية بيروت (١٢٦/٢)

^٢ الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستقصى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٣، (٢٤٨)

^٣ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٥٨/٤)

المبحث الثاني:

ثمرات العُرف القرآني في تفسير القرآن الكريم.

يمكن إجمال فوائد معرفة عُرف القرآن فيما يلي:

أولاً: من فوائد معرفة عُرف القرآن الترجيح بين أقوال المفسرين.

إن من أهم ثمرات معرفة معرفة عُرف القرآن الكريم القاعدة المتفرعة عن ذلك، وهي أن حمل معاني القرآن على المطرّد أو الغالب من عاداته في استعمال الألفاظ والأساليب.

والمقصود أنه إذا تنازع المفسرون في تأويل الآية وتعددت أقوالهم في ذلك، فإن القول الموافق لعُرف القرآن هو المتعين على ما سواه من المعاني الأخرى.

وحمل معاني القرآن على المعهود من عاداته في استعمال الألفاظ والأساليب على الوجه المطرّد أو الغالب هو المنهج الصحيح في تفسير القرآن الكريم إلا أن يأتي معارض مقاوم لهذا الإلحاق أقوى منه. ومعرفة عُرف القرآن في استعمال الألفاظ والأساليب يفيد في معرفة أولى المحامل في تفسير آيات القرآن الكريم.

ذلك أن حمل الكلام أولى المحامل فيه أن يحمل على عُرف المتكلم الخاص به، فإن القرآن كذلك يقال فيه أن أولى المحامل أن يحمل على عُرفه الخاص به. ولا ريب أن معرفة عادات القرآن في استعمال الألفاظ والأساليب يكشف عن المراد الدقيق لمعنى اللفظ أو الآية. ذلك أن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً فإن كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الأصلية خصصها لخطاب. مال بمعانٍ اخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها وبتعدد

الاستعمال عبر العصور وفي مختلف البيئات والمناسبات يتم للكلمة أكثر من معنى وهذه المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصلي وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها، فبعد هذا يقال: كثيرا ما يفهم من اللفظة أو من التركيب اللغوي أو من الأسلوب في الكلام معاني كثيرة محتملة في اللغة بعضها معاني أصلية وبعضها معاني تابعة، ولا يكون المتكلم بالكلام يريد بها جميعها، وإذا أردنا الوقوف على مراد المتكلم بكلامه ومعرفة قصده والمعاني التي أرادها بخطابه، فيتوجب علينا النظر في عاداته في استعمال الألفاظ والتراكيب على المعاني وعُرفه في ذلك. وكذلك القرآن الكريم الذي هو كلام الله فهو وإن كان نزل بلغة العرب إلا أن له لغة خاصة به تسمى لغة القرآن أو عُرفه والمعهود من معانيه واستعمالاته أو عاداته في الخطاب.

و لقد بيّن المفسرون أن الواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من استعماله، ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له.

قال ابن جرير الطبري: (إن الكلام إذا تنوزع فيه فحمله على الأغلب المشهور من معناه أولى من غيره ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم بها)^١.

وقال النحاس: (والواجب أن يحمل الكلام على الظاهر المعروف من المعاني إلا أن يقع دليل على غير ذلك)^٢.

وقال ابن القيم: (للقرآن عُرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عُرفه والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من

1 الطبري، جامع البيان ٧ / ٢٢١.

2 النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٨ هـ، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط ٢ ١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م. (٥ / ١٣٢).

الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها ؛ فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به. .. فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي). ويقول ابن دقيق العيد: (ما اشتهر في الاستعمال فالقصد إليه هو الغالب) ٢. ويقول الشنقيطي: (غلبة إرادة المعنى المعين في القرآن تدل على أنه المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أولى) ٣.

وقد جعل الشنقيطي ذلك أحد أنواع البيان التي اعتمد عليها في كتابه فقال: (ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبنه فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية) ٤.

وتتضح أهمية إتباع هذا المنهج في تفسير القرآن العظيم في أن ألفاظ القرآن الكريم تحتل المعاني الكثيرة بالنظر إلى مجرد المعنى اللغوي، ولا شك أن حملها على كل ما تحتمله بمجرد الاحتمال اللغوي موقع في الخطأ واللبس والتناقض، والمخرج من ذلك هو الاعتماد على الإلحاق بالأعم الأغلب لينضبط الاستدلال.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبغوا فضلا من ربكم﴾ ١٩٨ /

البقرة.

١ ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/٢٤٨-٢٤٩.

٢ ابن دقيق العيد، أبو الفتح، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتاب العربي بيروت ٣/٣١٤.

٣ الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ١٤٠)

٤ المصدر نفسه ١ / ١٨ - ١٩.

فقد فسر الشنقيطي الفضل بأنه الربح في التجارة وذلك إلحاقاً بالغالب في

استعمال القرآن لهذا اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَأُخْرُونَ يُضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

٢٠ / المزل، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا

اللَّهُ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٠ / الجمعة.^١

ومثاله: قوله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٢١) سورة المجادلة.

قال الشنقيطي: فإن الغالب في القرآن استعمال (الغلبة) مراداً بها الغلبة بالسيف

والسنان كما في قوله تعالى: (غَلَبَتِ الرُّومُ) (٢) فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)

سورة الروم. وقوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) (١٢)

سورة آل عمران. وقوله تعالى: (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)

(٦٥) سورة الانفال. وعليه فيجب تفسير الغلبة في الآية الأولى بذلك، ومن قال: إنما

المراد الغلبة بالحجة والبرهان فهو صحيح لكن لا يجوز إخراج المعنى الغالب عن مراد

الآية لأنه مما ورد به القرآن).^٢

ولقد طبق عدد من المفسرين قاعدة الترجيح بعرف القرآن منهم الطبري

والزمخشري والشنقيطي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

^١ انظر: نفس المصدر ١/١٤٠.

^٢ انظر: نفس المصدر ١/١٤٠.

وسيكون بإذنه تعالى فصل كامل لبيان أثر عُرف القرآن في الترجيح بين أقوال المفسرين.

ولا بأس هنا أن اذكر مثالين لتوضيح المراد.

المثال الأول: اختلف المفسرون في معنى الجلود في قول الله تعالى: {وَقَالُوا

لِجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْ تُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} سورة

فصلت الآية ٢١، وذلك على قولين:

القول الأول: هي الجلود على الحقيقة أي القشرة أو الغشاء الخارجي للبدن.

وهو قول جمهور المفسرين.

القول الثاني: المعنى الفروج وهو على الكناية لا الحقيقة.

وهو قول السدي والفراء.

قال القرطبي: (الجلود يعني بها الجلود بأعيانها في قول أكثر المفسرين. وقال

السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء: أراد بالجلود الفروج)^١

وقال ابن عاشور: (ومن غريب التفسير قول من زعموا أن الجلود أريد بها

الفروج ونسب هذا للسدي والفراء، وهو تعنت في محمل الآية لا داعي إليه بحال، وعلى

هذا التفسير بنى أحمد الجرجاني في كتاب (كنايات الأدباء) فعُدَّ الجلود من الكنايات عن

الفُروج وعزاه لأهل التفسير فجازف في التعبير)^٢

^١ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ٦٧١ هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة التاريف
العربي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (١٣ / ٢٠) .

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٣٨٠٨ .

قلت: من عادة القرآن ذكر الفروج إذا أرادها ولا يكتفي بها فقد ذكر الله تعالى الفروج مرارا في كتابه الكريم ، فليس هناك من مانع لو كانت هي الفروج على وجه الخصوص أن يذكرها هنا أيضا.

ولقد وردت لفظة الجلود في الآية السابقة على تلك الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة فصلت الآية ٢١.

وفي الآية اللاحقة لها: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا

جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فصلت / ٢٣.

المثال الثاني: اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (رجعه) في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]، وفي ذلك قولان:

القول الأول: أنه يعود إلى الإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رده للحياة بعد

موته. وهو قول ابن عباس وقتادة.^١

والقول الثاني: أنه يعود إلى الماء، والمعنى: أن الله قادر على رد الماء إلى

الصلب أو الإحليل. وهو قول مجاهد والضحاك وعكرمة.^٢

قلت: أما أدلة الترجيح فهي كثيرة ويهنا هنا الوجه الترجيحي بعادة القرآن

الكريم في الاستعمال. ولو دققنا النظر لرأينا أن القول بأن المقصود أن الله تعالى على

^١ انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [٢٠ / ١٣]

^٢ المصدر نفسه. [٢٠ / ١٣]

رجع الإنسان وبعثة أولى من حمل الآية على قول من قال إن الله قادر على إرجاع ماء الرجل إلى صلبه، ولا شك أن الله تعالى قادر على ذلك ولا شيء في هذا المعنى، ولكن أن يحمل القرآن على ما جرت به عادته أولى من حمله على المعنى الغريب الذي ليس له ذكر في القرآن، ومن المعلوم أن المعهود في القرآن الاستدلال بالمبدأ على المعاد. وأما القول الثاني فلم يأت لهذا المعنى نظير في موضع من القرآن.

ثانياً: الاحتراز عن الجهل بما تضمنه القرآن الكريم من الألفاظ والأساليب والتي فيها عُرف قرآني.

إن من أهم فوائد معرفة عُرف القرآن الاحتراز عن الجهل بما تضمنه كتاب ربنا العزيز فيما تعارف عليه من أيراد جملة من ألفاظه على نحو مخصوص، وأسلوب مميز مقصود.

ومن الخطأ التفسيري أن يحمل اللفظ القرآني على معنى لغوي أو معنوي عُرفي حادث وله في القرآن الكريم عُرف قرآني.

وإن مما يترتب على هذه الاصطلاحات الحادثة استشكل بعض العقول لبعض النصوص الشرعية، كما يقول ابن القيم مبيناً بعض أسباب وقوع الغلط في فهم كلام الشارع: (وينضاف إلى ذلك تنزيل كلامه على الاصطلاحات التي أحدثتها أرباب العلوم من الأصوليين، والفقهاء، وعلم أحوال القلوب وغيرهم، فإن لكل من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطبتهم وتصانيفهم، فيجئ من قدم علم تلك الاصطلاحات الحادثة، وسبقت إليه معانيها فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرد بكلامه، ويقع من الخلل في نظره ومناظرته ما يقع، وهذا من أعظم أسباب الغلط عليه، مع قلة البضاعة عن معرفة

نصوصه. فإذا اجتمعت هذه الأمور مع نوع فساد في التصور أو القصد أو هما ما شئت من خبط وغلط وإشكالات واحتمالات وضرب كلامه ببعضه ببعض، وإثبات ما نفاه، وني ما أثبتته (١).

وقال ابن تيمية: (ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل علي اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحملة على تلك اللغة التي اعتادها) (٢).

ومن الأمثلة التوضيحية لما حمل من ألفاظ القرآن على المعاني اللغوية والعرفية الحادثة وله في القرآن عُرف قراني ما يلي:

١٠ ومن أمثلة ذلك: لفظ (القضاء) الذي يعني عند المتأخرين من الفقهاء (فعل العبادة في غير وقتها)، وهذا خلاف ما دل عليه القرآن في استعمال هذا اللفظ، فإن أطلقه متأخرو الفقهاء على ذلك فيقتصر به على فهم مرادهم في مصنفاتهم، ولا تحمل النصوص الشرعية عليه.

يقول ابن تيمية: (لفظ (القضاء) في كلام الله وكلام الرسول المراد به إتمام العبادة، وإن كان ذلك في وقتها، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

^١ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ، مفتاح دار السعادة ومنشور الراية أهل العلم والإرادة، تحقيق: علي بن حسن علي عبد الحميد الحلي، دار ابن عفان، ط ١، ٤١٦ هـ، ١٩٩٦م، (٦٤-٦٣٥).

^٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠٦/١٢) بتصرف يسير. وانظر باز مول، محمد عمر، الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية، ط ١/ ١٤١٥هـ، دار الهجرة - الرياض. (ص ١٣٤)، والجديع، عبد الله يوسف، تيسير علم أصول الفقه، ط ١/ ١٤١٨هـ، توزيع مؤسسة الريان - بيروت. (٦٩ - ٧٠).

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ (الجمعة). وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ (٢٠٠ / البقرة).

وقال الزيلعي: (إن القضاء هو الإتمام في عُرف الشارع)^١

٢. اللفظ المركب (ذوي الأرحام)، فهو في الكتاب والسنة يراد به الأقارب مسن جهة الأبوين فيدخل فيهم العصبية وذوو الفروض، وإن شمل ذلك من لا يرث بفرض ولا تعصب، ثم صار ذلك في اصطلاح الفقهاء اسماً لهؤلاء دون غيرهم، فيظن من لا يعرف إلا ذلك أن هذا هو المراد بهذا اللفظ في كلام الله ورسوله، وكلام الصحابة.^(٢)

٣. لفظ (القديم)، فإنه في لغة القرآن خلاف (الحديث) وإن كان مسبوقاً بغيره

كقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩).

وقال تعالى عن إخوة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٥)

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (الشعراء: ٧٥-٧٦).

وهو عند أهل الكلام عبارة عما لم يزل أو عما لم يسبقه وجود غيره إن لم يكن مسبوقاً بعدم نفسه، ويجعلونه — إذا أريد به هذا — من باب المجاز، ولفظ (المحدث) في لغة القرآن يقابل (القديم) في القرآن^(٣).

^١ الزيلعي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البلوري، مع الكتاب: حاشية بغية الأكمي في تخريج الزيلعي، دار الحديث - مصر، ١٣٥٧ (٢ / ١٣٧).

^(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١ / ٢٤٥-٢٤٦).

^(٣) مجموع الفتاوى (١ / ٢٤٥-٢٤٦).

ثالثاً: الكشف عن بلاغة القرآن وإظهار إعجازه والوقوف على

لطائف وفوائد وروائع قرآنية.

تظهر دراسة عُرف القرآن دقة استعمال القرآن للألفاظ وأساليب استعمالها ومن ذلك التفريق بين المترادفات وتقديم وتأخير الألفاظ وغير ذلك من فنون عُرف القرآن، ومن ذلك ما يظهر بعد النظر فيما خرج عن عادة القرآن في الاستعمال فلا بد من أن يظهر هناك دقة الاستعمال القرآني. وهذا الأمر كله يكشف عن جوه جديدة في بلاغة القرآن وفصاحته. وتطلع الناظر في القرآن على خفايا الإعجاز وروعة الألفاظ ودقة اختيارها.

ومن باب التمثيل لذلك بمثال ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك فسيظهر بإذنه تعالى

في ثنايا البحث:

ومثال ذلك أن من عادة القرآن حين يذكر الأنثى والذكر، أن يقدم الذكر على

الأنثى.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، [الحجرات الآية ١٣].

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، [القيامة: ٣٩]،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ

وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا (٣٥) سورة الأحزاب

وقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٢١) سورة النجم.

وقوله تعالى: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) الآية ١ سورة النساء.

وقال الزركشي في بيان السبب، وذلك لشرف الذكورة^١.

وقال: في القرآن موضع خالف فيه هذه العادة وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْزَوْجَهُمْ ذَكَرَانَا وَإِنَاثَا

وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَاقِبَةً﴾ سورة الشورى الآية ٥٠.

فلا بد هنا من النظر والتأمل.

قال الزركشي: (لجبرهن إذ هن موضع الانكسار ولهذا جبر الذكور بالتعريف

للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم)^٢.

وقال: (ويحتمل أن تقديم الإناث لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئة الله

تعالى لا على وفق غرض العباد)^٣.

وبهذا الذي ذكر الزركشي يمكن أن نقف على بلاغة تقديم الإناث على الذكور

في هذا الموضع، ذلك أن هذا انصب للمقام، فبما أن المقام مقام بيان مشيئة الله تعالى فسي

^١ الزركشي، البرهان ٣-٧٦

^٢ المصدر نفسه. [٣-٧٦]

^٣ المصدر نفسه. [٣-٧٦]

خلق المولود ذكرا كان أو أنثى لا مشيئة العباد دل على ذلك قوله تعالى: (يخلق ما يشاء)، قدمت الآية ما يكره الناس وهو أن يولد لهم الأنثى على ما يحبون وهو الذكر، لبيان أن مشيئة الله تعالى غالبية لمشيئة العباد.

ولو تدبرنا الآية أكثر وجدنا أن بعد ذلك لما جمع الذكور والإناث قدم الذكور على الإناث في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذَكَرًا وَإِنَاثًا﴾.

ولو قائل قائل هنا: لماذا لم يقدم حالة العقم أولا بدل من ذكرها آخرها كون حالة العقم أدل على مشيئة الله وابتعد عن مشيئة العبد وكره ما يكون له. فيمكن أن أجيب عن ذلك بأن حالة الوهب بغض النظر ذكورا أو إناثا أليق بالمقام تقدما على حالة العقم كون ذلك نعمة من الله تعالى ورحمته تعالى تسبق غضبه وحالة العقم من حالة الغضب لا الرحمة.

وبعد هذا التطواف في هذا المثال يتبين لنا جليا أهمية معرفة عادات القرآن في استعمال الألفاظ في إظهار بلاغة القرآن ووجوه إعجازه.

أما عن أثر معرفة عُرف القرآن في الوقوف على اللطائف القرآنية، فاللطائف القرآنية تسمى في عُرف علماء البلاغة بالنكت البلاغية، وهي من الأهمية بمكان وتعد وجهها من وجوه إعجاز القرآن، قال ابن عاشور وهو يتكلم عن وجه من وجوه إعجاز القرآن: (فإن بلغاءهم - أي العرب - كان تنافسهم في وفرة إبداع الكلام من هذه النكت، وبذلك تفاضل بلغاؤهم، فلما سمعوا القرآن انتالت على كل من سمعه من بلغائهم من النكت التي تظن لها ما لم يجد من قدرته قبلا بمثله)¹

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير [١ / ٦٣].

ولا شك أن المتدبر في عادات القرآن المقصود، في استعمال الألفاظ تقديمًا وتأخيرًا
وجمعًا وإفرادًا واقترانًا وتجريدًا وعدد مرات الذكر وأمثال ذلك ليوقف المتدبر على
لطائف قرآنية، ولا عجب فإن الكلام كلام الله الذي لا يعجزه شيء ولا تخفى عليه خافية.
وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح المقصود.

١٠ جميع ما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ آل عمران

/ ٧٥ ، إلا التي في آل عمران قوله تعالى: (ولكن أنفسهم يظلمون).

قلت: وذلك لأن آية آل عمران مثل يضربه الله للناس ليس له واقع في الحياة
كما قال فيها. مثل ما ينفقون في هذه الحياة.... (ولهذا خلت من لفظ (كانوا) أما بقية الآيات
فهي أحداث وقعت ولهذا جاءت (كانوا) فيها.

قال الألويسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ آل عمران ٧٥:

(والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تمايزهم في الظلم

واستمرارهم عليه)^١

١٠٢ قال الله جل في علاه: (فلبئس مشؤم المتكبرين) الوحيدة في القرآن باللام (فلبئس)

لأن هؤلاء الذين تكلم الله عنهم ضلوا أنفسهم وضلوا آخرين كما في قوله تعالى:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بَغِيرِ عِلْمِ آسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥) سورة

النحل، فلما جمعوا ضلالتين أضاف الله عليهم اللام للتوكيد على هذا الأمر.

^١ الألويسي، روح المعاني [١ / ٢٦٤].

قال الألويسي: (والفاء عاطفة واللام جيء بها للتأكيد اعتناء بالذم لما أن

القويسالونك). لون كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ

الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥) وللتأكيد اعتناء بالمدح جيء باللام أيضا فيما

بعد من قوله سبحانه: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٠) سورة النحل، لأن

أولئك القوم على ضد هؤلاء هادون مهديون وكأنه لعدم هذا المقتضى في آيتي الزمر

والمؤمن لم يؤت باللام وقيل: فبئس مثوى المتكبرين وقيل: التأكيد متوجه لما يفهم من

الجملة من أن جهنم مثواهم وحيث أنه لم يفهم من الآيات قبل هنا فهمه منها قبل آيتي

تبتك السورتين جيء بالتأكيد هناك ولم يجيء به هنا اكتفاء بما هو كالصريح في إفادة أنها

مثواهم مما ستسمعه إن شاء الله تعالى هناك) ^١.

٣٠ جميع ماجاء في القرآن من (يسألونك) جاء الجواب (قل) لأن هذه الأسئلة

وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ

مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا

وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩) سورة البقرة، إلا ماجاء في (طه) وقوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٠٥) فجاء الجواب (فقل) قال المفسرون إن

هذا السؤال لم يقع للنبي وأنت إذا سئلت فقل، وأما ماجاء في النازعات قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) فالجواب هنا ضمنى في الآية.

^١ المصدر نفسه [١٤ / ١٣٠].

قال القرطبي: ({ فقل } جاء هذا بقاء وكل سؤال في القرآن { قل } بغير فاء إلا

هذا لأن المعنى أن سألك عن الجبال فقل فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله أنهم

يسألونه عنها فأجابهم قبل السؤال وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي صلى الله عليه

وسلم فجاء الجواب عقب السؤال فلذلك كان بغير فاء وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد

فنفهمه (١) .

ولقد ورد لفظ يسألونك ١٥ مرة في القرآن: ٩ مرات يسألونك، و ٦ مرات محلاة

بالواو (ويسألونك) .

٠٤ . جاءت (غفور رحيم) في التنزيل إحدى وسبعين مرة كلها في سياق

الذنوب والمعاصي كقوله تعالى: (فمن خاف من موص جنفا إن الله غفور رحيم) وأما

(رحيم غفور) فجاءت مرة واحدة في شأن النعمة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَالِكُم مَّا تَلْبِثُ فِي الْأَرْضِ وَمَا

يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (٢) سبأ الآية (٣)

قال أبو السعود: (وهو الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمة الغفور للمفرطين

في ذلك) (٢) .

٠٥ . في القرآن كلما ذكر الزلزلة قدم كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ

زُلْزَالَهَا ﴾ (١) سورة الزلزلة، أما في الأحداث الأخرى فيؤخر كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا

الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (١) سورة التكوير، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ سورة

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [١١ / ٢١٨] .

^٢ أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم [٧ / ١٢٠] .

التكوير (٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣) سورة التكوير، وقوله

تعالى: ﴿وَإِذَا الْمِثَارُ غُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ سورة التكوير (٤) ، وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ سورة التكوير (٥) ، وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ

انْفَطَرَتْ﴾ سورة الانفطار (١) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انشَرتْ﴾ سورة الانفطار (٢)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ سورة الانفطار (٣) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ

بُعْثِرَتْ﴾ سورة الانفطار (٤) ولم يقل (إذا الأرض زلزلت) أما سبب ذلك فلأن مشهد

الزلزلة مُشاهد موجود صحيح أنها أكبر يوم القيامة من كل زلزلة، لكنها مُشاهدة، أما في

الأحداث الأخرى التي لم تحصل أماننا فلم نر أبداً النجوم انثرت ولا البحار سجرت ولا

السماء انشقت ولا القبور بعثرت ولا غيرها ولم نشاهدها.^١

٦. يستعمل القرآن الكريم لفظ انزل مع التوراة والإنجيل ويستعمل مع القرآن

الكريم لفظ نزل بتشديد السين ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٣) آل عمران ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) سورة النساء، وفي اللغة إن صيغة فعل بتشديد العين

^١ انظر فاضل السامرائي، لمسات بيانية في القرآن الكريم، دار البشير ص ٣٤٢.

تفيد التكرير وتفيد التدرج، لذا فقد استنبط المفسرون لطيفة قرآنية وهي أن القرآن نزل منجما وهو يتناسب مع التدرج وكتب أهل الكتاب نزلت جملة واحدة لذا كان الفرق بين اللفظين في الاستعمال القرآني.^١

رابعا: لعادات القرآن أثر ظاهر في بيان مناسبات الآيات وسر ترتيبها

أما المناسبات فجمع مناسبة والمناسبة في اللغة: المشابهة والمشكلة والمقاربة^٢، ومنه النسب: القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، ممن بينهم مناسبة أي رابطة تربط بينهم وهي القرابة.

وعند الأصولاء لمفسرين: اسبة في العلة في باب القياس وهي الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم^٣، وعند البلغاء: التناسب الترتيب للمعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر^٤ وفي اصطلاح المفسرين: ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني^٥.

فعلم المناسبة علم يعنى بإبراز التالية: لة وتناسب الآيات و السور.

ومن باب التمثيل لذلك الأمثلة التالية:

^١ انظر: المصدر نفسه ص ٣٤٢.

^٢ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة [٣٢٤/٥]، والجوهري، إسماعيل حماد ٣٩٣ هـ، الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين لبنان ط ٤ ٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م. [٤٢٢/١].

^٣ أبو زهرة، محمد بن أصول الفقه، دار الفكر العربي، ص ٢٤١.

^٤ عكاوي، د. إنعام، معجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب ضمن سلسلة الخزائن اللغوية ط دار الكتب العلمية [٤٣٠/٦]

^٥ السيوطي، الإتيان [١٠٨ / ٢].

المثال الأول: ذكر أبو حيان أن من عادة القرآن أنه يعقب الحديث عن الموت والبعث بالحديث عن الإنفاق في سبيل الله.

وقد وظف هذه العادة القرآنية في معرفة ارتباط الآيات ببعض خاصة النسي قد يخفى وجه الارتباط بينها وبين الآيات المجاورة لها.

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ

سَبَابِلَ فِي كُلِّ سَبُّبَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ سورة البقرة / ٢٦١، قال: (مناسبة هذه الآية لما قبلها هي

أنه لما ذكر قصة المارء علي قرية وقصة إبراهيم وكانا من أدل دليل علي البعث ذكر ما ينتفع به يوم البعث وما يجد جدواه هناك وهو الإنفاق في سبيل الله، كما أعقب قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت بقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا﴾ سورة البقرة / ٢٤٥، وكما أعقب قتل داود جالوت وقوله: ﴿وَكُلُّ شَاءَ اللَّهِ مَا

اَقْتُلُوا﴾ البقرة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ﴾ سورة البقرة

/ ٢٥٤، فكذا أعقب هنا ذكر الإحياء والإماتة بذكر النفقة في سبيل الله وذكر بالبعث

وحض علي اعتقاده؛ لأنه لو لم يعتقد وجوده لما كان ينفق في سبيل الله.)^١

المثال الثاني: ذكر ابن عاشور أن من عادة القرآن إلقاء الأحكام بأسلوب سهل لا

تسام له النفس ولا يجيء على صورة التعليم والدرس.

ومعنى ذلك أن طريقة الدرس المعهودة عندنا أن المدرس إذا شرع في احتكام

الطلاق مثلا ترتبها معينا كان يبدأ بتعريف الطلاق ثم يذكر أنواعه ثم يبين أحكامه

^١ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط.

وهكذا حتى ينتهي منه، وليس كذلك القرآن فان هذه الطريقة من شأنها أنها تسبب السامع، لذا فان القرآن انتقل إلى ما هو ابلغ من ذلك وأجود وهو أن يرتب الأحكام ترتيبا لا كالمعهود للدارسين.

وقد وظف ابن عاشور هذه العادة القرآنية في مناسبة ترتيب الآيات فقال في قوله

تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلِنُ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة / ٢٨٨: (عطف على الجملة قبلها

لشدة المناسبة وللاتحاد في الحكم وهو التربص إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة ولذلك لم

يقدم قوله (الطلاق مرتان) على قوله (والمطلقات يتربصن) لأن هذه الآية جاءت

متناسقة منتظمة على حسب مناسبات الانتقال على عادة القرآن في إبداع الأحكام وإلقائها

بأسلوب سهل لا تسأم له النفس ولا يجيء على صورة التعليم والدرس)^١.

ومعنى كلامه رحمه الله أن الترتيب الدرسي لهذه الآيات يوجب أن يقدم المتكلم

الكلام عن أنواع الطلاق الموجود في الآية (الطلاق مرتان) على مدة تربص المطلقات

في قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن). ولكن القرآن قدم التربص، ومناسبة تقديمه ذلك

ليكون تربص المطلقات قريب العهد بالتربص قبله في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ

تَرِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة (٢٢٦) ليكون الترتيب بعد ذلك على النحو الآتي: ﴿

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير [١ / ٦٣٥]

لِلَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
 أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
 عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
 تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا
 يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ سورة البقرة الآيات (٢٢٧ - ٢٢٩) .

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

الفصل الأول: عُرف القرآن في استعمال الألفاظ.

المبحث الأول: الألفاظ التي ورد فيها عُرف قرآني.

المطلب الأول: ألفاظ مفردة ومركبة فيها عُرف قرآني.

المطلب الثاني: عُرف القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ المترادفة

المطلب الثالث: عُرف القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ ذات

الجزر الواحد.

المطلب الرابع: عُرف القرآن في اختلاف معاني الألفاظ بالاقتران

والتجريد.

المبحث الأول: : ما ادعي ان فيه عُرفا قرآنيا من الألفاظ وليس كذلك

المطلب الأول: تعميمات من باب الاستعمال اللغوي ولم تحقق

شرط الاختصاص القرآني.

المطلب الثاني: تعميمات حكيت كلية وهي من باب الوجوه

والنظائر.

المطلب الثالث: تعميمات ظاهرها العُرف القرآني ولم تحقق شرط الاطراد

أو الغالبية.

المبحث الأول:

الألفاظ التي ورد فيها حرف قرآني.

المطلب الأول: ألفاظ مفردة ومركبة فيها حرف قرآني.

أ(ف)-رأيتكم

هذا اللفظ قد ورد في القرآن إحدى وعشرين مرة كلها في خطاب الكفار، ولم يُستعمل في أي منها في ملاينة أو تلطف.

كما في الشواهد التالية:

قال تعالى: ﴿ قُلْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس)

(٥٠ /

وقال تعالى: ﴿ قُلْ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَلَالًا وَحَرَامًا، قُلْ: اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ

أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس / ٥٩) ،

وقال تعالى: ﴿ قُلْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى

مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف / ١٠) ،

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ

جَعَلْنَاهُ أَجْدَاجًا، فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الواقعة / ٦٨ - ٧٠) .

أهل الكتاب

قال الراغب: (وحيثما ذكر الله تعالى أهل الكتاب فإنما أراد بالكتاب التوراة

والإنجيل أو إياهما جميعاً)^١

وقال ابن القيم: (عُرف القرآن من أوله إلى آخره في الذين أوتوا الكتاب أنهم

أهل الكتابين خاصة وعليه إجماع المفسرين والفقهاء وأهل الحديث)^٢

و يستعمل هذا اللفظ في العربية: لكل من كان له كتاب أو انزل عليه كتاب حتى

ولو كان له شبهة كتاب كالمجوس وغيرهم. ولكن الاستعمال القرآني يريد أهل التوراة

والإنجيل أو إياهما جميعاً.

ومن أتعالى: تعمال اللفظ في القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [٤٦]

العنكبوت

وقال تعالى: ﴿لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَتَّقِدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) الحديد .

ولا يدخل في أهل الكتاب من اسلم منهم أهل الكتاب في اصطلاح القرآن ولذلك

لما وصف عبد الله بن سلام في القرآن وصف بقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

^١ الراغب، مفردات القرآن ١ / ١٢٣٤

^٢ ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ٧٥١ هـ، حققه وعلق حواشيه: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م [٢ / ٨١٣].

وَيُنَبِّئُكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ الرعد، وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا أَنْتُمْ كِبِرْتُمْ إِنْ إِلَهُكُمُ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠) الاحقاف.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ المائدة / ٥.

في نكاح الكتابيات المتمسكات بغير التوراة والإنجيل كزبور داود وصحف شِيث وإبراهيم هل يقرون على ذلك وهل تحل مناكحتهم وذبائحهم ؟
وأقوالهم على قولين:

أحدهما: يقرون ويناكحون وهو ظاهر كلام أحمد في الروايتين: نصور وقد سئل عن نكاح المجوس فقال لا يعجبني إلا من أهل الكتاب.
ووجه هؤلاء أن هذا عام في كل كتاب ولأنه متمسك بكتاب من كتب الله أشبه أهل لتوراة والإنجيل.

والوجه الثاني لا تجوز مناكحتهم ولا يقرون وهو قول أصحاب الشافعي
ثم نقل ابن القيم عن القاضي وجه الاستشهاد لكل من القولين:
ووجه هؤلاء أن الكتاب ما كان منزلا كالتوراة والإنجيل والقرآن فأما ما لم يكن كذلك فليس بكتاب بل يكون وحيا وإلهاما ويشبه ما يجيء في السنة النبوية.

قال ابن القيم كلاما يصلح أن يكون جامعا للقولين فقال: (ليس في الدنيا من يتمسك بهذه الكتب ويكفر بالتوراة والإنجيل البتة فهذا القسم مقدر لا وجود له بل كل من صدق بهذه الكتب وتمسك بها فهو مصدق بالكتابيين أو أحدهما ولهذا لم يخاطبهم الله

سبحانه في القرآن بخصوصهم بل خاطبهم مع جملة أهل الكتاب. وأما قوله إن الكتاب عام في قوله تعالى: ﴿ وَالْحَصْنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ فعُرف القرآن من أوله إلى آخره في الذين أُوتوا الكتاب أنهم أهل الكتابين خاصة وعليه إجماع المفسرين والفقهاء وأهل الحديث (١)

التأويل

لفظ التأويل له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن ان يستعمل في الرجوع والمصير.

فمادة "أول" في لغة العرب تدور على معنيين.

١. الرجوع والمصير.

٢. التفسير.

يقول ابن منظور: (الأول الرجوع، آل الشيء يؤول مآلا رجع، وأول إليه الشيء: رَجَعَهُ. وأُلْتُ عن الشيء: ارتددت. يقال: طبخت النبيذ حتى آل إلى التلث أو الربع أي رجع، والأيل من الوحش: الوعل، قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه) (٢)

ويأتي التأويل في لغة العرب بمعنى التفسير أيضاً، ومنه دعاء الرسول - صلى

الله عليه وسلم - لابن عمه عبداً لله بن عباس - رضي الله عنهما -: (اللهم فقّهه في

¹ ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، [٨١٣ / ٢] .

² ابن منظور، لسان العرب [١٣٠ / ١] .

الدين، وعلمه التأويل^١. ومن هذا الباب ما جرى عليه ابن جرير الطبري في تفسيره،

فإنه كثيراً ما يقول إذا شرع في تفسير آية: "القول في تأويل قوله تعالى".

والقرآن الكريم يستعمل التأويل في احد معنييه وهو العاقبة والمصير ولا

يريد به معنى التفسير

يقول ابن تيمية: (يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره،

وهذا هو المعنى المراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة)^٢.

ويقول شارح الطحاوية: (التأويل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

وسلم- هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر به، وتأويل

الأمر: نفس الفعل المأمور به)^٣

وعند دراسة الآيات الواردة بلفظ التأويل تبين انه ما من آية من هذه الآيات إلا

وقد اختلف في تفسيرها على احد المعنيين العاقبة أو التفسير، وعلماء التفسير بين من

يرجح هذا ومن يرجح هذا.

والذي أراه أن القرآن لا يستعمل اللفظ إلا بمعنى العاقبة والمصير فمن ذلك:

^١ أخرجه أحمد في المسند من إسناد ابن عباس برقم ٢٣٩٧ وقال المعلق شعيب الأرنؤوط: (إسناده قوي على شرط مسلم) ١ / ٢٦٦. وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٧٠٥٥، والطبراني في المعجم الكبير برقم ١٠٥٨٥.

^٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى [٣٦/٣].

^٣ الحنفي، ابن أبي العز ٧٩٢ هـ ، شرح العقيدة الطحاوية ، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ط ٩ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ص ٢٣٢.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)

النساء، أي عاقبة التحاكم إلى الله ورسوله عند التنازع هو أحسن مآلاً وعاقبة.

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٥٣) الأعراف، أي عاقبة تأويله.

و قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾. وانتظارهم لتحقيق ما أخبر الحق عنه من وقوع العذاب بهم يوم القيامة،

وهذا هو المراد بقوله: يوم يأتي تأويله عند ذلك يقر هؤلاء الذين كذبوا به في الدنيا،

ويقولون في ذلك: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾.

وعندما رفع نبي الله يوسف - عليه الصلاة والسلام - أبويه على العرش وخر

والداه وإخوته له ساجدين قال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ

نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) يوسف، فتأويل

الرؤيا كان تحقيقها في عالم الواقع.

وفي قصة موسى والخضر، فإن ألفاظ القصة لا تدل على التأويل الذي هو من دلالة الألفاظ على المعاني. وتأويل الخضر حقيقة تتبع منها أعماله التي عملها. وهكذا جميع الآيات الأخرى لو أمعنا النظر فيها.

تقييد الخلود في النار بالتأبيد

لم يرد تقييد الخلود في النار بالتأبيد إلا في ثلاثة مواضع، وكلها في شأن الكفار. الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا، إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ١٦٨-١٦٩)

الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٤-٦٥)

الثالث: قال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٣)

التكذيب

لفظ التكذيب له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن ان يستعمل في تكذيب الصادق فقط.

فالتكذيب في اللغة نسبة القائل إلى الكذب صادقاً كان أم كاذباً. قال الرازي صاحب مختار الصحاح: (كَذَبَهُ أَي قَالَ لَهُ كَذِبْتَ وَقَالَ الْكِسَائِيُّ أَكْذَبَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ جَاءَ

بالكذب ورواه و كَذَّبَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ كَاذِبٌ وَقَالَ ثَعْلَبُ هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ يَكُونُ أَكْذِبُهُ بِمَعْنَى
بَيْنَ كَذِبِهِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى حَمْلِهِ عَلَى الْكَذِبِ وَبِمَعْنَى وَجْهِهِ كَاذِبًا ^١ .

ولكن القرآن الكريم له استعمال خاص في هذا اللفظ وهو انه يستعمل اللفظ في
تكذيب الصادق فقط. قال الراغب: (جاء ت في القرآن في تكذيب الصادق) ^٢ .

ومن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٣٩)

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَآيَاتِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبُكُمْ وَفَرِقْنَا

تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة ٨٧)

وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١) آل عمران

وفي جميع هذه الآيات التكذيب للرسول وهم صادقون بلا ريب، ولم يرد في

القرآن ذكر التكذيب مع تكذيب الكاذب قط.

^١ الرازي، مختار الصحاح باب كذب ١ / ٥٨٦.

^٢ الراغب، المفردات ١ / ١٢٤١.

الختم على القلب:

هذه العبارة (الختم على القلب) في جميع مواردنا في القرآن الكريم تأتي في سياق الكلام عن الكفار ولا تأتي في خطاب المؤمنين.

قال ابن القيم: ان المعهود استعمال (الختم على القلب) في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن الكريم ^١ .

الأمثلة

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ

يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴾ (سورة الأنعام

و قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَنْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ

وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (سورة الشورى

و قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ

وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الجاثية .

والملاحظ ان الآيات التي وردت فيها هذه العبارة هي ثلاث آيات المذكورة، أما

آية الأنعام فواضحة أنها في شأن الكفار لقوله تعالى لهم: ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾

^١ ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن [١ / ١١٦]

وأما آية الجاثية فهي كذلك لقوله تعالى في خطابهم ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ

وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ وبقي آية الشورى فهي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى

لو شاء الله ان يصنع بك كما يصنع بالكفار لفعل، فهي وان كانت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فاللفظ يراد به ما يصنع الله تعالى بالكافرين .

خسر

الخسر في الاستعمال القرآني يأتي على الخسارة يوم القيامة.

قال الراغب: (كل خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى

الأخير (أي يوم القيامة) دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية)^١.

الأمثلة: لخسران في اللغة: اعم منه في الاستعمال القرآني فهو فسي اللغة: (

الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال: خسر فلان وإلى

الفعل فيقال: خسرت تجارتك ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدنيا

وهو الأكثر وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والأيمان والثواب)^٢.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمَبِينُ ﴾ [

الزمر / ١٥] وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة / ١٢١] وقوله

^١ الراغب المفردات ٢٣١.

^٢ المصدر نفسه ٢٣١.

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ - إلى - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة

/ ٢٧] وقوله تعالى: ﴿فَطُوعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة / ٣٠

[وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن / ٩] .

وفي هذه الآية الأخيرة قال الراغب: (يجوز أن يكون إشارة إلى تحري

العدالة في الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه في الوزن ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى

تعاطي مالا يكون به ميزانه في القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ

موازينه﴾ [الأعراف / ٩] وكلا المعنيين يتلزمان).

قلت: والذي ذكره الراغب من كون الخسارة في القرآن لا تكون إلا يوم

القيامة ولا تأتي في المقتنيات والتجارات الدنيوية ليس على إطلاقه البتة، فقوله تعالى:

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣) سورة المنافقين. لا يمكن فهمه إلا على الخسارة

في المكيل والموزون من المقتنيات.

خليفة

قال ابن تيمية: (وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق

كان قبله. ... وأما ما يظنه طائفة من الاتحادية و غيرهم أن الإنسان خليفة الله فهذا جهل

و ضلال)^١.

^١ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني ٧٢٨ هـ، منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م [٧ / ٣٥٣

والمعنى اللغوي: اسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان جعله مكانه وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَهُ يقال خَلَفَهُ في قومه خِلَافَةً وخَلَفْتُهُ أيضاً إذا جئت بعده ويقال خَلَفْتُ فلاناً أَخْلَفَهُ تَخْلِيفاً واستَخْلَفْتُهُ أَنَا جَعَلْتُهُ خَلِيفَتِي واستَخْلَفَهُ جعله خليفة والخَلِيفَةُ الذي يُسْتَخْلَفُ ممن قبله والجمع خلائف^١

ولا مانع في الاستعمال اللغوي من استعمال هذا اللفظ في حق البشر وفي حق الله تعالى فقد ذهب الكثير إلى أن الإنسان خليفة الله تعالى والآيات في القرآن دالة على ما قال ابن تيمية ومن الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ الأنعام / ١٦٥.

و قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ((١٤)) يونس.

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ص ٢٦

خوض

يستعمل القرآن الخوض ويريد به الدخول في باطل القول. قال الراغب: (وأكثر

ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه)^٢

و الخوض في اللغة: هو الشروع في الماء والورود فيه، ثم استعير للأخذ فسي

الحديث فقيل: تخوضوا في الحديث، أي: أخذوا فيه على غير هدى.^١

^١ ابن منظور، لسان العرب ٩ / ٥٢

^٢ الراغب، المفردات ص ٥٦٤.

وعند النظر في الآيات تبين أنها جميعها جاء الخوض فيها في موضع الذم،

فهي لم ترد إلا في سياق الكلام عن الكفار من المشركين وأهل الكتاب ومن المنافقين.

ومن الأمثلة على ذلك :

قوله تعالى: ﴿ وَلئن سألتم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم

تستهزئون ﴾ [التوبة / ٦٥] ، وواضح هنا ان الخوض جاء هنا في موضع الذم لان

الكلام فيها عن المنافقين. قال تعالى في الآية التي قبلها: ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم

سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون ﴾ (٦٤).

و قوله تعالى: ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة / ٦٩] والمعنى هنا: خضتم

في أسباب الدنيا باللهو واللعب.

و قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل

الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا

أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام / ٩١]، وهذا واضح انه في أمر

اليهود.

^١ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ١ / ١٩٦ والنظر الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ١ / ١٨٤.

وقوله تعالى: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفربها ويستهزأ بها فلا

تعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم

جميعاً﴾ النساء (١٤٠)، وهذا واضح بنص الآية أنهم أهل الكفر والنفاق.

وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في

حديث﴾ [الأنعام / ٦٨]، والخائضون في آيات الله تعالى هم المكنبون والمستهزون.

الذين آمنوا

الغالب في القرآن أن الذين آمنوا لقب للمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم

والمعنى اللغوي للكلمة يقصد بها كل من امن من أتباع الأنبياء من قبل.

ولقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله

يؤتكم كفاين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويفقر لكم والله غفور رحيم﴾ [٢٨] الحديد.

وسبب الاختلاف الإشكال الحاصل من أمرين:

الأول: بسبب وقوع (يا أيها الذين آمنوا) عقب قوله تعالى: ﴿فأتينا الذين آمنوا

منهم أجرهم﴾.

والثاني: قوله تعالى: { آمنوا } بعد ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.

لذا ذهب عاشور: فسرين إلى ان المقصود المؤمنون من الذين أتبعوا عيسى عليه السلام.

قال ابن عاشور: (والأظهر أن هذين الاحتمالين مقصودان ليأخذ خلص النصارى من هذا الكلام حظهم وهو دعوتهم إلى الأيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم. ..
وأما احتمال أن يراد بالذين آمنوا الإطلاق اللقبى فيأخذ منه المؤمنون أهل الملة الإسلامية بشارة بأنهم لا يقل أجرهم عن أجر مؤمني أهل الكتاب لأنهم لما آمنوا بالرسول السابقين أعطاهم الله أجر مؤمني أهل مللهم، ويكون قوله { وآمنوا } مستعملا في الدوام على الأيمان كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في سورة النساء، ويكون إقحام الأمر بالتقوى في هذا الاحتمال قصدا لأن يحصل في الكلام أمر بشيء يتجدد ثم يردف عليه أمر يفهم منه أن المراد به طلب الدوام وهذا من بدیع نظم القرآن)^١.

الرزق الكريم

قال محمد بن كعب: إذا سمع الله يقول ورزق كريم فهي الجنة وكل شيء في القرآن أجر كبير ورزق كبير ورزق كريم فهو الجنة ٢ وقد ورد عن قتادة ٣ وابن جريج ٤ و الرزق الكريم في اللغة: أي ان رازقه يوصف بالكريم ومن هنا وصفوه بالكثرة وعدم الانقطاع^٥.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٣١٩.

^٢ تفسير ابن أبي حاتم ٥ / ١٦٨٥ رقم ٨٨٠١.

^٣ انظر الطبري، جامع البيان ١٣ / ٣٩٠ وتفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٩.

^٤ انظر الطبري، جامع البيان ١٣ / ٣٩٠.

^٥ الألويسي، روح المعاني ٩ / ١٦٩.

أما الرزق: فهو ما ينتفع به من عطاء الله تعالى والجمع الأرزاق وهي نوعان:

ظاهرة للأبدان كالأقوات. وباطنة للقلوب والنفوس كالعلوم.^١

وقال الراغب: الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيويا كان أم آخرويا وللنصيب

تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة.^٢

ولقد ورد الرزق الكريم ست مرات في القرآن، وقد اتفقت أقوال المفسرين وإن

تتوعدت عباراتهم على أن المراد به الجنة.^٣

الزعم

لفظ الزعم له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن أن يستعمل في

القول الذي فيه كذب.

فالزعم في اللغة: يرد على معان متعددة منها: الكذب. ومنها أن يكون الكلام

مظنة الكذب. ومنها أن يكون عهدة الخبر على المخبر. ويدل على هذا قول ابن عطية: (

إذا قال سيبويه زعم الخليل فإنما يستعملها فيما انفرد به الخليل وكأنه أقوى رتب زعم أنه

تبقى معها عهدة الخبر على المخبر)^٤. ويطلق الزعم في اللغة على القول المحقق

والصدق الذي لا شك فيه. ويدل على هذا قول النووي في شرح حديث لضمام بن ثعلبة

جاء إلى رسول الله فقال: (يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك قال

^١ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢ / ٣٨٨.

^٢ الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ٣٥١.

^٣ انظر الطبري، جامع البيان ١٣ / ٣٩٠ والأكوسي، وروح المعاني ٩ / ١٦٨.

^٤ ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق، ٥٤٦ هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق مجموعة من الباحثين، الطبعة القطرية، ط ١، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م. [٤ / ١١٤].

صدق^١: (فإن تصديق النبي عليه الصلاة والسلام إياه مع قوله زعم دليل على أن اللفظ ليس مخصوصا بالكذب، والقول المشكوك فيه، بل يكون أيضا في القول المحقق والصدق الذي لا شك فيه)^٢.

ومن عادة القرآن أن ترد لفظة الزعم في القول الذي فيه كذب. قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن زعم فهو كذب^٣.

وقال الطحاوي: (. فوجدنا زعموا لم تجيء في القرآن إلا في الأخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم)^٤

وقال الراغب: (الزعم: حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم للقائلون به)^٥

وقال الكفوي: (الزعم وقد جاء في القرآن في كل موضع ذم للقائلين)^٦

وقال رشيد رضا: (فلغة القرآن أن الزعم يستعمل في الباطل والكذب وهو يرد على الزاعمين ولا يقرهم على شيء)^٧

قلت: والآيات الواردة في الزعم بعد النظر والدراسة تبين أنها على سبيل

التغليب فهي على سبيل الذم كما في الأمثلة التالية:

^١ أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام (١ / ٤١) برقم (١٢) والنسائي (٤ / ٢١) برقم (٢٠٩١) (مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح الإمام مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع تركيا)، وأحمد (٣ / ١٤٣) برقم (١٢٤٧٩).

^٢ النووي، يحيى بن شرف ٦٧٧ هـ، شرح النووي لصحيح الإمام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ١ ٤١٥ هـ ٩٩٥ م [١ / ١٥٢].

^٣ الفخر الرازي، التفسير الكبير [١٢ / ١٥٠] والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن [٦ / ٤٠١].

^٤ الطحاوي، أبو جعفر ٣٢١ هـ، شرح معاني الآثار، حققه وصححه: محمد زهري النجار دار الكتب العلمية لبنان ط ٢ ٤٠٧ هـ ٩٨٧ م [١ / ١٧٤].

^٥ الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٠

^٦ الكفوي، الكليات ص ٤٨٨.

^٧ رضا، تفسير المنار [٥ / ٢٢٥].

قوله تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا ﴾ [التغابن / ٧] وقوله تعالى: ﴿ بل زعمتم ﴾ [

الكهف / ٤٨] وقوله تعالى: ﴿ كنتم تزعمون ﴾ [الأنعام / ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ زعمتم

من دونه ﴾ [الإسراء / ٥٦] قوله تعالى: ﴿ أيهم بذلك زعيم ﴾ [القلم / ٤٠].

ومما شذ عن أن يرد على وجه الذم قوله تعالى: ﴿ وأنا به زعيم ﴾ [يوسف /

٧٢] فإنه هنا بمعنى كافل أو ضامن وليس ذلك على وجه الذم.

الزكاة:

الزكاة في اللغة عموم النماء. وفي الاستعمال القرآني فقد قال ابن فارس: كل

شيء في القرآن من "زكاة" فهو المال، غير التي في سورة مريم قوله تعالى: ﴿ وحنانا من

لدا وزكوة ﴾ مريم ١٢، فإنه يعني: تعطفاً^١.

وقال الكفوي: كل ما في القرآن من (زكاة) فهو المال، [إلا قوله تعالى: (

وحنانا من لدا وزكوة) مريم ١٢ فإن المراد به الطهارة^٢.

ولقد وردت الزكاة في القرآن في اثنين وثلاثين موضعاً:

وبعد دراسة الآيات يتبين للمتأمل أن لفظة الزكاة في القرآن على قسمين:

الأول: أن ترد مقرونة بذكر الصلاة، وهي في نحو ست وعشرين آية

والثاني: أن ترد مفردة دون ذكر للصلاة، وجاءت كذلك في نحو ست آيات.

^١ الزركشي البرهان ١/١٣٩، السيوطي الإتيان ١/٣٠٤

^٢ الكفوي، الكليات ص ٤٨٥.

إذن فالمراد بالزكاة المقرونة بالصلاة هي الزكاة الشرعية أي: زكاة الأموال

التي فرضها الله في أموال الأغنياء حقا للفقراء ومن أوجب الله صرفها إليهم^١.

وعليه فإن "الزكاة" في القرآن استعملت في معناها الشرعي أي زكاة الأموال،

ماعدا قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مريم ١٣، وقوله تعالى ﴿فَارْزُقْنَا أَنْ

يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ الكهف ٨١. فإن الزكاة في الآيتين أريد بهما

المعنى اللغوي دون المصطلح الشرعي، وبهذا تكون الكلية أغلبية، بخروج الآيتين

السابقتين آية الكهف (٨١)، ومريم (١٣) عن المعنى الغالب للفظ الزكاة.

سبيل الله

السبيل في اللغة هو الطريق وما وضح منه، وجمعه سبل، وسبل يذكر ويؤنث^٢

وقد ورد هذا المعنى في القرآن مثل قوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا

كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] فالسبيل هو طريق الخير وطريق الشر.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾ [عبس: ٢٠]، أي يسر له خروجه

من بطن أمه.

^١ انظر الطبري، جامع البيان ٥٧٣/١، والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ٥١٦ هـ، معالم التنزيل، تحقيق:

محمد عبدا لله النمر، عثمان جمعه، سليمان مسلم الحرش، دار طبعة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ.

(٨٨/١)، وابن عطية، المحرر الوجيز ٣٧٥/١، وأبو حيان، البحر المحيط ٤٦٠/٣.

^٢ ابن منظور، لسان العرب ٢

والسبيل إذا أضيف لله تعالى فالمقصود العمل الذي يحبه الله تعالى.

والقرآن الكريم يخص هذا اللفظ بمعنى الجهاد. قال الرازي العلماء في ﴿ في سبيل

الله ﴾ مختص بالجهاد في عرف القرآن ^١، وكذلك قال ابن حجر ^٢

وقد اختلف العلماء في المقصود بلفظ (سبيل الله) في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة

مائة حبة ﴾ سورة البقرة: ٢٦١

وقوله تعالى: ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ﴾

سورة البقرة: ٢٦٢

وقوله تعالى: ﴿ إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل

الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (٣٤)

وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال

الصدقات، ظل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

فبشرهم بعذاب أليم ﴾ سورة التوبة: ٣٤

^١ الفخر الرازي، التفسير الكبير / ١٩

^٢ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ٨٥٢ هـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث القاهرة ط ٢٠١٤ هـ / ١٩٨٨ م. (٣٩-٦)

فيحتمل أن يكون المعنى خاصا في القتال والجهاد، ومحتمل أن يكون معناه عاما

يشمل جميع الصدقات.

قلت:

أما آية السنايل فيؤكد كون الحديث، في القتال والجهاد أن النفقة التي تضاعف سبعمائة ضعف هي نفقة الجهاد، أما غير الجهاد فالحسنة بعشر أمثالها وقد تضاعف أكثر من ذلك، وفي الحديث الذي عن خريم بن فاتك رفعه: (من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف).^١ قال ابن حجر بعد أن ساق هذا الحديث، وهو موافق لقوله تعالى:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل ﴾^(٤٢) (٤٣). ويقول ابن

كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ (٤٤): قال مكحول:

يعني في الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف

لهذا قال تعالى: ﴿ كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾ (٤٥).

وأما آية الأحبار والرهبان فإن ظاهره يشعر بأن ترك الإنفاق في سبيل الله المرهب منه في الآية يراد به تركه في كل القربات والطاعات وليس خاصاً بالجهاد والقتال، وقد حمل أبو زر الآلية على عموم الإنفاق، وحمل سبيل الله على وجوه البر.

^١ أخرجه الترمذي في السنن (١٦٧ / ٤) برقم (١٦٢٥) والنسائي (٤٩ / ٦) برقم (٣١٨٦) وأحمد في المسند (٤ / ٣٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٢٥)

- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ١ ٨٠
١٤ هـ / ١٩٨٨ م.

ولكن عند التأمل في هذه الآية يتبين أن الأمر مخالف لذلك. ويدل على ذلك أن هذه السورة نزلت أثر غزوة تبوك، وكانت غزوة تبوك في وقت عسرة، وكانت الحاجة إلى العدة والظهور كثيرة، فالذين تخلفوا عن النفقة هم الذين عنتهم الآية ولا شك أنهم من

المنافقين

وأما آية الصدقة الدراسة أنها في الغزو أسلوب الحصر الذي جعل مصارف الزكاة ثمانية القول بتعميم لفظ (في سبيل الله) في جميع القربات ينافي هذا الحصر. وعدم وجود فائدة من التخصيص على المصارف السبعة الأخرى إذا كانت (في سبيل الله) عامة في كل القربات والطاعات لأن بقية المصارف تكون داخلة في هذا المصروف بناءً على هذا. والذي يظهر من الدراسة أن المراد بهذا اللفظ إذا أطلق في الكتاب والسنة الجهاد.

السعي

لفظ السعي له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عرف القرآن أن يستعمل في العمل والفعل.

فالسعي في اللغة استعمالات متعددة: منها المشي و العدو و العمل وكل من ولي شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم، وأكثر ما يُقال ذلك في سَعَاة الصدقة يقال سَعَى عليها أي عمل عليها.¹

أما القرآن الكريم فلا يستعمل من المعاني السابقة إلا معنى واحداً وهو العمل والفعل فلا يأتي السعي بمعنى مشى ولا عدى ولا غير ذلك.

¹ الأزهري، تهذيب اللغة [٩٠ / ٣] والراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١ وابن منظور، لسان العرب [٣ / ٢٠٢٠].

قال الرازي: السعي في كتاب الله العمل.^١

وقال ابن تيمية: (قال الأئمة: السعي في كتاب الله هو العمل والفعل)

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)﴾ الليل، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا

كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)﴾ الإسراء، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ

الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ

خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ المائدة،

وقوله تعالى عن فرعون: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢)﴾ النازعات، كل هذه الآيات المراد بها

شيء معنوي وهو العمل والفعل ؟، وليس المشي ولا الركض. مما يعني حصول العرف

القرآني بطريق التخصيص بمعنى واحد.

ويبقى النظر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا

إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الجمعة الآية (٩) فالقول فيها ان

السعي المأمور به إلى الجمعة هو المضى إليها والذهاب إليها وليس المراد العدو فإنه قد

^١ الفخر الرازي، التفسير الكبير [٨ / ٣٠].

ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا -

وروي فاقضوا)^١.

الشرك

قال ابن القيم: (الشرك المطلق في القرآن لا يدخل فيه أهل الكتاب وإنما يدخلون في الشرك المقيد)^٢.

وقال رشيد رضا: (وذهب الأكثرون إلى أن المراد بالمشركات مشركات العرب اللاتي لا كتاب لهن لأن هذا هو عُرْف القرآن في لقب المشرك)^٣.

ولقد تعالى: قرآن الكريم المشركين قسما غير أهل الكتاب وكان يعطفهم عليهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ

اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الحج / ١٧. فجعلهم قسما غيرهم. ويدل على ذلك الآيات

التالية:

^١ أخرجه مسلما، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة وللهي عن إتيانها معيا (١ / ٤٢٠) برقم (٢٠٦).

- الإمام مالك بن أنس ١٧٩ هـ ، الموطأ، صححه وترجم وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري، القاهرة.

^٢ ابن قيم الجوزية التبيين في أقسام القرآن [١ / ١٥٩]

^٣ رضا، تفسير المنار ٢ / ٣٤٩

قال تعالى: ﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَئِنْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ

رَبِّكُمْ ﴾ (١٠٥) البقرة.

وقال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَنَفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

(١) البينة.

وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ

الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦) البينة.

شَطَرَ

لفظ شَطَرَ له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن ان يستعمل في

معنى الاتجاه

فالشطر في اللغة ثلاثة أصول¹:

الأول: يدل على جزء الشيء.

الثاني: يدل على المواجهة، أو الاتجاه للشيء.

الثالث: يدل على البعد

فيكون للفظ في اللغة أكثر من مدلول.

والذي ورد في القرآن من هذه المعاني الثلاثة المعنى الثاني، وهو الاتجاه

¹ ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة شطر.

ويدل على ذلك ان الشطر ورد في القرآن في خمسة مواضع كلها في قضية

الاتجاه إلى البيت الحرام. كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ

قِبْلَةً تُرِضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٤. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ

حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

البقرة: ١٤٩. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا

كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِنَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي

وَلَا تَمْنَعِيكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَهْدُونِ ﴾ البقرة: ١٥٠

وجميع اقوال المفسرين على ان المقصود الاتجاه، ولا يفهم غير ذلك، فهو من

باب عرف القرآن بالتخصيص.

الضلال البعيد

يستعمل القرآن اللفظ (ضلّ ضلالاً بعيداً) في المشرك والكافر الجاحد، لا

المؤمن المعتقد الذي غلبه هواه، و يعلم ذلك بالتتابع في موارد وروده في الذكر الحكيم.

قال سبحانه: ﴿ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ إبراهيم: ٢ - ٣.

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ إبراهيم: ١٨.

وقال تعالى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾

الحج: ١٢.

وقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ سبأ: ٨.

فظهر من ذلك أن الضلال البعيد مفهوم ينطبق على الجاحد مشركاً كان أم كافراً غير مشرك، ولا ينطبق على المؤمن بكل ما أنزل الله غير أنه غلب عليه هواه فركب الكبيرة.

الظلم إذا لم يعد إلى مفعول

قال ابن عاشور: (الظلم في القرآن إذا لم يعد إلى مفعول نحو (ظلموا أنفسهم)

مراداً منه أعظم الظلم وهو الشرك حتى صار ذلك حقيقة عرفية في مصطلح القرآن) ^١.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى

أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٦١] النحل، وقوله

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٨٧٦٥.

تعالى: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ﴾ (٦٥) سورة الزخرف.

والظلم في اللغة: لا يقتصر على الشرك بل يطلق على الاعتداء على الحق ويشمل كل ظلم في حق النفس أو حق الآخرين أو حق الله تعالى. و أعظم الاعتداء هو الاعتداء على حق الخالق على مخلوقاته وهو حق إفراده بالعبادة لذلك كان الظلم يراد به في الشرع الشرك كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) سورة لقمان.

أما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦) سورة الرعد، فيجوز ان يحمل على الظلم الذي هو الشرك ويجوز أن يحمل على ارتكاب الذنوب بقربة السياق كإطلاقه في قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (١٦٠) سورة النساء.

عبادي

عباد الله لفظ شرعي يراد به المؤمنون بالله. وهو الغالب في القرآن قال ابن عاشور: (الغالب في القرآن في لفظ العباد المضاف إلى اسم الله تعالى أو ضميره أن يطلق على خصوص المؤمنين والمقربين)^١

^١ المصدر نفسه ١ / ٣٦٦٣.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا

عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (١٦) الزخرف.

قال الشوكاني في فيض القدير: (معنى { يا عباد فاتقون } أي اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين أن الغالب في القرآن إطلاق لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمسلمين والكفار)^١.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾

[٥٣] الإسراء.

والمراد بقوله (لعبادي) المؤمنون كما هو المعروف تعالى: لاح القرآن.

ومما جرى على أصل استعمال اللغة للفظ العباد قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا

يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) الفرقان.

وذلك لان قرينة السياق ظاهرة هنا حيث ان الكلام عن الكفار يوم القيامة.

عبده

قال ابن عاشور في تفسير الإسراء^١: (لم يقع لفظ العبد المفرد مضافة إلى

ضمير الغيبة الراجع إلى الله تعالى إلا مراداً به النبي صلى الله عليه وسلم.)^٢

و غالب المفسرين على هذا الأمر^١

^١ الشوكاني، فتح القدير ٤ / ٦٤٨

^٢ المصدر نفسه ١٥ / ١٢

وقد وقع النزاع في آيات هي:

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ﴾ الزمر ٣٦

قيل في معناها.

٠١ عبده بمعنى عباده أي المؤمنون.

٠٢ بمعنى عبده محمد صلى الله عليه وسلم.

ويرجع الثاني أمور:

أولاً: سياق قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.

ثانياً: وما ورد في سبب النزول من أن قريشاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنا

نخاف أن تخبلك آلهتنا لعبيك إياها.^٢

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ النجم ١٠

وفي معنى اللفظ قولان:

٠١ جبريل عليه الصلاة والسلام. وهو قول ابن عباس والحسن والربيع وابن زيد

والفراء والزجاج واختاره الطبري.^٣

٠٢ محمد صلى الله عليه وسلم. ١

^١ انظر الطبري، جامع البيان ١٨ / ١٣٦ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢ والأكوسي، روح المعاني ١٥ / ٢٠٠.

^٢ تفسير عبد الرزاق ٢ / ١٧٣ الزمخشري، جار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و**عيون الأكاويل في وجوه التأويل**، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م (٤ / ١٢٤).

^٣ الفراء معاني القرآن ٣ / ٩٥ والطبري، جامع البيان ٢٧ / ٢٨.

والصحيح والأرجح انه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لما يلي:

أولاً: لكثرة القائلين بذلك من المفسرين.

ثانياً: لان السياق سياق مدح وثناء على النبي صلى الله عليه وسلم فبعدها ما كذب

الفواد ما رأى رداً على من كذبه من قریش في أمر حادثة الإسراء والمعراج.

العذاب المهين:

قال ابن تيمية: (لم يجرِ إعداد العذاب المهين في القرآن إلا في حق

الكفار)^١.

وقال الألويسي: (والمهين المذل وأصله مهون فأعل وإسناده إلى العذاب مجاز

من الإسناد إلى السبب والوصف به للتقيد والاختصاص الذي يفهمه تقديم الخبر بالنسبة

إليه فغير الكافرين إذا عذب فإنما يعذب للتطهير لا للإهانة والإذلال ولذا لم يوصف

عذاب غيرهم به في القرآن)^٢.

وقال: (فغير الكافرين إذا عذب فإنما يعذب للتطهير لا للإهانة والإذلال ولذا لم

يوصف عذاب غيرهم به في القرآن فلا تمسك للخوارج بأنه خص العذاب بـ الكافرين

فيكون الفاسق كافراً لأنه معذب ولا للمرجئة أيضاً)^٣.

قلت والآيات على ما قال الأئمة من ان العذاب المهين خاص بالكفار: ومن

الأمثلة التي توضح ذلك:

^١ انظر الطبري، جامع البيان ٢٧ / ٢٨ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩١.

^٢ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ٧٢٨هـ ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند مؤسسة علوم القرآن - دمشق الطبعة الثانية، ١٤٠٤ (٢ / ٤٥٨).

^٣ الألويسي، روح المعاني ٦ / ١٢٥

^٤ المصدر نفسه ٦ / ١٢٥ .

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]

و قوله تعالى: ﴿فَبَاؤُوا بْغَضِبِ عَلَى غَضَبِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ مُهِينٍ﴾ [البقرة: ٩٠]

و قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيَّ لَهْمٌ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابُ مُهِينٍ﴾ [آل عمران: ١٧٨]

و قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابُ مُهِينٍ﴾ [الحج: ٥٧]

و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابُ مُهِينٍ﴾

[الجاثية: ٩]

و قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابُ مُهِينٍ﴾ [المجادلة: ١٦]

والآيات الواردة في اللفظ كلها دالة على القاعدة ولكن بشكل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]

وقد اختلف المفسرون فيها على قولين:

٠١ إنها في حق العصاة من المسلمين الذين اخلوا في توزيع الميراث .

٠٢ فيمن جحد الفرائض وهو ترجيح الألو سي وابن تيمية .

قال ابن تيمية: (وأما قوله تعالى: ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً

خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ [النساء: ١٤] فهي والله أعلم فيمن جدد الفرائض)^١

عسى المقيدة بلفظ الجلالة.

من عادة القرآن انه يستعمل (عسى المقيدة بلفظ الجلالة - عسى الله -) في غير الرجاء بل بمعنى الواقع الواجب.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كل عسى في القرآن فهي واجبة)^٢.
وقال أيضاً بهذا: الضحَّاك، والحسن، وأبو مالك، والسُّدِّي، وأبو عبيدة،
والشافعي، وهو قول أكثر المفسرين.^٣

ومقصود الأئمة في قولهم عسى المقيدة بلفظ الجلالة وما أطلق من الأقوال يحمل على هذا المقيد، ذلك ان الإشكال وارد على كون الرجاء في حق الله تعالى غير وارد ؛ إذ إنه المتصرف المدبر، والرجاء إنما يكون ممن لا يملك الشيء فيرجوه من غيره.
وهذه العادة ليست من معهود اللغة فعسى في اللغة حرف من حروف المقاربة وعسى ولعل طمع وإشفاق وفيه ترج وعسى كلمة تكون للشك واليقين^٤.

و لقد استثنى بعض المفسرين من ذلك آيتين هما:

^١ ابن تيمية دقائق التفسير ٢ / ٥٨

^٢ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٧٦٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى في كتاب: السير / باب: ما جاء في عذر المستضعفين (٩ / ١٣) برقم (١٧٥٣١)

^٣ انظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (٦ / ١٨٧٤)، معمر بن المثنى، مجاز القرآن (١ / ١٣٤)،
والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١ / ٥٢٢) ، وابن القيم، بدائع الفوائد ٣ / ١٧٨

^٤ ابن منظور، لسان العرب ٤ / ٢٩٤٩ والأزهري، تهذيب اللغة ٣ / ٨٥.

الأولى: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ (الإسراء: من الآية ٨) يعني: بنسي

النضير فما رحمهم الله، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثانية: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ﴾ (التحریم: من الآية ٥)

فلم يقع التبديل^١.

قال السيوطي: (وأبطل بعضهم الاستثناء، وعمم القاعدة ؛ لأن الرحمة كانت

مشروطة بالألا يعودوا، كما قال: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ (الإسراء: من الآية ٨) وقد عادوا، فوجب

عليهم العذاب، والتبديل مشروط بأن يطلق ولم يطلق، فلا يجب^٢.

ولذا فهذه الكلية لم تستثن منها شيء على الصحيح .

الفؤاد

لفظ الفؤاد له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن ان يستعمل في

المعنوي لا الحسي .

فالفؤاد في اللغة: هو القلب، أو: نياطه، أو: وسطه، أو: حبه وسويداؤه، أو:

غشاؤه، وقيل: العقل.^٣ ويراد به القلب العضلي تارة والقلب المعنوي تارة أخرى.

وكذلك لفظ القلب، يستعمل في اللغة للعضلة اللحمية ويستعمل للأمور

المعنوية.

^١ الزركشي، البرهان ٤ / ١٨٣.

^٢ انظر: السيوطي، الإقتان في علوم القرآن (١ / ٥٢٢)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (٤ / ١٨٣).

^٣ الرازي مختار الصحاح ٦ - ٢٢٠

والقرآن الكريم يخص استعمال الفؤاد والقلب في الأمور المعنوية أو بما يسمى البصيرة.

وقد وردت كلمة (فؤاد) ست عشرة مرة في القرآن الكريم، خمسا مفردة، وإحدى عشرة بالجمع "أفئدة". أما لفظ "قلب" فقد ورد مفردا، أو مثنى، أو جمعا في القرآن الكريم (١٣٢) مرة.

وجميع استعمال القرآن الكريم لهذين اللفظين هو في الأمور المعنوية:

قوله تعالى: ﴿ وَكَلا نَقْصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ ﴾ (هود ١٢٠) أي قلبك، وهو هنا القلب المعنوي لا العضلي.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (إبراهيم ٤٣) أي خالية لا تفكر.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء ٣٦)

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم ١١)

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴾ (٩) السجدة.

وقوله تعالى: ﴿ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ (٧) الهمزة.

قالت بنت الشاطئ: (الفؤاد في القرآن يستعمل للفؤاد المعنوي لا الجارحة)^١.

القرض الحسن

القرض في اللغة يحتمل معاني كثيرة: منها القطع. ومنها ما يعطيه الإنسان من المال وكأنه القطع من المال. وما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه وهو ما أسلفه المرء من إساءة أو إحسان.^٢

والقرآن الكريم يستعمل هذا اللفظ ويريد به صدقة التطوع. فقال الحسن

البصري: (كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع)^٣

وردت عبارة القرض الحسن في القرآن في ستة مواطن.

و جماهير أهل التفسير على أن المراد بالقرض الحسن في جميع المواطن في

القرآن صدقة التطوع

وهناك بعض الأقوال المخالفة كما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

آية المائدة ١٢

١ بنت الشاطئ، التفسير البياني،

٢ انظر: الزجاج، معاني القرآن [٣٢٤ / ١] والجواهري، الصحاح [١١٠١ / ٣] و الراغب، مفردات الفاظ القرآن ص ٦٦٦ .

٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [٢٤٢ / ١٧] والكفوي، الكليات ص ٧٠٢.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد

١١ فسرت بالنفقة على الأهل وهو قول زيد بن اسلم.^١

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة ٢٤٥. فسرت بقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر.^٢ وفسرت بنفقة الجهاد.^٣

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَّةُ وَحَافَّةٍ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ

وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَبَبَّ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ

مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ

مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ

^١ النظر الطبري، جامع البيان [٩٨ / ٦] والسمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر ٤٨٩ هـ
، تفسير القرآن تحقيق: أبي تميم ياسر إبراهيم وأبي بلال غنيم عباس غنيم، دار الوطن ط ١ ١٤١٨ هـ /
١٩٩٧ م. [٢ / ٢١٢] و القاسمي، محمد جمال الدين ١٣٣٢ هـ، محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، وقف
على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر،
بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
[١٣٢ / ٦].

^٢ انظر: الماوردي، النكت والعيون [٥ / ٤٧٢] وابن عطية، المحرر الوجيز [١٤ / ٢٩٧].

^٣ انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز [١٥ / ١٦٩] والبنغوي، معالم التنزيل [٨ / ٢١٦]. والزمخشري،
الكشاف [١ / ٢٨٧] وأبو السعود، إرشاد العقل السليم [١ / ٢٣٨].

خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ المزمّل ٢٠ فسرت بمطلق العمل

الصالح وهو قول ابن عطية.^١

ويدفع المراد بأنه الذكر انه لا تدل عليه اللغة العربية بأي وجه كان.

ويدفع ان المراد نفقة الجهاد ان نفقة الجهاد منها واجب ومنها تطوع فلا يبعد

ان يكون داخلا في مفهوم صدقة التطوع.

ويدفع ان المراد عموم التطوع من الأعمال الصالحة ان لفظ القرض جاء في

أغلب الآيات في سياق الترغيب في النفقة.

فإذا كان ذلك كذلك كان قول الحسن البصري على ما قال، ويكون للفظ عُرف

قراني مطرد.

القول المقرون بالأفواه والألسنة

القول إذا اقترن بالأفواه والألسن فقد يفهم منه التوكيد كما قال تعالى: ﴿يَكُونُ

الكتاب بأيديهم﴾ [البقرة: ٧٩] وقوله: ﴿وَلَا طَائِرِيٍّ يَحْنَاهُ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله:

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].

ولكن الاستعمال القرآني لهذا اللفظ يريد به ان القول قول زور وباطل.

قال القرطبي: (قال أهل المعاني: إن الله سبحانه لم يذكر قولاً مقروناً بذكر

الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً)^١

^١ في تفسير آية المزمّل ٢٠ انظر ابن عطية، المحرر الوجيز [١٥ / ١٦٩] والبيهقي، معالم التنزيل [٨ / ٢١٦]. وفي تفسير آية البقرة ٢٤٥ انظر: الزمخشري، الكشاف [١ / ٢٨٧] والأوسى، روح المعاني [٢ / ١٦٢].

وذكر تعالى: عليّ ٢ والشوكاني ٣ والبغوي ٤ والكفوي ٥.

وعند النظر في الآيات الواردة في ذلك وهي:

قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]

و قوله تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]

و قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١].

الكأس

لفظ الكأس له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن ان يستعمل في

الخمير.

فالكأس في اللغة: هيئة من الأواني وهي كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض ولا

عروة أما الكوب فهو قدح لا عروة له^١، والكأس كل إناء مملوء من الشراب سواء كان

خمرا أو غيره^٢.

ومن عادة القرآن ان يستعمل (الكأس) ويريد بذلك الخمر.

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨ / ١١٨.

^٢ الثعلبي، أحمد بن محمد ٤٢٧ هـ الكشف والبيان - تفسير الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبي محمد بن عاشور طبعة دار إحياء التراث العربي، ط ١، (١٤٢٢ هـ [٢٣ / ٥]).

^٣ الشوكاني، فتح القدير ٢ / ٣٧٨.

^٤ البغوي، معالم التنزيل ٤ / ٣٨.

^٥ الكفوي، الكليات ٧٠٢.

^٦ الجواهري، الصحاح [٢١٥ / ١] والراغب، المفردات ص ٧١٨.

^٧ الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ٣١١ هـ، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م. [٢٧٥ / ٥].

وقد أشار لهذه العادة القرآنية ابن عباس حيث قال: كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر.¹ وورد ذلك عن الضحاك² والأخف³ ومقاتل⁴ ونسب القرطبي والشوكاني ذلك إلى السدي.⁵ وأيد ذلك الكفوي في الكليات⁶ وورد عن ابن عاشور⁷.

وقال ابن القيم مبينا وجه التسمية القرآنية: (المفسرون فسروا الكأس بالخمر. .. وهذا نظر منهم إلى المعنى والمقصود فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه، وأيضا فإن من الأسماء ما يكون اسما للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فإن النهر اسم للماء ولمحله معا ولكل منهما على انفراده وكذلك الكأس والقربة ولهذا يجيء لفظ القربة مرادا به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معا)⁸

وقال ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: (يطاف عليهم بكأس من معين) الصافات ٤٥: مدلا أنها الخمر: (لأنه افرد الكأس مع أن المعطوف عليهم كثيرون ولأنها وصفت من معين)⁹

قلت: ومراده رحمه الله أن الموصوف بالمعين هو الشراب لا الإناء. وهذا من أكبر الأدلة على أن المراد بالكأس الخمر.

¹ انظر: الزمخشري، الكشاف [٤ / ٤١]، والنسفي، أبو البركات عبد الله ٧٠١هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر. [٤ / ٢٠].

² الطبري، جامع البيان [٢٣ / ٣٤] و للنحاس، إعراب القرآن، [٣ / ٤١٩].

³ الزمخشري، الكشاف [٤ / ٤١] و الرازي، التفسير الكبير [٢٦ / ١١٩].

⁴ مقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ ، تفسير مقاتل، دراسة وتحقيق: د. عبدالله شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م [٤ / ٢١٧].

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن [١٥ / ٧٧] والشوكاني، فتح القدير [٤ / ٣٨٠].

⁶ الكفوي، الكليات [٤ / ٧٣].

⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير [١ / ١٢٢].

⁸ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ ، حادي الأرواح إلى بلاد الأنسراح، دار الكتب العلمية - بيروت [١ / ١٣٤].

⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ١٢٣٤.

فإذا كان هذا فإن القرآن يكون قد استعمل اللفظ بأخص مما هو في لغة العرب
لذا فإن فيه عرفاً قرآنياً.

الكفار

يراد بهذا اللفظ في اللغة أكثر من معنى:

١. الكفار بمعنى الزراع.

٢. الكفار بمعنى الكفار بالله.

والقرآن يذكر هذا اللفظ ويريد به عادة الكفار بالله.

قال ابن القيم في سياق كلام عن قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ﴾ (الحديد: من

الآية ٢٠).: (والصحيح - إن شاء الله - أن الكفار هم الكفار بالله، وذلك عُرِفَ القرآن

حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزراع لذكرهم باسمهم الذي يعرفون

به، كما ذكرهم به في قوله تعالى: (يعجب الزراع). وإنما خص الكفار به، لأنهم أشد

إعجاباً بالدنيا، فإنها دارهم التي لها يعملون ويكدحون، فهم أشد إعجاباً بزينتها وما فيها -

من المؤمنين (١).

الكفر

قال ابن عاشور: (الكفر: الإشراف بالله كما هو مصطلح القرآن حيثما أطلق

الكفر مجرداً عن قرينة إرادة غير المشركين) (٢).

^١ ابن القيم ٧٥١ هـ، عدة الصابرين، شرح ومراجعة سعيد اللحام دار الفكر اللبناني بيروت لبنان ص ٢٨١

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٠٢٣.

وقصده رحمه الله ان ليس المراد بالذين كفروا أهل الكتاب، ويبينه قوله في موضع آخر: (ليس من اصطلاح القرآن التعبير عنهم - أي أهل الكتاب - بالذين كفروا)^١.

ومن اعظم الأدلة على ما قال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعُنَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [

٥٧] المائدة. فان عطف الكفار على الذين أوتوا الكتاب يشعر بأنهم غيرهم

والمراد بهم هنا المشركون من أهل المدينة الذين أظهروا الإسلام نفاقاً مثل

رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث فقد كان بعض المسلمين يوادهما اغترارا بظاهر

حالهما. ويؤيده ما روي عن ابن عباس: أن قوماً من اليهود والمشركين ضحكوا من

المسلمين وقت سجودهم. وقال الكلبي: كانوا إذا نادى منادي رسول الله قالوا: صياح مثل

صياح العير وتضحكوا فأنزل الله هذه الآية.

وقد يراد بالكافرين جميع المخالفين في الدين: مثل المراد من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ((١٩)) آل عمران.

وعليه يكون للفظ معنى لغوي وآخر شرعي.

وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢) البقرة.

^١ المصدر نفسه / ١٤٢٣.

روى عن مقاتل ان المراد بالذين كفروا أهل الكتاب.

ورجح ابن عاشور أنهم أهل كفار العرب وزاد الاستدلال بقوله تعالى:

ويسخرون من الذين آمنوا حيث قال: يناسب حال المشركين لا حال أهل الكتاب

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ

النار﴾ [١٠] كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴿

[١١] آل عمران

والمراد بالذين كفروا: المشركون وهذا وصف غالب عليهم في اصطلاح

القرآن وقيل: أريد هنا قريظة والنضير وأهل نجران ؛

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ

فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [٢٨] آل عمران.

وقد اختلف في هذه الآية: والأرجح أنهم المشركين لأن المشركين هم الذين كان

ببيلهم وبين المهاجرين صلوات فكانوا بمظنة الموالاة مع بعضهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ

ثُمَّ يَنْتَقِضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (٥٦) الأنفال.

وقد اختلف في هذه الآية: فعن ابن عباس وقتادة: أن المراد بهم قريظة فإنهم

عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوه ثم نقضوا عهدهم

فأمدوا المشركين بالسلاح والعدة يوم بدر واعتذروا فقالوا: نسينا وأخطأنا ثم عاهدوه أن لا

يعودوا لمثل ذلك فنكثوا عهدهم يوم الخندق ومالوا مع الأحزاب وأمدوهم بالسلاح والأدراع^١.

قال ابن عاشور: (والأظهر عندي أن يكون المشركين هم قريظة وغيرهم من بعض قبائل المشركين وأخصها المنافقون فقد كانوا يعاهدون النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينقضون عهدهم كما قال تعالى: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) الآية وقد نقض عبد الله بن أبي ومن معه عهد النصر في أحد فانخزل بمن معه وكانوا ثلث الجيش. وقد ذكر في أول سورة براءة عهد فرق من المشركين. وهذا هو الأنسب بإجراء صلة الذين كفروا عليهم لأن الكفر غلب في اصطلاح القرآن إطلاقه على المشركين)^٢.

كفور

عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن كفور يعني به الكفار^٣.
والكفر في اللغة: ستر الشيء ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص والزرارع لستره البذر في الأرض وليس ذلك باسم لهما كما قال بعض أهل اللغة^٤.
وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها قال تعالى: ﴿ فلا كفران لسعيه ﴾ [الأنبياء / ٩٤].

والكفور: المبالغ في كفران النعمة:

قال تعالى: ﴿ إن الإنسان لكفور ﴾ [الزخرف / ١٥]

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ١٧٨٢.

^٢ المصدر نفسه ١ / ١٧٨٢.

^٣ السيوطي، الدر المنثور ٦ / ٥٧.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كفر) ٢ / ١٧٤.

وقال تعالى: ﴿ ذَلِكْ جَزَايَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴾ [سبا / ١٧]

والمبالغ في الكفران هو الكافر لا المسلم العاصي والآيات على ذلك ومن الأمثلة

الدالة:

قال تعالى: ﴿ وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ﴾ (٩) هود.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٢٧)

الإسراء.

لا يفلح

قال الشنقيطي: عُرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه، أن لفظة "لا يفلح" يراد بها

الكافر^١.

والفلاح في اللغة: الظفر وإدراك البغية، وهما ضربان: دنيوي وأخروي.

وقيل الفلاح: بلوغ الأمل، فتارة يكون في البقاء، وتارة يكون في نجاح

المساعي^٢.

وقد ورد الفعل (لا يفلح، لا يفلحون) في إحدى عشرة آية من القرآن.

وهذه الكلية أغلبية كما أطلقت، ومما خرج عن القاعدة، قوله تعالى: ﴿ قَالَ

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يوسف ٢٣. وذلك بناء على تفسير (

الظالمون) بأنهم الزناة كما هو الظاهر.

1 الشنقيطي، أضواء البيان ٣٣٥/٤.

2 ابن عطية، المحرر الوجيز ٥٣٧/٨.

لا ينبغي

استعمال القرآن الكريم للفظ لا ينبغي عادة ما يكون إذا كان الأمر لا يمكن ان يكون أو يستحيل ذلك.

قال ابن القيم: (اطرء في كلام الله ورسوله استعمال لا ينبغي في المحظور شرعا أو قدرا في المستحيل الممتنع)^١.

الأمثلة:

قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩٢) مريم، أي لا يمكن ان يتخذ ولدا قول الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾

الفرقان ١٩

قول الله تعالى: (تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ الشعراء. أي لا يمكن ان تنزل الشياطين بالقرآن.

قول الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) يس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) يس.
ان لا يمكن ان يتعلم الشعر.

١١٦ انظر ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ٧٥١ هـ، أعلام الموقعين عن رب العالمين، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣ م [٤٣ / ١]

ما لهم في الأرض من ولي ولا نصير

عن الضحاك قال: قال لي ابن عباس: احفظ عني كل شيء في القرآن (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) فهو للمشركين، فأما المؤمنون فما أكثر أنصارهم وشفعاءهم.^١

والآيات كلها في حق الكفار مثل:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧) البقرة.

وقال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ

الْهُدَى وَلَنْ أَتَّبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠) البقرة.

وقال تعالى: ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُمُوا بِمَا لَمْ

يَقُولُوا وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤) التوبة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴾ (١١٦) التوبة.

^١ السيوطي، الإتقان ١ / ٣٠٧ والسيوطي، الدر المنثور ٤ / ٢٤٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾ (٢٢) العنكبوت.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا

لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨) الشورى.

ما يكون لك، ما يكون لنا

قال ابن القيم: (لفظه (ما يكون لك) ، (ما يكون لنا) فاطرد استعمالها في

المحرم)^١.

قلت: هي كذلك في القرآن:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

(١٣) سورة الأعراف.

فالتكبر على الله من اكبر المحرمات فضلا عن كونه محرما.

قال تعالى: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا

أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩) سورة الأعراف

^١ ابن القيم، بدائع الفوائد ٤ / ٦.

وكذلك العودة إلى الكفر بعد النجاة منه من احرم المحرم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ

(١٦) يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) سورة النور.

وأیضا من المحرم التكلم بالفك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه رضي

الله عنها.

المجرم

قال ابن عاشور: (لم يرد في كتاب الله تعالى هذا الوصف إلا في حق

الكفار)^١.

والآیات باطراد دالة على ذلك: فلفظ الإجرام إذا ورد في كتاب الله ورد في شأن

الكفار والمشرکین والمکذبین.

قال جل شأنه ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٤٧) سورة القمر.

وقال جل وعلى: (أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٥) سورة القلم.

وقال جل جلاله: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) سورة

المدثر.

ونذكر الآيات في ذلك يطول، والخلاصة أنها مطردة في شأن الكفار.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٢٢١١

المسجد الحرام:

قال الماوردي: وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ التوبة ٢٨، يريد به

الحرم، فعبّر عنه بالمسجد، كما قال تعالى: ﴿سَبِّحْنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الحرام﴾ الإسراء ١، يريد به مكة، لأنه أسري به من بيت أم هانئ، وهكذا كل موضع

ذكر الله تعالى فقال الله (المسجد الحرام) فإنما أرد به الحرم، إلا قوله تعالى: ﴿فَوَلَّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة ١٤٤، يريد به الكعبة^١.

وقال السيوطي: قال تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ التوبة ٢٨، فيه أن

الكافر، يمنع من دخول الحرم، ولا يؤذن له في دخوله لا لتجارة ولا لغيرها، وإن كان

لمصلحة لنا، لأن المسجد الحرام حيث أطلق في القرآن فالمراد به الحرم كله^٢.

وقد ذكر المسجد الحرام في القرآن خمس عشرة مرة .

^١ الماوردي أبو الحسن محلي بن محمد بن حبيب ٤٥٠ هـ ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني ، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، كتاب الجزية ١٤/٣٣٥، وانظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ٧٩٤ هـ ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، قدم له واعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م. ص ٤٢.

^٢ السيوطي، جلال الدين ٩١١ هـ ، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، الكاتب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م. ص ١٢٣.

ومما يخرج عن القاعدة قوله تعالى: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد

الحرام﴾ البقرة ١٥٠. فإنه لا شك ان المقصود الكعبة فمن كان قريبا من الحرم فلا يجوز

له ان يصلي نحو أي بقعة في الحرم بل يجب عليه ان يقصد الكعبة.

وعليه فان هذه الكلية من الكليات الغالبة وليست بمطردة.

مشيئة الله

المَشِيئَةُ في اللغة الإرادة وقد شئت الشيء أشاؤه.^١

والمشيئة المضافة إلى الله تعالى نوعان مشيئة الأمر التي هي الشرعية، ومشيئة

التكوين التي هي القدرية.

ولقد خص القرآن استعمال المشيئة في مشيئة التكوين فقط. والآيات دالة

على ذلك:

كقوله عز وجل: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ (٢٤) سورة (المؤمنون).

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ

عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥) سورة الفرقان.

^١ ابن منظور، لسان العرب ١ / ١٠٣.

وقوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) سورة القصص.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٨) سورة الشورى.

والناظر في الآيات يجد بأدنى تأمل ان جميعها جاءت بمعنى المشيئة الكونية.

قال ابن القيم: (حمل البعض المشيئة على الأمر وهو مما لا يصح فيه حمل

المشيئة على الأمر البتة لأنه خلاف عادة القرآن في استعمال اللفظ)^١

ويقصد بالبعض المعتزلة، ويريد أنهم حملوا آيات القرآن في المشيئة على الأمر.

الناس و يا أيها الناس

(الناس) كلمة عامة يجوز ان يراد بها جميع الناس من مسلمين ومشركون.

ولكننا نرى القرآن غالبا ما يريد بها أهل مكة المشركين، فقد جاء عن ابن

عباس قوله: (أن كل ما جاء من "يا أيها الناس" فالمقصود به أهل مكة المشركون)^٢.

وأیضا جاء عن ابن عاشور في تفسيره حيث قال: ((النَّاسُ) أهل مكة جرياً

على مصطلح القرآن في إطلاق هذا اللفظ غالباً)^٣.

وقال: (فالمراد ب (الناس) هنا المشركون على ما هو المصطلح الغالب في

القرآن. ويجوز أن يكون المراد ب (الناس) جميع الناس من مسلمين ومشركين)^١.

^١ ابن القيم، التبيان في اقسام القرآن ٨٠ / ١

^٢ الطبري، جامع البيان ٧٨٦ / ١

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٢ / ١٥

والذي ذكره صحيح على الأغلب، ويبينه ان القرآن إذا أراد غير المشركين بان

يقصد العموم فان من عادته ذكر ما يفيد الشمول والكلية كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨). سبأ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأنعام / ١٥٨. فالسياق مسوق للشمول والكلية

أو تدل قرينة السياق ان المقصود ناسا محددين مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ

سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾

(١٦) سورة النمل.

فواضح ان المراد الناس الذين في زمانه.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) سورة آل عمران. والقاتل واحد كما في التفسير. ويستحيل

ان يصدر القول من جميع الناس.

ومن فوائد ذلك الترجيح في اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ

هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١) سورة الدخان.

فهل المقصود يغشى الناس كلهم وأهل الأرض كلها ؟ وعى هذا يكون المراد آية لم تظهر بعد. أم المقصود طائفة من الناس، وقد حدث وجود مثل هذا الدخان في قریش ؟

اختلف المفسرون على القولين: ويؤيد كون المقصود بالناس طائفة منهم فضلا عن كونه الأغلب والأشهر في القرآن ان لو كان الدخان يغشى الناس كلهم وأهل الأرض كلها لكان نبا عظيم يجب التنصيص عليه، فعذر الله عن التنصيص على ذلك ليبين أن الدخان لا يغشى كل الناس بل بعضهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠) سورة الفتح.

قال ابن عاشور: (المراد ب (الناس) : أهل مكة جريا على مصطلح القرآن في إطلاق هذا اللفظ غالبا)^١.

النجوم:

لفظ النجوم له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن بأنه الكواكب.

وبيان ذلك فيما يلي:

النجوم في اللغة ترد على معان كثيرة منها: النبات الذي لا ساق له. وبمعنى

الكواكب وبمعنى الوقت المضروب. وبمعنى التفريق ومنه نزول القرآن منجما لأنه نزل

آية آية.^١

^١ المصدر نفسه ١٥ / ١٢

أما الاستعمال القرآني فقد خص من هذه الاستعمالات أحدها إلا وهو الكواكب.

قال ابن القيم: (النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب)^٢

وردت النجوم في القرآن في تسعة مواضع والنجم أربعة مواضع وقد انفقت

أقوال المفسرين أن المراد بها الكواكب إلا في ثلاث آيات وقع فيها الاختلاف:

قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ سورة الواقعة

الآيات

(٧٥ - ٧٦) وقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ سورة الرحمن الآية (٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ النجم الآية^١

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ سورة

الواقعة الآيات (٧٥ - ٧٦) ففيها قولان:

الأول: بمعنى الكواكب: وهو قول ابن عباس ومجاهد والثوري والحسن والسدي

واختيار الطبري والبغوي.^٣

والثاني: أن المراد نجوم القرآن: وهو قول ابن عباس من رواية الكلبي وعطاء

ورواية الأعمش عن مجاهد^٤ وقول الفراء^١ واختاره الشنقيطي.^٢

^١ الأزهرى، تهذيب اللغة [١٢٧ / ١١] وابن فارس، معجم مقاييس اللغة [٣٩٦ / ٥] وابن منظور، لسان العرب [٤٣٥٦ / ٦].

^٢ ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن [١٣٦ / ١] وانظر بنحوه ابن القيم الجوزية، مفتاح دار السعادة [٢٤ / ٢].

^٣ انظر: الطبري، جامع البيان [٢٧ / ٢٤]، والبغوي، معالم التنزيل [٣٩٩ / ٧]

^٤ الطبري، جامع البيان [٢٧ / ٢٤]

وأما قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ سورة الرحمن الآية (٦) فللعلماء

في تفسير النجم فيها قولان:

١. الكواكب: وهو قول مجاهد وقتادة والحسن^٢.

٢. النبات الذي لا ساق له: وهو قول ابن عباس والسدي وسفيان وسعيد ابن

جبير^٣.

وحجة من قال النبات كونه ذكر مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر.

وحجة من قال بالكواكب ان مجرد اقتران النجم بالشجر ليس بدليل قوي على عدم

حملة على الكواكب.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقول بمعنى الكواكب وقيل بمعنى

نزول القرآن^٤.

والخلاصة: انه لا مانع يمنع من حمل جميع مواطن ورود النجم والنجوم بمعنى

الكواكب. وعليه فان في اللفظ عُرْف قرآني باعتبار تخصصه بمعنى واحد دون سائر

المعاني.

^١ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧هـ، معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار، الدار المصرية للتأليف و الترجمة. [٩٤ / ٣]

^٢ انظر: الشنقيطي، أضواء البيان [٧ / ٤٦٠].

^٣ الطبري، جامع البيان [٢٧ / ٦٨] ومعر بن المنثي، أبو عبيدة ٢٠٧هـ، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م [٢ / ٢٤٢].

^٤ انظر الماوردي، النكت والعيون [٥ / ٤٢٤] والبغوي، معالم التنزيل [٧ / ٤٤٢]

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ب ١٧ / ١٥٤] وابن كثير، تفسير ابن كثير [٤ / ٢٧٠].

هؤلاء

قال ابن عاشور: (وكلمة (هؤلاء) حيثما ذكر في القرآن غير مسبوق بما يصلح أن يشار إليه: مراد به المشركون من أهل مكة)^١.

وقال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ

وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (الزخرف: ٢٩): (إشارة إلى غير مذكور في الكلام، وقد استقرنت أن

مصطلح القرآن أن يريد بمثله مشركي العرب، ولم أر من اهتدى للتنبيه عليه)^٢.

وقد أشار ابن عاشور إلى هذه العادة القرآنية في أكثر من موضع من مواضع ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم. فهو يرى من خلال استقراء لورود كلمة هؤلاء في القرآن الكريم أنها إذا لم يرد بعدها عطف بيان يبين المشار إليهم، فإنها يراد بها المشركون من أهل مكة.

يقول ابن عاشور عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ النساء ٤١ وقد أصطلح القرآن الكريم على إطلاق إشارة هؤلاء

مراداً بها المشركين ثم يقول وهذا المعنى ألهمنا إليه استقريناه فكان مطابقاً.^٣

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٢٥/١

^٢ المصدر نفسه ١٢٥/١

^٣ المصدر نفسه ١٣٠/٤

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل ٨٩

يقول وقد تتبعت مواقع أمثال اسم الإشارة هذا في القرآن فرأيت أنه يعني به

المشركون من أهل مكة^١

وبصرح ابن عاشور بأنه لم يسبقه في استنباط هذه العادة أحد من سابقيه. فيقول

عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ مَنَعْتَ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَهِمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ الزخرف

٢٩ هؤلاء اسم إشارة إلى غير مذكور في الفيهاء، وقد استقرت أن مصطلح القرآن أن

يريد بمثله مشركين العرب، ولم أر من اهتدى للتنبيه عليه^٢

وقد تتبعت المواضع التي وردت فيها هذه اللفظة فوجدت أن المفسرين مختلفون

في تحديد دلالة كلمة هؤلاء في كثير من المواضع التي وردت فيها، ولم أجد اتفاقاً في

جميع المواضع على أنها تعني المشركين. بل ذهب بعض المفسرين في بعض مواضعها

إلى أنها تعني المشركين وذهب آخرون إلى أنها تعني المؤمنين، وذهب فريق ثالث إلى

أنها تعني عامة الناس.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

النساء ٤١، ذكر أبو حيان أن الإشارة بهؤلاء إلى أمة محمد وذكر أنه قيل: إن الإشارة

بها إلى الكفار، وقيل: إلى اليهود والنصارى، وقيل: إلى كفار قريش وقيل: إلى المكذبين^٣

^١ المصدر نفسه ٢٠٣/١٣

^٢ المصدر نفسه ٢٤١/٢٥

^٣ أبو حيان، البحر المحيط، ٦٤٤/٣

وذكر هذه الأقوال ابن الجوزي^١ وذكر البيضاوي أقوالاً مثل ما سبق وأضاف إليها أن هؤلاء تعني الشهداء المذكورين في أول الآية^٢ وقد ذكر الألويسي أنهم الشهداء ولم يذكر غير ذلك^٣

وبالرجوع إلى ابن عاشور نجده لا يناقش من هذه الأقوال سوى القول بأنهم الشهداء، فيقول: (ومن أضعف الاحتمالات أن يكون هؤلاء إشارة إلى الشهداء الدال عليهم قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) النساء ٤١ وإن ورد في الصحيح حديث يناسبه في شهادة نوح على قومه، وأنهم يكذبون فيشهد محمد صلى الله عليه وسلم بصدقه، إذ ليس يلزم أن يكون ذلك المقصود من هذه الآية^٤.

الورود

لفظ الورود له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عرف القرآن أن يستعمل في الدخول.

فالورود في اللغة: خلاف الصدور، والورود قصد الماء، ثم استعمل في غيره والورد الإشراف على الماء دخله أم لم يدخله.^٥

أما القرآن الكريم فمن عادته أنه يستعمل الورد والورود ويريد به الدخول فقط. وهذا أحد المعاني اللغوية للفظه فهو من قبيل إرادة أحد المعاني للمشترك اللفظي.

^١ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ٥٩٧ هـ، زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص ٢٨٤.

^٢ البيضاوي، أنوار التنزيل، ٢٧٢/٣

^٣ الألويسي، روح المعاني، ٤٥/٥

^٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣٠/٤ - ١٣١

^٥ النظر: الزجاج، معاني القرآن [٣ / ٣٤٢] والأزهري، تهذيب اللغة [١٤ / ١٦٤] والزبيدي، تاج العروس [٢٨٩ / ٩].

وقد أشار لهذه العادة القرآنية ابن عباس فقد خاصم نافع بن الأزرق فقال ابن

عباس: الورود: الدخول، وقال نافع لا، فقرأ ابن عباس قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَتَمَّ لَهَا وَارْدُونَ﴾ الأنبياء ٩٨ أورد هو أم لا ؟ وقوله تعالى: ﴿يَقْدَمُ

قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَشِئْنَ الْوَرْدِ الْمُرُودِ﴾ هود ٩٨ أورد هو أم لا ؟ أما أنا وأنت

فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك قال: فضحك

نافع. قال الحروري: لا يسمعون حسيستها قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت ؟ أين قوله

تعالى: ﴿يَقْدَمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَشِئْنَ الْوَرْدِ الْمُرُودِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ

الْجَرَمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَافًا﴾ مريم ٨٦ وقوله: ﴿وَلَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مريم ٧٨ (١

وعن ابن جريج: الورود الذي ذكره الله في القرآن الدخول ليردنها جهنم كل بر

وفاجر في القرآن أربعة أوراد^٢.

ولقد استثنى مقاتل آية القصص ٢٣، قال مقاتل: كل شيء في القرآن (واردون)

يعني داخلون غير واحد في القصص قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) القصص ٢٣ يعني

ولما هجم على الماء ولم يدخل الماء)^٣.

قلت: أراد ابن عباس وغيره مواطن الورود في النار فقط. ويدل على ذلك

الآيات التي أوردتها ابن عباس.

^١ الطبري، جامع البيان [١٦ / ٨١] والصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام ٢١١ هـ، المصنف ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي توزيع المكتب الإسلامي ط ٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م [١١ / ٢].

^٢ نفس المصدر [١١ / ٢].

^٣ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٣.

وقد اختلف العلماء في معنى الورود على قولين:

القول الأول: الورود بمعنى الدخول.

واحتجوا بأدلة منها:

١- حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم)

يقول: الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا

وسلاما كما كانت على إبراهيم ، حتى ان للنار ضجيجا من بردهم قال تعالى: ﴿ثُمَّ

نُجِّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَنُدِرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ (٧٢) مريم^١.

٢- واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى

الله عليه وسلم): (لا يموت لمسلم ثلاثة، من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم)^٢.

و المراد ب (تحلة القسم) في الحديث قوله تعالى: (وان منكم إلا واردها).

فالورود هنا بمعنى الدخول.

القول الثاني:

أن الورود هو المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم.

^١ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٣٢٨-٣٢٩ برقم (١٤٥٦٠)، والحاكم في المستدرک، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ٤/٥٨٧، والبيهقي في الشعب وحسن إسناده ١/٣٣٦، وابن عبد البر في التمهيد ٦/٣٥٥، قال ابن كثير في التفسير عن إسناده الحديث: غريب ولم يخرجوه ٣/١٣٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله ثقات ٧/٥٥، - الهيثمي علي بن أحمد بن أبي بكر، ٨٠٧هـ. مجمع الزوائد وملبس الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م. وقال الشنقيطي في أضواء البيان: ان إسناده لا يقل عن درجة الحسن ٤/٢٦٧.

^٢ أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، (٦ / ٢٤٥٢) برقم (٦٢٨٠)، و أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه رقم ٢٦٣٢ ٤/٢٠٢٨.

وهو قول ابن مسعود، والحسن، والسدي، واختيار الطبري، والنووي، وشيخ

الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية.^١

وأدلة هذا القول:

١- حديث أم مبشر رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه

وسلم)، (لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية "قالت حفصة" أليس الله يقول: ﴿ وإن

منكم إلا واردها ﴾ قال: ألم تسمعيه يقول: ﴿ ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾^٢.

قال ابن القيم: فحفصة أشكل عليها الجمع بين النصين، وظنت السورود هو

دخولها. فأجابها النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن ورود المتقين غير ورود الظالمين،

فان المتقين يردونها ورودا ينجون به من عذابها، والظالمين يردونها ورودا يصيرون

جثيا فيها به، فليس الورد كالورد^٣.

وعلى ما مضى فان هذه العادة مطردة إذا عمل التقيد المذكور.

الوعظ

الوعظ في اللغة: هو الكلام المرقق للقلوب بالوعد والوعيد المجرد عن الأمر

والنهي

^١ جامع البيان ٨٤/١٦-٨٥، شرح صحيح مسلم للنووي ٤٩/١٦، فتاوى شيخ الإسلام ٢٧٩/٤، ابن كثير القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت ٢٨١/١٠، شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٦

^٢ أخرجه ابن ماجة في سننه برقم ٤٢٨١، قال الشيخ الألباني: صحيح ٢ / ١٤٣٦.

^٣ ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد ٧٥١ هـ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له: د. علي محمد الدخيل الله دار العاصمة الرياض النشرة الأولى ١٤٠٨ هـ [١٠٥/٣].

فَالْوَعْظُ النَّصْحُ وَالتَّذْكِيرُ بِالْعَوَاقِبِ وَقَدْ وَعَظَهُ مِنْ بَابِ وَعَدَ وَ عِظَةُ أَيْضًا بِالْكَسْرِ
فَاتَّعَظَ أَيَّ قَبْلِ الْمَوْعِظَةِ يُقَالُ لِسَعِيدٍ مِنْ وَعِظَ بغيره وَالشَّقِيُّ مَنْ اتَّعَظَ بِهِ غَيْرُهُ^١.

و الوعظ في إطلاق القرآن مراداً به الأوامر والنواهي.

ومن أمثلة ما أطلق فيه الوعظ على الأوامر والنواهي:

كقوله تعالى في سورة البقرة: قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ﴾ البقرة: ٢٣٢ بعد قوله تعالى في الطلاق والرجعة: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا

طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وقال

تعالى في سورة الطلاق: ﴿ إِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا

ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الطلاق: ٢

والذي يزيل الإشكال أن من أعظم المواعظ التي تليق لها القلوب المؤمنة الأوامر

والنواهي، فإن المؤمن يطمع فيما أمر الله به في ثواب أخروي عظيم، كما يخاف من

ارتكاب ما نهى عنه أن يُعاقب عقاباً شديداً، وذلك وعظ ولا شك.

اليتيم

لفظ اليتيم له في اللغة معاني كثيرة واشتهر في عُرف القرآن أن يستعمل في فقد

الأب .

^١ الرازي، مختار الصحاح ١ / ٧٤٠

فاليَتِيم في اللغة أكثر من معنى: منها فقدان الأب. ومنها انه يقال لكل منفرد من بيت أو شخص أو منفرد في شيء يقال له يتيما يقال: درة يتيمة تنبئها على أنه انقطع مادتها التي خرجت منها وقيل: بيت يتيم تشبها بالدرة اليتيمة.¹

أما القرآن الكريم فيستعمل لفظ اليتيم ويريد به فاقد الأب في جميع موارد ذكر اليتيم.

وقد فسر الرازي قوله تعالى: ﴿الْمُجْدِّكَ يَتِيمًا فَأَوَّى﴾ (٦) الضحى، أنه من

قولهم: درة يتيمة وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير)

وقال الزمخشري مفندا قول الرازي: (ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أنت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته. ومن بدع التفاسير: أنه من قولهم: درة يتيمة وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فأواك).²

المطلب الثاني: عُرف القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ

المترادفة

قبل دراسة الألفاظ المترادفة لا بد من إطلاقة على معنى الترادف

وموقف العلماء منه في القرآن ولغة العرب.

¹ الراغب، مفردات القرآن [١ / ١٦٢٨].

² الزمخشري، الكشاف [١ / ١٣٧٠].

الترادف لغة واصطلاحاً:

في لسان العرب: (الرَّدْفُ: ما تبع الشيء، وكلُّ شيءٍ تبع شيئاً فهو ردفه... والترادف: التتابع)^١

وقال أحمد بن فارس: (الراء والذال والفاء أصل واحد مطّرد، يدل على إتباع الشيء، فالترادف: التتابع)^٢

وأما عن معناه في الاصطلاح فقد لاحظ علماؤنا الأوائل توارد عدة ألفاظ على معنى واحد فأسموا الظاهرة بالترادف.

قال الجرجاني في التعريفات: (المترادف ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو ضد المشترك، أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كان المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه، كالليث والأسد)^٣.

وقال السيوطي في تعريفه: (الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد، فليس مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلاً على شيء واحد ولكن باعتبارين، أحدهما على الذات، والآخر على الصفة)^٤.

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ردف).

^٢ ابن فارس، مقاييس اللغة مادة (ردف).

^٣ الجرجاني، التعريفات، ٢١٠.

^٤ السيوطي، جلال الدين، المزهر في اللغة، ط دار التراث د.ت. ٤٠٢/١.

موقف اللغويين من ظاهرة الترادف:

الاتجاه الأول يمثلته كثير من جامعي، بلغة الأوائل وأصحاب المعاجم كالفيروز أبادي.

وأصحاب الاتجاه الثاني أنكروا وقوع الترادف التام، إذ رأوا أن لكل لفظ دلالة محددة أرادها الواضع أول مرة، أما تقارب الدلالات لألفاظ مختلفة فأمر ممكن ووارد، والراغب الأصفهاني من رواد هذا الاتجاه، يقول في مقدمة معجمه القيم "المفردات في غريب القرآن" يقول: (وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله ونسأ في الأجل بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة)^١. وممن أنكروا الترادف كذلك اللغوي المدقق أحمد بن فارس وشيخه أبو العباس ثعلب، بل إن أبا هلال العسكري ألف كتاباً في ذلك سماه "الفروق اللغوية" ذكر فيه كثيراً من الفروق بين ما قد يُظن أنه من قبيل المترادف

وقال ابن تيمية: (فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل «يوم تمور السماء مورا» (الطور: ٩) إن المور هو الحركة، كان تقريباً، إذ المور حركة خفيفة سريعة)^٢.

^١ الراغب، المفردات في غريب القرآن، ٦.

^٢ - ابن تيمية، أحمد بن بد الحليم، مقدمة في أصول التفسير ط٢ مؤسسة الرسالة - بيروت ص ٥١.

وعندما ندرس هذه الظاهرة في القرآن الكريم ينبغي أن نستحضر هنا دائماً أننا أمام نص محكم معجز وضع كل حرف وكل لفظ فيه بنظام دقيق، لأنه كلام الله تعالى وصفته، وإذا كنا لا نجد في خلق الله تفاوتاً أو شذوذاً كما خلق الإنسان في أحسن تقويم وكما أحسن سبحانه كل شيء خلقه، فهل يمكن أن نجد شيئاً من ذلك فيما هو أكمل من ذلك، في كلامه وصفته ؟

ولا بد من التنبيه هنا أن مقصود هذا المبحث هو دراسة الفرق بين المترادفات الذي جاء به الاستعمال القرآني، حتى يكون ذلك من عُرِف القرآن، ولا علاقة له بما فرقت بينهما فيه اللغة ولا امتياز للقرآن في ذلك. واضرب هنا مثالا واحدا من هذا وهو الفرق بين الصوف والعهن.

ورد لفظ الصوف كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا

أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (٨٠) النحل، وورد العهن كما في قوله تعالى: ﴿وتكون

الجبال كالعهن المنفوش﴾ القارعة: ٥

وقد تلمس البيانون سر اختلاف التعبير بالصوف وبالعهن فقالوا إن: العهن

وارد في سياق تشبيه الجبال بالصوف المنفوش يوم القيامة. والجبال تتكون من

تربة ذات ألوان مختلفة، كما في قوله تعالى: (من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

وغيرايب سود﴾ فاطر: ٢٧ وقالوا إن أقرب شبه لذلك العهن أي الصوف الملون

بتلك الألوان نفسها، وذلك حين تنفث وتسير، ولا يقوم لفظ الصوف هذا المقام ولا يحتمل السياق غير لفظ العهن.

وهذا الذي ذكره موجود في اللغة قبل استعمال القرآن ففي القاموس:

(العهن: الصوف، أو المصبوغ ألواناً) ¹

وفي المفردات: (العهن: الصوف المصبوغ) ²

وعند ابن فارس ان: (أصل مادة عهن في اللغة يدل على اللين والسهولة

والضعف... وفسر العهن كذلك بالصوف المصبوغ) ³

فدراستنا في هذا المبحث نحاول أن نتلمس الفروق الدلالية بين ما عدته المعاجم

مترادفاً ولم يكن كذلك في استعمال القرآن الكريم. وفيما يلي الأمثلة:

الإعطاء والإيتاء

قال السيوطي: (قال الجويني: لا يكاد اللغويون يفرقون بينهما وظهر لي بينهما

فرق ينبئ عن بلاغة كتاب الله) ⁴.

ثم بين وجه الفرق فقال: (وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله

لأن الإعطاء له مطاوع نقول أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء أتاني فأثيت وإنما يقال

أتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع

له) ⁵.

¹ الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة (عهن)

² الراغب، المفردات ص ٣٥١.

³ الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة (عهن)

⁴ السيوطي، الإتيان، ٢ / ٣٢١.

⁵ المصدر نفسه ٢ / ٣٢١.

ثم نقل السبوطي عنه تطبيق ذلك على القرآن فقال: (وقد تفكرت [أي

الجويني] في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى فيما يأتي من الأمثلة:

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ

وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦) آل عمران، وذلك لأن الملك شيء

عظيم لا يعطاه إلا من له قوة.

وقوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٦٩) البقرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

(٨٧) الحجر، وذلك لعظم القرآن وشأنه

وقال: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر / ١. وذلك لأنه يترك عن قرب وينتقل إلى ما

هو أعظم منه.

وكذا قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ الضحى / ٣ ، وفي الآية

تفسيران:^١

الأول: العطاء العادي من عطاء الله لرسوله في الدنيا. واستعمل لفظ الإعطاء لأن

الإعطاء درجات مرة تلو مرة لذا فالعطاء الأول فيه ضعف.

والتفسير الثاني أن العطاء هو الشفاعة والقول في هذا التفسير كالقول في أمر

الكوثر.

^١ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٨٦.

أنا ونحن

من أساليب اللغة العربية أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير "نحن" للتعظيم ويذكر

نفسه بضمير المتكلم الدال على المفرد كقوله "أنا".

ولفظ (أنا) و (نحن) وغيرهما من صيغ الجمع قد يتكلم بها الشخص عن

جماعته وقد يتكلم بها الواحد العظيم، كما يفعل بعض الملوك إذا أصدر قراراً يقول نحن

وقررنا ونحو ذلك وليس هو إلا شخص واحد وإنما عبّر بها للتعظيم

والله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً، وتارة

بصيغة الجمع كقوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الفتح / ١، وأمثال ذلك. وهو الأحقّ

بالتعظيم من كل أحد.

ومع هذا الكلام المجمل فإن القرآن الكريم الذي وصل إلى ذروة البلاغة لا

بد وأنه يفرق بين الاستعمالين. فيستعمل: نحن (إذا كان الفعل يفعله بواسطة بعض

خلقه كالملائكة أو بعض أوليائه فيكون (نحن) عبارة عنه تعالى وعنهم وذلك كالوحي

ونصرة المؤمنين وإهلاك الكافرين ونحو ذلك مما يتولاه الملائكة المذكورون ويستعمل

القرآن لفظ (أنا) إذا كان الفعل المذكور بعده خاص به تعالى.

الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ [الواقعة / ٨٥] يعني: وقت المحتضر

حين يشهده الرسل المذكورون في قوله: ﴿ توفاهم الملائكة ﴾ [النحل / ٢٨]

و قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر / ٩] لما كان بوساطة القلم واللوح

وجبريل.

ويستعمل القرآن لفظ (أنا) إذا كان الفعل المذكور بعده خاص به تعالى مثل

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ رَشْدُونَ ﴾ (١٨٦) البقرة، وذلك ان إجابة الدعاء من خصائصه عز وجل .

ويشكل على ذلك آيتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف / ٣].

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

من حبل الوريد ﴾ ق: ١٦

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه قرب الله تعالى بعلمه وعلم الله بأسرار العبد وما في ضميره لا

يحجبه شيء.

والقول الثاني: أنه قرب الله تعالى من العبد بملائكته الذين يصلون إلى قلبه

فيكون أقرب إليه من ذلك العرق وهو اختيار ابن تيمية.

والإشكال يرد على التفسير الأول.

وقد نقل ابن القيم توجيهها لابن تيمية لهذا الإشكال فقال عنه: (سمعته يقول:

هذا مثل قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣ وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا

قرأناه فاتبع قرآنه ﴿ القيامة: ١٨ فإن جبريل عليه السلام هو الذي قصه عليه بأمر الله فنسب تعليمه إليه إذ هو بأمره وكذلك جبريل هو الذي قرأه عليه كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: فإذا قرأه رسولنا فأنصت لقراءته حتى يقضيها، وكذلك خلقه للإنسان إنما هو بالأسباب وتخليق الملائكة^١ فهو سبحانه الخالق وحده ولا ينافي ذلك استعمال الملائكة بإذنه ومشينته وقدرته في التخليق فإن أفعالهم وتخليقهم خلق له سبحانه فما ثم خالق على الحقيقة غيره)

ثم قال ابن القيم معقبا على كلام ابن تيمية: (أول الآية يأبى ذلك فإنه قال تعالى:

﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ ق: ١٦)^٢:

قلت: ويقصد ابن القيم ان سياق الكلام عن العلم بالوسوسة وهو خاص بالله

تعالى فيحمل القرب على القرب الإلهي وكأنه يرى التفسير الأول للآية

و لا مانع من ان يطلع الله بعض ملائكته أو حتى بعض خلقه كالشياطين

والقرين على وسوسة نفس الإنسان، وبذلك يستقيم كلام ابن تيمية والله اعلم.

التمام والكمال

ليس بين الاسمين فرق في الاستعمال اللغوي.

قال أبو بكر الرازي: (الكَمالُ التمام وقد كَمَلَ يكمل بالضم كَمَالاً و كَمَلَ

بضم الميم لغة و كَمَلَ بكسرهما لغة وهي أردوها و تَكَامَلَ الشيء و اكَمَلَ غيره

^١ وهذا في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في تخليق اللطفة: فيقول الملك الذي يخلقه: يا رب ذكر أم أنثى أسوى أم غير سوى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك. كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم (٢٦٤٥).

^٢ ابن القيم ، مدارج السالكين ٢ / ٢٩٠

ورجل كامل وقوم كملة مثل حافد وحفدة ويقال أعطه المال كملأ أي كله و التكميل
و الإكمال الإتمام و استكملته استتمه)^١.

و الاستعمال القرآني فرق بينهما، ومما يدل على ذلك اجتماعهما في قوله
تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة / ٣، والعطف يقتضي
المغايرة.

قال السيوطي في بيان الفرق: (الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال
لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل. .. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة / ١٩٦، أحسن من تامة فإن
التمام من العدد قد علم وإنما بقي احتمال نقص في صفاتها)^٢.

وقال أبو هلال العسكري في الفرق بينهما: (الكمال اسم لاجتماع أبعاص
الموصوف به، والتمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف، ولهذا يقولون القافية تمام
البيت ولا يقولون كماله ويقولون البيت بكماله)^٣.

والذي أراه ان قول السيوطي هو معكوس قول العسكري، وقول العسكري أجود
ويشهد لذلك التوضيح التالي:

^١ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة كمل ١ / ٥٨٦.

^٢ السيوطي الإتيان ٢ / ٣٨.

^٣ أبو هلال العسكري، الفروق ٢٣٤.

ففي قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم

الرضاعة﴾ سورة البقرة - ٢٣٢

فجاء الكمال صفة الحولين صفة الكمال للحولين باجتماع أجزاءها، أن الحولين ينتفیان بانتفاء جزء منها، فإن نقصت الرضاعة يوماً عنهما، لم تتحقق الرضاعة لحولين .
وبما أن التمام هو الجزء المكمل لا جميع أجزاء الشيء جاء التمام مع من أراد أن يلحق الجزء الذي نقص.

وفي قول الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام ديناً﴾ المائدة / ٣، كمال الدين يعني التمام جميع أبعاضه، وبما أن النعمة هنا هي الحج وهي جزء متمم للدين جاء الكلام عنه بالتمام.

وفي قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي هَاتِنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبَّ جِجَعٍ

فَإِنْ أَتَمَّمْتِ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ سَجْدَتِي إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) سورة

القصص

وهنا تمام العشرة سنتان وهي جزء.

جاء، وأتى

أهل المعاجم يفسرون واحداً بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة.

قال الراغب الأصفهاني مفرقا بين الإتيان والمجيء: (الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه أتى) وقال: (المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة)^١

و قال ابن منظور: (الطريق الميَّاء من (أتى) "طريق مسلك يسلكه كل أحد". ويقولون: "كل سيل سهلته الماء أتى" و "أتوا جداولها: سهلوا طرق المياه إليها" يقال: (أتيت الماء) إذا أصلحت مجراه حتى يجري إلى مقارّه. . ويقال: أتيت للسيل، فأنا أوتيته إذا سهلت سبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه. وأتيت الماء تأتيةً وتأتياً، أي: سهلت سبيله ليخرج إلى موضع"^٢

وعادة القرآن ان يفرق بينهما في الاستعمال فيستعمل لفظ (جاء) في الجواهر والأعيان ولفظ أتى في المعاني والأزمان.

الأمثلة:طي: (عادة القرآن ان لفظ (جاء) يقال في الجواهر والأعيان ولفظ أتى في المعاني والأزمان).^٣

^١ الراغب، المفردات في غريب القرآن ص ١٠٢.

^٢ لسان العرب (أتى) ١٨ / ١٤

^٣ السيوطي الإتقان ٢ / ٣٤.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ {يوسف: ٧٢}

لأن الصواع عين.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ {يوسف: ١٨} وما جاؤوا به

عين وقال تعالى: (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) {النحل: ١} وأمر

الله ليس بعين.

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ (٦٤) {الحجر، والحق ليس بعين.

قلت: ويستشكل على ذلك آيات هي:

١. قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

{الأعراف: ٣٤} ووجه الإشكال أن الأجل ليس من الجواهر والأعيان ومع ذلك استعمل معه لفظ جاء.

وأجاب على هذا السيوطي فقال: هذا لأن الأجل كالمشاهدة ولهذا عبر عنه

بالحضور في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ {البقرة: ١٨١}.

٢. قوله تعالى في استعمال الفعل (جاء): ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [

سورة الفجر، الآية: ٢٢] ووجه الإشكال أن الله تعالى ليس من الجواهر والأعيان.

^١ السيوطي الإتيان ٢ / ٣٤.

والجواب ان المجيء والإتيان ورد في حقه تعالى في قوله عز وجل:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٠]

[وقوله عز اسمه: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر، الآية: ٢٢]].

والله تعالى ليس كمثله شيء.^١

٣٠ قوله تعالى: ﴿ أَنَا هَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ يونس / ٢٥، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا

جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ ﴾ هود / ٤٠، فجعل الأمر آتيا وجائيا.

والجواب: ان أمر الله تارة يراد به العذاب وهو عين وثارة يراد به أمر معنوي

ولكل استعماله.^٢

قلت: وقد ظهر لي فرق بينهما في الاستعمال القرآني وهو ان القرآن الكريم

يستعمل المجيء للموقف الذي فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل

له (أتى) الأمثلة:

قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ ٢٧" المؤمنين، وقال تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ١٩ ق". وقال تعالى: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧١" الكهف. وقال تعالى: "لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ٧٤" الكهف. وقال تعالى: "قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧" مريم.

وقال تعالى: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ

^١ نفس المصدر ٢ / ٣٤ .

^٢ السيوطي الإتيان ٢ / ٣٤ .

الأَرْضُ وَيَخْرِجُ الْجِبَالَ مَدًّا مَرِيماً. وقال تعالى: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" الإسراء: ٨١.

وقال تعالى: "فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ" عبس. وقال: "فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى" النازعات.

وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة.

و قال تعالى: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ" والذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين ان الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة.

ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان، وذلك نحو قوله تعالى قال تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْعَ جُلُودُهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" النحل، وقوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ" غافر.

وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين، فإن المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى).

ونحو ذلك قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا

فَنَجَّيْنَا مِنَ النَّشَاءِ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ" ١١ يوسف

وقوله تعالى: ٣٤ الأنعام

ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا أبلغ درجات اليأس. في حين ذكر في الآية الأخرى أنهم كذبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا. وفرق بعيد بين الحالتين.

وقوله تعالى: "وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ

خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا

وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَزِرُونَ ٣١" الأنعام وقال: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ

اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٠" بل آياه تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ

وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ ٤١" الأنعام فقال في الآية الأولى: "جاءَهُمُ السَّاعَةُ" وقال في الثانية: "أَتَتْكُمْ

السَّاعَةُ"

فالأولى في الآخرة وفي الذين كذبوا باليوم الآخر، في حين أن الثانية في الدنيا،

فالموقف الأول أشق وأشد مما في الثانية، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) بخلاف الآية

الثانية. ولو دققنا النظر لوجدنا أن كل التعبيرات التي جاءت بالفعل (جاء) أشق

وأصعب مما جاء بـ (أتى)، وما ذكر من الأمثلة دال على المطلوب.

الجسم و الجسد

يستعمل في اللغة الجسد موضع الجسم والعكس أيضا فالجسم والجسد في اللغة

بمعنى البدن .

ولكن القرآن الكريم يفرق بينهما في الاستعمال ، فيستعمل الجسم للبدن الحي

ويستعمل الجسد للجسم الميت .¹

وتوضيح ذلك بالآتي :

وردت كلمة الجسم مرتين في القرآن :

قال تعالى عن طالوت عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

العلم والجسم ﴾ . [البقرة : ٢٤٧] فالآية تتكلم عن طالوت مبينة مؤهلاته ليكون ملكاً على

بني إسرائيل .

وقال تعالى عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ

كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْتَدَدَةٌ ﴾ [المنافقون : ٤] والآية دامة لاهتمام المنافقين بأجسامهم على

حساب قلوبهم . ونلاحظ من الآيتين أنهما تتحدثان عن الأحياء، فطالوت ملك حي،

والمنافقون أحياء يتكلمون، وأطلقنا على الأبدان في هذه الحالة كلمة " أجسام".

أمّا كلمة { جَسَد } فقد وردت أربع مرات في القرآن.

فقد قال تعالى في وصف عجل (السَّامِرِيِّ) : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ

¹ الخالدي، د. صلاح، لطائف قرآنية ، دار القلم ص ١٣٢ بتصرف .

عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ ﴿ [الأعراف : ١٤٨] وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ

خَوَارٌ ﴾ . [طه : تعالى : و أطلق اللفظ على ابن سليمان عليه الصلاة والسلام الذي وَلِدَ مَيِّتًا

مَشُوهًا^١ ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٣٤]

و قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ . [الأنبياء : ٧ - ٨] فهم لم يكونوا

{ أجساداً } هامة.

حضر الموت وجاء الموت

ورد الموت مع (حضر) في أربعة مواضع من القرآن، ومع (جاء) ورد في

موضعين، وإذا نظرنا فيما ورد في معجمات اللغة نرى أنها متقاربة المعنى فكلاهما يجمعهما معنى القرب.

الأمثلة: ي استعمال القرآن لهذين اللفظين يرى الفرق بين الاستعمالين، فالقرآن

الكريم يستعمل عبارة (جاء الموت) ويعني بها الموت المفاجئ الذي لا يملك الإنسان

معه شيئاً وحضر الموت فهو الموت البطيء الذي يملك الإنسان فيه ان يوصي وان يتدبر

أمره ويستغفر من ذنبه.^٢

الأمثلة:

^١ الطبري جامع البيان ١٠ / ٥٨٠ .

^٢ انظر: عودة أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار الاردن ط١ ١٩٨٥ م، ص ٣٤٦.

قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾

(البقرة) (١٣٣) فالموت لم يأت يعقوب عليه الصلاة والسلام فجأة فهو ما زال يتكلم

ويوصي.

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة) (١٨٠) والموصي يكون في وعيه ويتكلم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ (١٠٦)

المائدة) أيضاً الآية في الوصية. مما يعني ان هناك مجالا يملك فيه المكلف التصرف.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ

وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء) (١٨) التوبة

والموت هنا لم يقع بعد.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ (سورة الأنعام (٦١)) وفي سورة المؤمنون: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ

أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) ومجيء الموت يكون فجأة.

الحلف والقسم

في لسان العرب: (الحلف:القسم، حلف أي أقسم وفيه القسم: اليمين...وقد

أقسم باللالعسكري:ه به وقاسمه:حلف له)¹.

قال أبو هلال العسكري: (القسم ابلغ من الحلف)².

واستعراض المادتين في القرآن يوحى بدلالات دقيقة تجعل من العسير وضع

أحدهما موضع الأخرى...

وردت مادة (حلف)في القرآن في ثلاثة عشر موضعاً واستعراضها يوحى بأن

الحلف دائماً يكون في موضع اعتذار عن فعل أو اعتقاد وقع أو سيقع بعد زمن التكلم،

ولذا لم يرد الحلف مسنداً إلى الله عز وجل في القرآن...وورد القسم مسنداً إليه سبحانه.

قال تعالى:قاً دلاليا على تغاير اللفظين.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتُمُ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا

إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢)النساء.) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا

بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) سورة التوبة،

فسال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ

وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢)التوبة

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة قسم.

² أبو هلال العسكري، الفروق، مادة قسم.

قال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُوا بِمَا لَمْ

يَنَالُوا...﴾ التوبة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ مَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا

إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) المجادلة

١٢ وضع من ال ١٣ موضع الذي ذكر فيه الحلف ذكر منسوباً إلى أعداء الإسلام. ٧٠٠

منها في سورة التوبة وحدها وهي الفاضحة.

أما القسم في القرآن فعلى ضربين: الأول قسم من الله تعالى بذاته أو بعض

مخلوقاته. .. وقسم من البشر وفي الحاليين لا يأتي القسم في موضع الضلال. .. بل

هو من الله تعظيم. .. ومن البشر يأتي في مواضع الحماس والعزم وعقد النية

والتصميم. إظهار القوة والتصميم.

١٣ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (٥٣) سورة المائدة

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٩) سورة الأنعام

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا

أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) سورة النحل

قال تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾)

سورة القلم

الحمد والشكر

لقد ورد الالفة: نقاته في القرآن في ثمانية وستين آية والشكر ومشتقاته ورد في خمس وسبعين آية.

والحمد في اللغة: نقيض الذم^١. والشكر في اللغة: أصله من شكرت الدابة إذا سمنت من أكل العلف ومنها شكرت الريح إذا اشتدت ثم تطورت إلى معنى مجازي الذي هو الشكر بمعنى الثناء على المحسن.^٢

ولبيان الفرق بينهما في الاستعمال اللغوي:

قال ثعلب: الشكر لا يكون إلا عن يد والحمد يكون عن يد وغير يد^٣

وقال ابن القيم: الشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه فأنك تحمد الإنسان على

صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.^٤

والقرآن الكريم زيادة على الفرق اللغوي يفرق بينهما من ناحيتين:

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادة حمد

^٢ المصدر نفسه، مادة شكر

^٣ المصدر نفسه، مادة شكر

^٤ المصدر نفسه، مادة شكر

الأولى: ان الشكر يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ

دَاوُدَ شُكْرًا﴾ سبأ: ١٣، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان.

قال ابن القيم: (فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من

جهة أسبابه)^١.

ومن جانب آخر: ان الحمد في الاستعمال القرآني خاص بالله تعالى والشكر

يكون لله ويكون لعباده.^٢

الخشية والخوف

الخوف والخشية في الاستعمال اللغوي سواء ويفرق الاستعمال القرآني بينهما.

قال السيوطي: (لا يكاد اللغوي يفرق بينهما)

وقد ذكر السيوطي الفرق فقال:

١ . الخشية أعلى من الخوف وهي أشد الخوف فإنها مأخوذة من قولهم

شجرة خشية إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية والخوف من قولهم ناقة خوفاء إذا

كان بها داء وذلك نقص وليس بفوات

٢ . وفرق بينهما أيضا: بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان

الخاشي قويا والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا فقله

^١ ابن القيم، مدارج السالكين، ص ٤٣ بتصرف شديد

^٢ عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ص ٣٠٩.

تعالى لموسى عليه السلام { لَا تَخَفْ } أي لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون ^١ .

وقال صلاح الخالدي: (الخشية في البيان القرآني تفرق عن الخوف، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر) ^٢ .

والخشية يجب ان لا تكون إلا لله وحده، دون أي مخلوق، يطرد ذلك في كل مواضع استعمالها في الكتاب المحكم بصريح الآيات. وتسند خشية الله في القرآن الكريم إلى الذين يبلغون رسالات ربهم، ومن اتبع الذكر، والمؤمنين، والعلماء، والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ^٣ .

الأمثلة:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]

وقال تعالى: ﴿ وَلَيَبْدُوَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥]

ومن لطائف هذا الاستعمال في القرآن، قال الزركشي: (ان الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوىاء ذكر صفتهم بين يديه فقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥٠) { النحل، فبين أنهم عند الله ضعفاء ولما ذكر المؤمنين من

^١ السيوطي، الإتيان ٢ / ٣٢١.

^٢ الخالدي، الإعجاز البياني للقرآن، دار البشير ص ٢٢٦.

^٣ انظر المصدر نفسه ص ٢٢٦

الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ذكر ما يدل على عظمة الله تعالى فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) الرعد، ولما ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ والمراد فوقية بالعظمة ^١

وقال: (قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) الرعد، فإن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالما بالحساب وحاسب نفسه قبل أن يحاسب) ^٢.

خلق وجعل

يستعمل القرآن لفظ خلق ولفظ جعل، ويفرق بينهما في الاستعمال. قال ابن عاشور: (يستعمل القرآن لفظ (خلق) في إيجاد الأشياء المعدومة فهو إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود إخراجا لا صنعة فيه للبشر، بينما يستعمل كلمة (جعل) على التصرف في الشيء المخلوق بعد خلقه) ^٣.
و قال مبينا ان هذا الاستعمال خاص بالقرآن: (ولا يقول أحد إن هذا أخذ من الوضع العربي للفظ، نقول: بل عُرف هذا باستعمالات القرآن لها) ^١.

^١ الزركشي، البرهان ٢ / ٤٣٥.

^٢ المصدر نفسه ٢ / ٤٣٥.

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩١/٢)

ومن فوائد معرفة الفرق بين اللفظين ندرك سر اختلاف التعبير القرآني في قوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء [١] وقوله

تعالى في موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

الأعراف [١٨٩]. فتارة جاء اللفظ وجعل منها زوجها وتارة خلق منها زوجها.

والسبب ان الآية الأولى تعرضت لبداية الخلق لذا استعمل فيها كلمة "خلق بينما

الآية الثانية استعمل فيها "جعل"، لأن الآية في معرض الامتنان الذي امتن الله به على آدم عليه السلام بحواء بعد خلقها^٢.

الرؤيا و الحلم

ورد في الاستعمال القرآني الرؤيا والحلم، الأحلام في ثلاثة مواضع وأما الرؤيا،

فجاءت في القرآن الكريم سبع مرات.

وبعد النظر في الاستعمال اللغوي لهما لم يتبين لي الفرق بينهما. قال

الألوسي: (الحلم عند العرب يستعمل استعمال الرؤيا)^٣

وقال: (ومما يشهد له في دعوى كون الحلم يستعمل عند العرب استعمال الرؤيا

البيت الذي أنشده المبرد في الكامل لبعض الأعراب وهو: رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنست

للأحلام عباراً)^٤.

^١ المصدر نفسه (١٩١/٢)

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩١/٢) بتصرف شديد.

^٣ الألوسي، روح المعاني، ١٢ / ٢٥١.

^٤ الألوسي، روح المعاني، ١٢ / ٢٥١.

أما القرآن الكريم فيفرق بينهما في الاستعمال، قال الألوسي في تفسير قوله

تعالى: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر

يابسات يا أيها الملا أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ سورة يوسف (٤٣): (الأحلام جمع

حلم بضممة وبضممتين المنامات الباطلة على ما نص عليه جمع وقال بعضهم: الرؤيا

والحلم عبارة عما يراه النائم مطلقا لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء

الحسن وغلب الحلم على خلافه، وفي الحديث: (الرؤيا من الله تعالى والحلم

من الشيطان) ^١.

وقال: (والتفريق بين الاصطلاحات التي سنها الشارع صلى الله تعالى عليه

وسلم للفصل بين الحق والباطل كأنه كره أن يسمى ما كان من الله تعالى وما كان من

الشيطان باسم واحد فجعل الرؤيا عبارة عن القسم الصالح لما فيها من الدلالة على

مشاهدة الشيء بالبصر والبصيرة وجعل الحلم عبارة عما كان من الشيطان لأن أصل

الكلمة لم تستعمل إلا فيما يخيل للحالم في منامه من قضاء الشهوة بما لا حقيقة له) ^٢.

الأمثلة:

جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخْبَرْتُكَ إِكْرَامًا وَإِنِّي لَمِنَ الْغَالِبِينَ (٥) قَالَ يُوسُفُ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

^١ أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٥ / ٢١٦٩) ومسلم، كتاب الرؤيا، (٤ / ١٧٧١).

^٢ الألوسي، روح المعاني، ١٢ / ٢٥١.

لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) ﴿ يوسف: ٤-٥. وكذلك الأمر في رؤيا ملك مصر قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا

الْمَلَأُ أَتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنتُمُ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) ﴾ يوسف .

أما كلمة الحلم فتأتي في صيغة الجمع وتدل على التداخل وعدم الوضوح، تبين ذلك في

رد الملاء على طلب ملك مصر بتفسير رؤياه: قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ

بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ يوسف: ٤٤ .

وعليه فاستعمال القرآن الكريم (الأحلام) يشهد سياقها بأنها الأضغاث

والهواجس المختلطة، والرؤيا في الصدق والوضوح والصفاء.

زوج و امرأة

في الاستعمال اللغوي المرأة والزوج يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر.

ويفرق الاستعمال القرآني بينهما فيستعمل لفظ (زوج) إذا كانت العلاقة الزوجية سليمة

وغير معطلة ومبنية على المودة والتآلف فإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة

والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة أو بعقم أو ترمل، فالبيان القرآني يستعمل: امرأة لا

زوج:

قال ابن القيم: (وقد وقع في القرآن الإخبار عن أهل الأيمان بلفظ الزوج مفردا

وجمعا كما تقدم... والإخبار عن أهل الشرك بلفظ المرأة. .. فقالت طائفة منهم السهيلي

وغيره: إنما لم يقل في حق هؤلاء الأزواج لأنهن لسن بأزواج لرجالهم في الآخرة ولأن

التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين فجرد الكافرة منه كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ثم أورد السهيلي على نفسه قول زكريا عليه السلام: ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾

مريم ٥ وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ الذاريات ٢٩

وأجاب: بأن ذكر المرأة الئيق في هذه المواضع لأنه في سياق ذكر الحمل والولادة فذكر المرأة أولى به لأن الصفة التي هي الأنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجاً (

ثم قال ابن القيم معقبا: (قلت: ولو قيل إن السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الأزواج أن هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران كما هو المفهوم من لفظه فإن الزوجين هما الشينان المتشابهان المتشاكلان أو المتساويان ومنه قوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ الصافات ٢٢ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أزواجهم أشباههم ونظراؤهم وقاله الإمام أحمد ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ التكويد ٧ أي قرن بين كل شكل وشكله في النعيم والعذاب)^١

وقالت بنت الشاطي: (كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ الروم / ٢١، فإذا تعطلت أيها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقيدة فامرأة لا زوج.

^١ ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ، جلاء الأقيام في الصلاة والسلام على خير الأنام، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. ٢٣٠/١

وهذا بيّن بامرأتي نوح ولوط، ففي الخيانة الدينية التي أحدثها انفصلت عرى الزوجية، وعاد كل زوج منهما امرأة فحسب، وفي امرأة فرعون تعطلت آية الزوجية بكفره وأيمانها، فعادا حقيقتين مختلفتين، لا تربطهما رابطة من سكن، ولا صلة من مودة، فعادت زوجته امرأة^١.

الأمثلة:

١- قال سبحانه و تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴾ [التحریم: ١٠]

٢- وقوله تعالى: ﴿ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف: ٣٠]

٣- وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ

لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥]

في حين قال تعالى:

١- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]

^١ بنت الشاطئ، التفسير البياني، ص ٦٥.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [١]

[الفرقان: ٧٤]

٣ - وقوله تعالى لما استجاب لذكرها وحقت الزوجية حكمتها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

السبيل والطريق

السبيل والطريق في اللغة بمعنى واحد وقد يفرق بينهما من ناحية السهولة

والصعوبة فالسبيل للسهل منها والطريق للصعب، قال الراغب: (السبيل الطريق التي فيها سهولة فهو أخص)^١.

ومن عادة القرآن ان يستعمل السبيل في مواطن الخير والطريق في مواطن

الشر، وإذا أراد القرآن ان يستعمل الطريق في الخير لا يستعمله مطلقا بل مقيدا بوصف أو إضافة تظهر ذلك مثل طريق مستقيم

قال الزركشي: (والأول أغلب وقوعا في الخير ولا يكاد اسم الطريق يراد به

الخير إلا مقرونا بوصف أو إضافة تخلصه لذلك كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا

كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {الأحقاف: ٣٠})^٢

^١ الراغب، المفردات ٨٧.

^٢ الزركشي البرهان ١ / ٩٨.

السنة والعام

لا فرق في الاستعمال اللغوي بين اللفظين، فقد جاء في مختار الصحاح:
(العَوْمُ السَّبَّاحَةُ وسير الإبل والسفينة عوم أيضا ، و العَامُ السنة) .
وعليه ف (السنة) و (العام) : كلمتان مترادفتان في لغة العرب .

وقد ذكر علماء الشريعة ان بينهما فرقا في القرآن الكريم، ثم اختلفوا فيه على أقوال:

التفريق الأول: قال به الخليل بن أحمد الفراهيدي¹ ثم تابعه ابن الجواليقي والأزهري وابن منظور في لسانه و السهيلي في كتابه "الروض الأنف". وهو ان السنة تحسب من أول يوم عدته إلى مثله. أما العام ؛ فلا يكون إلا شتاء وصيفا. وعلى هذا يكون العام أخص من السنة، أي: أن كل عام سنة، وليس كل سنة عاما، فإذا عدت من يوم إلى مثله، فهو سنة، وقد يكون فيها نصف الصيف، ونصف الشتاء، والعام لا يكون إلا صيفا وشتاء متتاليين.

وفي التهذيب للأزهري: (العام: حول يأتي على شتوة وصيفة. وعلى هذا فالعام أخص من السنة. وليس كل سنة عاما. فإذا عدت من يوم إلى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء. والعام لا يكون إلا صيفا أو شتاء متوالين).²

التفريق الثاني: قال به السهيلي في كتابه "الروض الأنف"، وهو أن العام في القرآن يُستعمل لما فيه خير والسنة لما فيه شر.

¹ الفراهيدي، العين ، تحقيق ص ٨٧٦.

² الأزهري، تهذيب اللغة، ٣ / ٧٨٦.

قال السهيلي: (قالوا: أكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة قال الله سبحانه:

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ (الأعراف ١٣) ومن ثم قيل أسنت القوم إذا أقحطوا،

وكان وزنه أفعتوا، لا أفعلوا، كذلك قال بعضهم وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو فهي

عنده أفعلوا، لأن الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف)

وفي سورة يوسف، قال تعالى: ﴿ تزرعون سبع سنين دأباً ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثم يأتي عام

فيه يغاث الناس ﴾ والزرع فيه جهد في هذه السنين . وفي قصة نوح: قال تعالى: ﴿ ولقد

أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ العنكبوت / ١٤ وذلك كان

الخمسين عاماً هي الخمسين الأولى من حياته التي كان مرتاحاً فيها، وبقيّة السنين الـ

٩٠٠ كان في مشقة معهم التفريق الثالث: ان السنين حساب العجم والأعوام حساب

العرب فإذا كان الكلام عن العجم جاء التعبير بالسنين. وقد قال بهذا السهيلي في كتابه

"الروض الأنف حيث قال: (وحساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية بهما يؤرخون

وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به فجاء اللفظ في

القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتمم الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب

العرب، فإن حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما)

التفريق الرابع: ان السنة تستعمل للتاريخ والعام يستعمل وقتاً لشيء وقد قال بهذا

العسكري في الفروق اللغوية حيث قال في الفرق بين العام والسنة:

(يجوز أن يقال: العام يفيد كونه وقتاً لشيء، والسنة لا تفيد ذلك، ولهذا يقال: عام

الفيل ولا يقال سعة الفيل، ويقال في التاريخ سنة مائة وسنة خمسين ولا يقال عام مائة

وعام خمسين إذ ليس وقتاً لشيء مما ذكر من هذا العدد، ومع هذا فإن العام هو السنة والسنة هي العام وإن اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر مما ذكرناه، كما أن الكل هو الجمع والجمع هو الكل وإن كان الكل إحاطة بالأبعض والجمع إحاطة بالأجزاء.¹

قلت: وإذا أردنا أن نأخذ فرقا من هذه الفروق ثم نطبقه على جميع آيات القرآن الوارد فيها ذكر العام والسنة لما استقام لنا ذلك إلا بتكلف شديد. من أجل ذلك قيل إن هذا الفرق أغلبي لا كلي.

وعندي أنه لا مانع من استعمال هذه الفروق مجتمعة فتارة في إحدى مواضع القرآن نذكر فرقا منها وفي موضع آخر نذكر فرقا آخر. وعلى كل فالذي أراه هو الأصح من التفريقات السابقة على وجه الانفراد فهو تفريق العسكري وهو الرابع من المذكورة وعليه ف(السنة) تستعمل عند التعبير عن:

طول المدد الزمنية وعمر الإنسان والتواريخ. و(العام) يستخدم في معظم الأحوال من أجل الإشارة إلى (السنوات) الخاصة المتميزة وغير المخصصة للتعبير عن المدة والعمر والتاريخ،

وقياسا على ذلك.

نقول: حدث لجوء إخواننا من فلسطين سنة ١٩٤٨، قضيت خمس عشرة سنة

في الدراسة، لي من العمر أربعون سنة.

¹ العسكري، الفروق اللغوية ص ١٣١

ونقول: العام الماضي، العام الحالي، العام القادم، العام الدراسي، عام قحط،
أعوام ازدهار، عام الفيل، عام الهجرة، عام الفتح، أعوام الرمادة، عام الحزن، إلا خمسين
عاماً، كل عام وأنتم بخير كلمة

الصنم والوثن

اختلف علماء اللغة في الفرق بين الصنم والوثن.

فهناك من فرق بينهما فجعل الفرق وجود الصورة وعدمها فالصنم ما كان له
صورة والوثن ما لم يكن له كذلك. قال ابن سيده في تعريف الصنم: (هو ما ينحت من
خشب ويصاغ من فضة ونحاس، والجمع أصنام. وقيل عن الصنم: هو ما كان له جسم أو
صورة، وما لم يكن له كذلك فهو وثن. وقد روى ابن عباس عن الأعرابي: الصنمة
والنصمة الصورة التي تعبد). وقال ابن عرفة: (ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة
فهو وثن)^١.

وجعل بعضهم الفرق في الصغر والكبر فالوثن هو الصنم الصغير، وسمى
وثناً لانتصابه وثباته على حاله واحدة، من وثن بالمكان، أقام به وثن^٢.

وجعل بعضهم الفرق في كون أحدهما جثة والأخر صورة بلا جثة فالوثن ما له
جثة من خشب أو حجر أو فضة أو ذهب ينحت ويعبد، والصنم الصورة بلا جثة^٣.

^١ ابن منظور، لسان العرب: مادة (صنم)

^٢ الزبيدي، تاج العروس: مادة (وثن)

^٣ ابن منظور، لسان العرب: مادة (صنم)

ولعهم يقصدون بالجثة الحجم والبعد الثالث الذي هو العمق.

وجعل أبو عودة الفرق بينهما هو العموم والخصوص وقال: (ان الأوثان اعم من الأصنام فيقال للكبير والصغير والعظيم والحقير وغير ذلك ولا يقال للصنم كذلك وشهد على ذلك بحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه لما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: انزع عنك هذا الوثن - أي الصليب في رقبته -)^{٢١}

قلت: أما كون بينهما فرق فلا شك في ذلك لذكرهما في القرآن والقرآن دقيق فيما يذكر، وأما في وجه الفرق فقد أطلت النظر فيما قال القوم كلهم - رحمهم الله - ونظرت في آيات القرآن فلم أجد ما قالوا منضبطاً، ثم إنني لم اهتم لوجه الفرق والله اعلم بأسرار كتابه.

عرف وعلم:

يستعمل القرآن كلمة (علم) ومشتقاتها، وصفاً لفعل الخالق أو المخلوق، بينما كلمة (عرف) ومشتقاتها يستخدمها وصفاً لفعل المخلوق، ولم ترد وصفاً لفعل الخالق قط.

أمثلة لاستعمال (علم):

١ - قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا

شَاءَ. ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

¹ أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٨ / ٥) برقم (٣٠٩٥) والبيهقي في السنن (١٠ / ١١٦) وحسنه الالبساني في صحيح الترمذي (٣٠٩٥).

2 عودة أبو عودة، التطور الدلالي، ص ١٤٥.

٢ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَكَّلُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [١]

[الأنفال: ٢٣]

٣ - قال تعالى: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]

٤ - قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]

٥ - قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

أمثلة لاستعمال (عرف):

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعَاتُ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ [

الحج: ٧٢]

٢ - قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]

٣ - قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]

٤ - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [

البقرة: ٨٩]

٥ - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .﴾ [

البقرة: ١٤٦].

عقاب وعذاب

العقاب والعذاب في اللغة بمعنى واحد، ويفرق القرآن بينهما فيستعمل كلمة (

العقاب) في الدنيا بينما (العذاب) في الدنيا والآخرة.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِنَهُ اللَّهُ ﴾ (٦٠) الحج،

عاقب وعوقب في الدنيا يكون في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ ﴾ (٥) النمل،

عذاب دنيوي.

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١٤) البقرة، في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ

(٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ﴾ سورة الحشر

والعذاب هنا في الدنيا وفي الآخرة.

هل هذه العادة مطردة ؟

هذه العادة مطردة ولكن بحاجة إلى ضبط. وضبطها ان هناك أمرين لا علاقة

لهما بالقاعدة:

الأمر الأول: الصفة العامة لله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾

الأنعام / ١٦٥، فيأتي ذلك في أمر الدنيا والآخرة.

والأمر الثاني: العاقبة لا دخل لها بتلك العادة فعاقبة هذا العمل بمعنى ما يعقبه،

وهو ما يأتي بعده وقد يكون خيراً وقد يكون شراً. وقد يكون في الدنيا ويكون في الآخرة.

ولذلك استعمل العاقبة في ٣٢ موضعاً في القرآن في هذا وهذا. قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٣٧) آل عمران، وقال

تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨) الأعراف، و قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا

نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَى﴾ (١٣٢) طه.

عمل وفعل

العمل والفعل في الاستعمال اللغوي سواء ويفرق بينهما القرآن الكريم، فيستعمل

القرآن لفظ (عمل) : لما كان من امتداد زمان ولفظ (فعل) : لما ليس له امتداد زمان.^١

^١ السيوطي الإتقان ٢ / ٣٤.

الأمثلة:

نحو قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ {سبأ: ١٣} وعمل المحارِب

والمذكورات بحاجة إلى امتداد زمان.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ {يس: ٧١}

وذلك لأن خلق الأنعام والثمار والزرع بامتداد.

و قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ {الفيل: ١} وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ

تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ {الفجر: ٦} أي: كيف فعلنا بهم لأنها إهلاكات وقعت من غير بطء.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {النحل: ٥٠} أي في طرفة

عين، ولهذا عبر بالأول في قوله: (وعملوا الصالحات) حيث كان المقصود المثابرة

عليها لا الإتيان بها مرة أو بسرعة. وبالثاني في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا

وَأَسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ {الحج: ٧٧} فافعلوا الخير حيث كان

بمعنى سارعوا كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾

{البقرة: ١٤٨}.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ {المؤمنون: ٤} ولم يقل عاملون حيث

كان القصد يأتون بها على سرعة من غير توان.

الغلبة والنصر

يستعمل القرآن الغلبة إذا كانت النسبة للمخلوقين والنصر يستعمل منسوبا إلى

الله تعالى.

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جندنا لهم الغالبون﴾ "القصص: ١٧٣".

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ "الصافات: ١١٦".

وقوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ "البقرة: ٢٤٩".

أما استقراء آيات النصر فإن النصر في القرآن نسب في أغلب وروده لله عز

وجل في أكثر من اثنين وثلاثين موضعاً في القرآن منه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ﴾ النصر / ١.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ الأنعام: ٣٤.

وقوله تعالى: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) بِنَصْرِ

اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) سورة الروم.

إلى غير ذلك من المواضع التي نسب فيها النصر إلى الله عز وجل.

القعود والجلوس

تفرق اللغة بين القعود والجلوس من جهة، ويفرق القرآن بينهما من جهة أخرى.

أما عن الفرق اللغوي فقد قال الفيومي). والجلوس غير القعود فإن الجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو، والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل، فعلى الأول يقال لمن هو نائم أو ساجد اجلس، وعلى الثاني يقال لمن هو قائم اقعد. ويقال جلس متكئا ولا يقال قعد متكئا ^١.

وأما عن الفرق القرآني فقد قال السيوطي في بيان الفرق: (إن القعود لا يكون معه لبثة والجلوس لا يعتبر فيه ذلك) ^٢.

فقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بِنُفْيِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾ (١٢١) آل عمران، فإن اللبث مطلوب في الجهاد .

وقول الله تعالى للمخلفين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ

أَنْبِعَانَهُمْ فَتَبَطَّحَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦) التوبة، ذم لهم وهذا يستدعي ذمهم

بالجلوس الطويل، وكأنه يقول لهم اجلسوا ولا تقوموا على وجه الذم

^١ الفيومي ، المصباح المنير، ١ / ١٠٥.

^٢ السيوطي، الإثقان، ٤٤/١.

وقوله تعالى في ثواب المؤمنين: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٥)

القمر، لان الجنة نعيم لبث لا زوال.

وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله

لكم) المجادلة / ١١، إشارة إلى أنه يجلس فيه زمانا يسيرا.

الكتاب والسفر

يطلق لفظ الكتاب في القرآن الكريم على معان متعددة حسب السياق،

فالكتاب: القرآن والتوراة والإنجيل والزيور، والكتاب الرسالة قال تعالى: ﴿ اذهب بكتابي

هذا فآلقه إليهم ﴾ والكتاب: كتاب الأعمال يوم القيامة.

أما لفظ (السفر) بمعنى الكتاب فقد ورد مجموعا (أسفار) في موضع واحد في

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الجمعة / ٥ .).

واللفظ وارد في سياق تشبيه اليهود في حملهم للتوراة الواضحة البينة ثم في عدم

استفادتهم منها بالحمار الذي يحمل أسفارا واضحة لا غموض فيها.

وانسب أسماء الكتاب في هذا المقام هو السَّفَر (بفتح السين وسكون الفاء).

وهو الكشف والوضوح.

المطر و الغيث:

جاء في القرآن استعمال المطر والغيث. ولا فرق بينهما في الاستعمال

اللغوي، ففي اللسان: (المطر: الماء المنسكب من السحاب، والمطر: ماء السحاب

والجمع أمطار ... وأمطرهم الله مطراً أو عذاباً، وأمطرهم الله في العذاب خاصة ¹)

وفي القاموس المحيط: (الغيث: المطر والكأ ينبت بماء السماء) ²

وفي المفردات: (المطر: الماء المنسكب ... والغيث: المطر) ³.

والقرآن الكريم يفرق بين العادة: لين فمن عادة القرآن ان يستعمل المطر في العذاب والغيث في الرحمة والخير.

قال ابن عيينة مبيناً هذه العادة: (ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذاباً،

وتسميه العرب: الغيث.) ⁴.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

الْأَرْحَامِ ﴾ لقمان: ٣٤ ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾

الشورى: ٢٨) وقوله تعالى: ﴿ كَمْ ثَلْغَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ الحديد: ٢٠

أما المطر فقد ورد - أسماء - وأفعالاً - في خمسة عشر موضعاً في القرآن الكريم، منها أربعة عشر موضعاً في العذاب والعقاب صراحة.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مطر)

² الفيروز آبادي، القاموس المحيط مادة (مطر)

³ الراغب، المفردات: ٤٩٦، ٣٦٧.

⁴ صحيح البخاري في تفسير سورة الأنفال ٥ / ١٩٩ .

وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٨٤] ، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ

سَجِيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] ، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾

[النمل: ٥٨]

ولكن هل هذه العادة مطردة ؟

الحقيقة ان هذه العادة يعكس صفوها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ

الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى

لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ

وَتُخَذُوا حِذْرُكُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ أَعْدَ الْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء ١٠٢...

جعل ابن حجر هذه الآية خارمة للعادة فقال: إلا هذه الآية فهي قطعا في

الرحمة لا في العذاب.^١

ومما يوجه الكلام نحو الاطراد ان يقال ان غوث. لا تخرج عما قيل من ان

المطر يستعمل في مواضع العذاب لان ما أصابهم أذى وكونه مما يتأذى منه ليس فيه

رحمة وعليه فان الآية تلحق ببقية المواطن الأخرى. ولا يخفى أن الموضع هنا موضع

^١ ابن حجر، فتح الباري، كتاب التفسير ٨ / ١٥٨.

أذى لا موضع غوث.. واقتران المطر بالمرض يزيد الصور وضوحا.. ..

مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات

نلاحظ أن القرآن الكريم خصص كلمة (كَفَّرَ) بالسيئات فقط في جميع مواضع ورودها، بينما خصص (غَفَرَ) بالذنوب والخطايا. وقد اقتصر إسناد (كَفَّرَ) إلى الله سبحانه وتعالى، بينما أسندت (غَفَرَ) إلى الله أو إلى غيره.

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿... لَّا كُفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَآ أُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢]

٢ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن

رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢]

٣ - قال تعالى: ﴿... لَّا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآ أُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا

مِن عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

٤ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَبِيلًا ثُمَّ وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ

النَّعِيمِ ﴿ [المائدة: ٦٥]

٥ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [العنكبوت: ٧]

وغيرها من آيات.

وأما أمثلة غفر:

١ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: ١٣٥]

٢ - قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ

الْخَاطِئِينَ ﴿ [يوسف: ٢٩]

٣ - قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿ [يوسف: ٩٧]

٤ - قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُسْتَقْبَلَكُم مِّمَّا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ ﴾ [محمد: ١٩]

٥ - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَانَ يَفْجِرْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبْنَكَ فِيْ مَعْرُوفٍ

فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المتحنة: ١٢]

وحيثما وردت الذنوب في القرآن فالمراد بها الكبائر، وحيثما وردت السيئات

فالمراد بها الصغائر.

وعند التأمل في آيات القرآن الكريم نجد: أن لفظ (المغفرة) يرد مع الذنوب،

ولفظ (التكفير) يرد مع السيئات، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا ﴾ [آل

عمر: ١٩٣] وذلك لأن لفظ المغفرة يتضمن الوقاية والحفظ، ولفظ التكفير يتضمن الستر

والإزالة .

والدليل على أن السيئات هي الصغائر، والتكفير لها: قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجُنَّبُوا

كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]^١

^١ ابن القيم، مدارج السالكين (١ / ٣١٧) .

النبا والخبر

ولقد جاء لفظ "النبا" والأنباء في القرآن مفردا ومجموعا بمعنى الخبر والإخبار، وما في آية القصص من معان هي من ذلك لا تعارضه. وأيضا لم يأت لفظ النبا مفردا ومجموعا إلا لما وقع له شأن ووقع عظيم.

وهناك فرق بين الخبر والنبأ فالنبأ الخبر العظيم^١، ففي أخبار الماضين والرسول استعمل القرآن نبأ كما في قوله تعالى: ﴿الَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ (٥) التغابن وقوله تعالى: ﴿الَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (٩) إبراهيم

أما قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْلُغُوا حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَيَبْلُغُوا أَرْبَعًا﴾

(٣١) محمد، استعمل القرآن الأخبار ولم يستعمل الأنباء لأنه إذا بلى القليل من الأخبار فقطعاً سبيلي الكثير وإذا اختبر القليل فهو بالتأكيد يختبر الكثير

و قوله تعالى: ﴿يَوْمَذُ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿الزلزلة (٤)﴾ استعمال أخبارها مناسب

للسورة لأن هذه هي الأخبار والأنباء ما هو أعظم. فإذا حدثت بالأخبار فمن باب أولى
تحدث بالأعظم.

¹ الراغب، المفردات ٦٥٤.

النكاح والزواج

يفرق القرآن في استعمال لفظ النكاح ولفظ الزواج، فالزواج والزواج في القرآن لا يستعملان إلا بعد تمام العقد والدخول واستقرار الحياة الزوجية أما النكاح فهو الرغبة في الزواج أو إرادة وقوعه أي قبل أن يتحقق.

وذلك لان معنى الزوجية من الاقتران حيث ان الأصل اللغوي للزوج الفرد الذي له قرين.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣٧) الأحزاب وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ زَوَّجْنَا لَهُمْ يَحْوَِرَ عَيْنٍ ﴾ (٥٤) الدخان

أمثلة لفظ النكاح:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٢) النور.

قال تعالى: ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ النساء / ٤.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّاجٍ ﴾

القصص / ٢٧.

نجد أن الأفعال التي تؤدي معنى النكاح في القرآن دالا على المستقبل وهي

دالة على أن معنى النكاح الرغبة في الزواج أو إمكانية وقوعه في المستقبل.

النور والضياء

يستعمل القرآن النور ويستعمل الضياء من غير ترادف فهو يذكرهما في موضع

واحد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يونس / ٥.

ولبيان الفرق بينهما، قال السيوطي: (فيستعمل - أي القرآن - النور أعم من

الضوء إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال الضوء على النور الكثير)^١.

ومعلوم أن نور الشمس أكبر من نور القمر وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ

الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يونس / ٥ .

ومن معطيات العلم الحديث يذكرون أن نور الشمس مصدر ونور القمر عاكس،

والتفريق القرآني يوحي بذلك كون النور الكثير هو المصدر للضوء.

الوالدان والأبوان

للقرآن الكريم عادات في استعمال هذين اللفظين يختلف عن الاستعمال اللغوي:

١٠ يستعمل القرآن لفظ الأبوين في سياق التعظيم لهما والتأدب معهما في الكلام

خصوصا النداء لذا لم يأت النداء في القرآن بلفظ يا والدي، ومن ذلك.. قال تعالى: (يا

أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا)....، قال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا

^١ السيوطي، الإتيان، ٢ / ٢٥٧.

كَانَتْ أُمَّكَ يَغِيًّا ﴿ (٢٨) مريم، قال تعالى: ﴿ قَالَتَا لَأَنْسُقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٣) القصص.

وكذلك لفظ الأبوين المثنى فهو يوحى بذلك قال تعالى: (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين)، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُثَبِّتُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦) يوسف.

ولهذا السبب -مقام التعظيم والتأدب - يتصرف معنى الأب والآباء للأجداد وإن بعدوا ولا يكون هذا مع الوالدين إذ لا يستعملهما القرآن إلا في الأب والأم المباشرين فقط.

٢٠ • يستعمل القرآن لفظ الوالدين (المثنى) لطلب الرفق بهما والإحسان إليهما، بما فيه من ملمح الولادة أحد الدواعي للإحسان. وكذلك لفظ الوالدة حيث نجد هذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢) مريم.

٣٠ • يستعمل القرآن لفظ (الوالد) المذكر للوالدين معا وهذا من دقة القرآن المعهودة في استعمال الألفاظ، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ لقمان / ٣٣، ويدل على أن المراد هما الأبوان أن لو كان المراد الأب لكان مقتضى ذلك أن المولود الذي لا يغني عن الوالد يغني عن الوالدة، وهو أمر بعيد

وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ (٣) البلد، فالمتدبر في السياق يجد أن المراد به

الوالدين معاً، ويدل على ذلك أن المراد مطلق الولادة وهو أمر يشترك فيه الوالدان معاً.

تفريق آخر:

يفرق القرآن بين الأب والوالد وبين الأم والوالدة.

فيسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء أو صلاحه أو ظهوره أباً ولا يسميه

والداً. وكلمة أب تدل على الأبوة بحكم تربية الأب لأولاده ومسؤوليته عنهم ورعايته لهم.

الأمثلة:

١٠ قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب / ٦.

١٢. ويسمى العم مع الأب أبوين قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ

إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالْهَ أَبَانُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً﴾

سورة البقرة آية ١٣٣ وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم

١٣. وكذلك الأم مع الأب قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ سورة النساء آية ١١

والمقصود الأب والأم.

١٤. وكذلك الجد مع الأب قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَأَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا

كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

سورة يوسف آية ٣٨.

٥٥. وكذلك تطلق كلمة أبّ على معلّم الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿بَلِّغُوا إِنَّا

وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) الزخرف، بمعنى علماؤنا الذين ربّوا
بالعلم.

٥٦. وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤٠) الأحزاب، إنما هو نفى الولادة وتنبية أن التبني لا يجري
مجرى البنوة الحقيقية.

كما يقال للأب يقال للأم ولهذا قيل لحواء أمنا وإن كان بيننا وبينها أزمان
وأجيال عديدة. وتُسمّى الفاتحة أم الكتاب.

الأمثلة:

٥١. استعملت كلمة الأم في القرآن للوح المحفوظ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ

لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (٤) الزخرف.

٥٢. و استعملت لمكة المكرمة قال تعالى: ﴿وَلَنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الأنعام /

٩٢.

٥٣. (النبي الأمي) (والأمين) ومن لفظ الأم جاءت الأمي أي كما ولدته أمه

لا يقرأ ولا يكتب.

أما الوالد والوالدة في القرآن الكريم تعني كل من هو قادر على الإنجاب.. وأي رجل قادر على الإنجاب يُسمّى والدًا وأي امرأة قادرة على الإنجاب تُسمّى والدّة. بغض النظر عن كونهم أحسنوا تربية أولادهم أم لا.

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿ سورة الإسراء آية ٢٣

وفي قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن

اشكركي ولوالديك إلى المصير﴾ سورة لقمان آية ١٤

وعليه: ففي الاستعمال القرآني ليس كل والد أب وليس كل والدّة أم.

ومن فوائد معرفة ذلك:

١٠ قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ..﴾ سورة

الإسراء آية ٢٣ و ٢٤، وفي قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن

وفصاله في عامين أن اشكركي ولوالديك إلى المصير﴾ سورة لقمان آية ١٤ ، نفهم ان البرّ يجب

أن يكون للوالدين الذين أنجبا مهما حسنت تربيتهما لأولادهما أو ساءت ولو قال تعالى

بالأبوين إحسانا لما استحق كل الآباء والأمهات البرّ.

٥٢. في قصة مريم رضي الله عنها وعيسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى في

سورة مريم: (وَأَمَّهُ صَدِيقَةٌ) فجاء القرآن بكلمة (أم) للدلالة على أن مريم رضي الله عنها

أحسنّت تربية عيسى عليه السلام

المطلب الثالث: عُرِفَ القرآن الكريم في التفريق بين الألفاظ ذات

الجذر الواحد.

كثيراً ما يفرق القرآن في استعمال الألفاظ ذات الجذر الواحد فيستعمل كل صيغة

من الصيغ باستعمال يختلف عن الصيغة الأخرى، لذا كان لا بد من دراسة لعادات القرآن

في هذا الباب.

آتينا وأوتوا

في البيان القرآني نجد أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء لأهل الكتاب فإن الله

تبارك وتعالى يظهر ذاته وينسب إيتاء الكتاب إلى نفسه: (آتيناهم الكتاب) وإذا كان

المقام مقام ذم وتقريع لهم نجده يبنى فعل الإيتاء للمجهول فيقول: ﴿أوتوا الكتاب﴾.

ومثل هذا الأمر من استعمالات القرآن ولا يمكن تحصيله من جهة اللغة.

الأمثلة:

يقول تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ٥٤] فَأَنْتَ تَرَى أَنَّهُ أَسَدُّ الْإِيْتَاءِ إِلَى نَفْسِهِ فِي مَقَامِ الْمَدْحِ، فِي

حِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبْذَرُونَ مَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَاللَّهُ وَرَاءَهُ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ١٠١]

وَقَالَ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]

وَقَالَ: ﴿ وَتَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

الأخوة والأخوان

الأخوة والأخوان في اللغة سواء ولا فرق بينهما. أما القرآن الكريم فيفرق

بينهما في الاستعمال.

أما عن وجه الفرق فقد قال الزركشي: (إن الأخ يطلق على أخي النسب

وأخي الصداقة والدين، ويفترقان في الجمع، فيقال في النسب

أخوة وفي الصداقة إخوان كما قال تعالى: ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) ﴾ الحجر. وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ ﴾ الآية ١١

من سورة النساء. ^١

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٤ / ١٨.

قال الزركشي: (ورده أبو حاتم فقال: بأنه يقال للأصدقاء والنسب إخوة

وإخوان قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الآية ١٠ من سورة الحجرات لم يعن

النسب و قال تعالى: ﴿ أَوْيُوتُ إِخْوَانَكُمْ ﴾ النور / ٦١. وهذا في النسب ونظيره

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُدِينُ زَيْتَنٌ إِلَّا لِبُعُولَتِهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَوْيَتِي أَخَوَاتِي ﴾ (النور

/ ٣١. ثم قال الزركشي: (وهذا هو الصواب) أي قول أبي حاتم)^١.

قلت: ويمكن لي ان أوجه كلام ابن فارس بأن الذين آمنوا أينما ذكروا هم خليط

مختلف منهم المؤمنون حقاً ومنهم أهل المعاصي والنفاق وهم يندرجون تحت اسم

المؤمنين فإذا كان سياق الكلام في القرآن عن الصادقين في إيمانهم فيستعمل القرآن لهم

لفظ الأخوة وكأن القرآن ينزلهم منزلة أخوة النسب لأن الصلة بينهم كصلة الأرحام، وإذا

كان سياق الكلام عن العصاة والمنافقين فيستعمل القرآن في حقهم لفظ الإخوان إشارة من

القرآن إلى إنزالهم منزلة الغرباء.

ومن الأمثلة أيضاً.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﴾ الآية ٥٨ في سورة

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً ﴾ ١٧٦ من سورة النساء

وكل ذلك في أخوة النسب.

^١ المصدر نفسه ٤ / ١٨.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ والآية ٢٧ من سورة

الإسراء

وقال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ﴾ والآية ٢٠٢ من سورة الأعراف

قال تعالى: ﴿وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ﴾ الآية ١٣ من سورة ق

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والآية ١١ من سورة

الحشر.

وكل هؤلاء ليسوا اخوة في النسب.

أشداء وشداد

لقد ورد في القرآن لفظ (شداد) جمع شديد ثلاث مرات:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾

(٤٨) يوسف

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) التحريم

وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١٢) النبا

ونجد ان القرآن قد استعمل (أشداء) جمع شديد مرة واحدة. قال تعالى: {

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ الفتح

وعند النظر في المعاجم اللغوية لمعرفة الفرق بين الجمعين لا نتحصل من ذلك

بشيء سوى ان الجمعين جمع شديد وهو القوي.

وعند التأمل في موارد الاستعمال القرآني يمكن ان ندرك الفرق هو ان

القرآن يستعمل أشداء في القوة المادية ويستعمل شداد في القوة المعنوية.^١

وآية الفتح التي ورد فيها لفظ أشداء في وصف الصحابة ظاهر فيها معنى القوة

المادية.

والآيات الأخرى جاء فيها وصف شداد للسماء والملائكة وقصد القوة المعنوية هو

المراد.

الأمن و الأمانة

وردت كلمة (الأمن) في القرآن خمس مرات، أما (الأمانة) فقد وردت

مرتين.

أما معاجم اللغة فلا تفرق بين اللفظين قال الرازي: (الأمان و الأمانة بمعنى.. ..

الأمن ضد الخوف و الأمانة الأمن)^٢

^١ انظر مختار، د أحمد عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب ط ١ ٢٠٠١ ص

^٢ الرازي، مختار الصحاح مادة امن ١ / ٢٠.

والفرق بينهما في الاستعمال القرآني أن الأمن هو شعور المؤمن بالأمن والأمان، مع زوال أسباب الخوف والخطر. أما الأمانة فهي شعور المؤمن بالأمن والأمان، مع بقاء أسباب الخوف والخطر من حوله، لأن الأمانة لم تستعمل في القرآن إلا في سياق خوض المعارك عملياً^١ (

أمثلة الأمن:

١ - قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [

الأنعام: ٨٢] فهذا امن المؤمنين يوم القيامة لا خوف فيه.

٢ - قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

وهنا امن المؤمنين بلا خوف بنص الآية.

أمثلة الأمانة:

١ - قال الله تعالى عن تثبيت المؤمنين في (معركة بدر): ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ

أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

^١ انظر الفرق عدد الخالدي، لطائف قرآنية ص ٦٣ - بتصرف.

٢ - وقال تعالى عن معركة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً

مِّنْكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٤)

وفي هاتين الآيتين الخوف حاصل بسبب القتال.

الإنس و الإنسان

لفظ (الإنس) يأتي في القرآن الكريم دائماً مع الجن على وجه التقابل، يطرد ذلك، ولا يتخلف في كل الآيات التي جاء فيها اللفظ قسيماً للجن، وعددها ثماني عشرة آية.

قال الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]

أما الإنسان فيستعمله القرآن في سياق التكليف وحمل الأمانة، وقد جاء لفظ

الإنسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً:

كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ﴾ [هود: ٩]

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانَهُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَتُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾

[الإسراء: ١٣]

أوصى، ووصى

يستعمل القرآن وصى بتشديد الصاد وأوصى.

ولا تفرق اللغة بينهما فال الرازي: (أوصى له بشيء وأوصى إليه جعله

وصيةً. ١. و أوصاه ووصاه توصيةً بمعنى) 'وقوله بمعنى أي أنهما سواء في الاستعمال والمعنى.

ويفرق الاستعمال القرآني بين اللفظين، فيستعمل أوصى للأمور المادية ووصى

للأمور المعنوية. ٢

و القاعدة بعد النظر والدراسة تبين أنها مطردة ومن الأمثلة الموضحة:

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ (١٣) الشورى.

والوصية هنا من الأمور المعنوية لان المقصود به التوحيد.

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة وصى ١ / ٧٤٠.

^٢ انظر فاضل السامرائي، لمسات بيانية ص ٨٧.

و قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

(٣١) مريم. (ففي الآية استعمل القرآن أوصى للصلاة والزكاة وهما من لامو المادية.

الثواب والتثويب

يستعمل القرآن لفظ الثواب ولفظ التثويب وهما في اللغة بمعنى واحد فأصل

الثوب في اللغة: (رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها أو إلى الحالة المقدرة

المقصودة بالفكرة والثواب والتثويب في اللغة هو الجزاء) ^١.

والاستعمال القرآني يفرق بينهما فيستعمل الثواب في الخير والشر وفي الخير

أكثر، بينما يستعمل التثويب في الشر دائماً.

قال الراغب: (والثواب يقال في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير)

^٢، وقال: (والتثويب في القرآن لم يجرى إلا في المكروه) ^٣.

الأمثلة:

قوله عز وجل: ﴿ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران / ١٩٥]

قوله عز وجل: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران / ١٤٨]

و قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة / ١٠٣]

وقال تعالى: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [المائدة / ٨٥]

^١ انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ، بصائر نوري التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية بيروت لبنان (١ / ٣٣٧).

^٢ الراغب المفردات ص ٨٧١.

^٣ المصدر نفسه ص ٨٧١.

أما التثويب فنحو: قوله عز وجل: ﴿هل ثوب الكفار﴾ [المطففين / ٣٦]

الخَبَرُ والخُبْرُ

جاء في القرآن الكريم استعمال الخبر بضم الخاء والخبر بفتح الخاء في آيات

كثيرة.

وعند النظر في معاجم اللغة وبعد الإطالة في النظر فاني لم أتحصل بينهما فرقا من جهة اللغة، بل هما لفظان يدوران حول العلم بالشيء ولا أكثر من ذلك، واليك مثلا قول الفيومي في المصباح المنير: (خَبَرْتُ الشيء خُبْرًا أي علمته فأنا (خَبِيرٌ به) واسم ما ينقل و يتحدث به (خَبْرٌ) و الجمع (أَخْبَارٌ) و (أَخْبَرَنِي) فلان بالشيء فَخَبَرْتُهُ^١.

ثم بعد ذلك جاء دور النظر في سياق الآيات الكريمات فتبين عندئذ ان بينهما

فرقا من جهة الاستعمال القرآني. ذلك ان القرآن الكريم يستعمل كلمة

(الخَبْرُ) إذا كان سياق الحديث عن العلم بالأمور الظاهرة، و يستعمل كلمة

الأمثلة: إذا كان سياق الحديث يتعلق بالعلم من جهة الأمور الباطنة.

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَآتِيَكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ

^١ الفيومي، المصباح المنير مادة خبر ١ / ١٦٢.

جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

﴿ [القصص: ٢٩] ﴾

فهذه الآيات تتكلم عن العلم بالأمور الظاهرة.

و قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨] وقال

تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩١] وهذه الآيات تتعلق بالعلم

صعب المنال وهو العلم بالأمور الباطنة.

الخطف والتخطف

لا يفرق أهل اللغة بينهما، والله تعالى فرق بينهما. وقد أشار إلى الفرق

بينهما في الاستعمال القرآني الزركشي فقال: (خَطِفَ بالكسر لما تكرر ويكون من

شأن الخاطف الخطف، وخطف بالفتح حيث يقع الخطف من غير من يكون من

شأنه الخطف بكلفة)^١.

الأمثلة:

١٠ نسب الله تعالى في كتابه العزيز (خطف) بالكسر للشيطان وللطير

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَكُنَّا خَرًّا مِنَ السَّمَاءِ فَنَخْطَفُهَا﴾

^١ الزركشي، البرهان ص ٩٨.

الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ الحج. ولا شك ان الخطف صنعة

الطير وحرفة الشياطين.

٥٢. نسب الله تعالى في كتابه العزيز (خطف) بالفتح للإنسان فقال

﴿ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمُ النَّاسُ ﴾ الألفال / ٢٦ ، ﴿ وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت

/ ٦٧. ولا نزاع في ان الإنسان ليس من شأنه الخطف. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ

تَبِعَ الْهُدَى مَعَكَ تَخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ القصص / ٥٨

والذي يشكل قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ البقرة / ٢٠

بالفتح مع ان البرق من شأنه ان يخطف الأبصار فوجب ان يأتي الفعل معه بالفتح.

وأجاب على ذلك الزركشي فقال: (لأن البرق يخاف منه خطف البصر إذا

قوي) .

وهو توجيه حسن يؤيده قوله تعالى (يكاد البرق) من غير جزم بالخطف.

الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ

استعمل القرآن كثيرا اللفظين الرحمن والرحيم، وهما في اللغة بمعنى

واحد ولا فرق بينهما قال الرازي: (و الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرحمة

ونظيرهما نديم وندمان وهما بمعنى ويجوز تكرير الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما

على وجه التأكيد كما يقال فلان جاد مجد إلا أن الرحمن اسم مختص بالله تعالى ولا

يجوز أن يسمى به غيره ألا ترى أنه سبحانه وتعالى قال: { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن } فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وكان مسيلمة الكذاب يقال له رَحْمَانُ الْيَمَامَةِ وَ الرَّحِيمُ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَرْحُومِ كَمَا يَكُونُ بِمَعْنَى الرَّاحِمِ ^١

ومع أن كلا الكلمتين يدل على صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى ، ولا يخفى المعنى العام لهذين الاسمين الكريمين، ويبقى معرفة الفرق بين اللفظين في الاستعمال القرآني.

قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أي أكثر من الآخر رحمة.^٢

والمقصود أن أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلام والعليم. ومنهم من قال: إن الرحمن تدل على أن صفة الرحمة دالة على الاتساع والشمول وصفة الرحيم دالة على الدوام ، فرحمته تعالى وسعت كل شيء ، لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف / ١٥٦. وأما كلمة الرحيم فتدل على أن صفة الرحمة دائمة إلى ما شاء الله. .

ومنهم من قال إن الرحمن دال على شمول رحمة الله تعالى لجميع خلقه، أما الرحيم، فهو يدل على خصوصية الرحمة بالمؤمنين. قال ابن كثير في تفسيره: (قال أبو علي الفارسي الرحمن اسم عام فسي جميع أنواع الرحمة، يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين، قال

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة رحم ١ / ٢٦٧.

^٢ ابن منظور، لسان العرب مادة رحم

تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. إلى أن قال: فدل على أن

الرحمن أشد مبالغة في الرحمة، لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاص بالمؤمنين^١

ولقد أعقب ابن كثير ما يرد هذا القول بقوله: (لكن جاء في الدعاء

المأثور في الحديث النبوي: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما)^٢.

و فرق عبد الرزاق نوفل بينهما فقال: ان الرحمن في الدنيا والرحيم في الدنيا

والآخرة^٣

ويرد ما قال ورود كثيرة ورد فيها ذكر الرحمن مع ذكر الآخرة منها قوله

تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) مريم ، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) مريم

و فرق ابن عثيمين فقال: الرحمن يدل على سعة رحمة الله، والرحيم يدل على

إيصالها لخلقه، فالرحمن: ذو الرحمة الواسعة، والرحيم: ذو الرحمة الواصلة^٤.

1 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢ / ٨٧.

2 أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠ / ١٥٤) برقم (٣٢٣) وابن أبي شيبه في المصنف برقم (٢٩٥٩٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٨٢١).

- ابن أبي شيبه الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، كتبة الرشد - الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٩

- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف - الرياض، لطبعة: الخامسة.

3 نوفل، عبد الرزاق، الرحمن الرحيم، دار الكتاب العربي ببيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ١٧.

4 ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار العلوم السلفية المملكة العربية السعودية (٢٢/١).

وعلله فقال: (لأن فَعْلان في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان، إذا امتلأ غضبا. الرحيم: اسم يدل على الفعل ؛ لأنه فعيل بمعنى فاعل، فهو دال على الفعل، فيجتمع من (الرحمن الرحيم) أن رحمة الله واسعة، وتتخذ من (الرحمن) ، وأنها واصلة إلى الخلق، وتتخذ من (الرحيم)، وهذا ما رمى إليه بعضهم بقوله: (الرحمن) رحمة عامة، و(الرحيم) رحمة خاصة بالمؤمنين. ولكن ما ذكرناه أولى).

ومنهم من فرق بينهما بالانقطاع والدوام.

وبيانه: أن كل الصفات التي تنتهي بألف ونون هي صفات مؤقتة تنتهي بقضاء الحاجة مثل ظمئان ونعسان و جوعان وكلمة الرحمان تنتهي بألف ونون وهي صفة مؤقتة تنتهي الرحمة بزوال الحاجة، والرحيم صفة الاستمرار الدائم الغير منقطع وهي تخص الإنسان من لحظة موته وحتى يوم حسابه.

ومنهم من فرق فقال: إن الرحمن اسم وإن الرحيم صفة: والعرب تقول كن بي رحيمًا ولم تقل كن بي رحمانًا. واسمه تعالى: الرحمن خاض به، لم يسم به غيره، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠].^١

^١ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، دار صادر، مادة رحم.

وورد عن البرز ابإذاني انه قال: (إن المفسرين غلطوا في تفسير

الرحمن حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة. وإنما معناه الملك العظيم العادل)¹

ثم قال: (ولا مناسبة لمعنى الرحمة في شيء من مواضع ذكر الرحمن في

القرآن)

ثم ذكر مواضع الرحمن في القرآن وهي:

قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يُؤَمِّدُ الْحَقَّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: وما ينبغي للعظيم القادر على كل شيء المستغني عن

معاونة الوالد وغيره أن يتخذ ولدا، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ،

وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ﴾ ، وقال تعالى:

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ .

¹ الزركشي، البرهان ص ١٦٧.

و كلامه رحمه الله لطيف ويعكر عليه أصل اشتقاق الكلمة فلا شك ان أصلها مشتق من رحم.

ويمكن ان نقول ان الرحمن صار علما دالا على الاسمية لا الوصف فهو كاسم الله تعالى وإذا ذكر فلا يراد فيه إرادة الرحمة. فجميع المواطن التي ذكر فيها الرحمن في القرآن لا علاقة لها بالرحمة كما قال البرزبإذاني رحمه الله تعالى.

الرشاد ورشدا

وردت كلمة (رَشَدًا) خمس مرات بينما وردت كلمة (الرشاد) مرتين وباستقراء ورودهما في كتاب الله وجدت أن كلمة (رَشَدًا) لم ترد إلا في ختام كل آية وردت فيها، في كل مواضع ورودها، و وجدت أن كلمة (الرشاد) خُصت بكلمة (سبيل) في المرتين اللتين وردت فيهما:

وأما رشدا فكما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْى الْقِتِيَّةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا لَأَنْذِرُ أَشْرَ أُرِيدَ بَنِي فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿ [الجن: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أُمِلُّكُمْ

لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿ [الجن: ٢١]

وأما الرشاد ففي قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُ فَإِنَّهُ

بِأُسِّ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ [غافر: ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ [غافر: ٣٨]

الريح والرياح

لا يستعمل القرآن الكريم لفظة (الرياح) إلا في الخير دائما بعكس لفظة (

الريح) التي تأتي للخير والشر فعن أبي كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي

رحمة وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب^١:

فقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

طَهُورًا ﴿ [الفرقان: ٤٨]

^١ السيوطي الدر المنثور ١ / ٣٩٦.

ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦]

ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا

سُعْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[لأعراف: ٥٧]

فكون الرياح بشرى ومبشرات فهي دليل الخير.

ويقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ

بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢] وكون الرياح ملقحة للنبات من الخير.

في حين قال في استعمال الريح:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ

وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الَّذِينَ لَنْ أَنْجِيَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]

وهنا الريح مفردة وهي خير لكونها طيبة.

و قال تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمُ

بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ [الاسراء: ٦٩] وهنا الريح مفردة وجاءت في

الشر وهي الريح القاصف.

سقى وأسقى

يستعمل القرآن الكريم سقى وأسقى.

وبعد النظر في كتب اللغة تبين أنهما بمعنى واحد فيقال سَقَاهُ الله الغيث و أَسْقَاهُ،

وقد ذكر الرازي فرقا حيث قال: (وقيل سَقَاهُ لشفته و أَسْقَاهُ لما شربه وأرضه)^١.

وهذا لا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾

{الجن: ١٦}.

وقد تنبه إلى الفرق بينهما في الاستعمال القرآني حيث قال في بيان الفرق

بين اللفظين في الاستعمال القرآني: (يستعمل القرآن لفظ (سقى) : لما لا كلفة فيه. ولفظ

(أسقى) : لما فيه كلفة)^٢.

الأمثلة:

استعمل القرآن لفظ سقى في شراب الجنة نحو قوله تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ

خَضِرٌ وَأَسْبَقٌ وَحُلُوفٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ {الإنسان: ٢١} لما فيه من

السهولة.

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة سقى ١ / ٣٢٦.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٣٢٦.

و ذكر في ماء الدنيا لفظ أسقى نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ

لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ {الجن: ١٦} وذلك لما فيه من المشقة.

شَرَى وَ اشْتَرَى:

يستعمل القرآن الكريم شَرَى واشْتَرَى في آيات كثيرة، وعند النظر في المعاجم اللغوية لمعرفة الفرق بينهما لم يتحصل لي الفرق بين علماء اللغة ذلك من الأضداد، قال الرازي: (شَرَى الشيء يشريه شَرَى و شَرَاءً إذا باعه وإذا اشترأه أيضا وهو من الأضداد قال الله تعالى {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله} أي يبيعها وقال تعالى {وشروه بثمن بخس} أي باعوه)^١.

ثم بعد النظر في الاستعمال القرآني للفظين تبين ان القرآن الكريم يفرق بينهما فقد وردت (شَرَى) في القرآن الكريم أربع مرات، كلها بمعنى (باع)، وورد فعل (اشترى) بمعنى أخذ و قبض ما اشتراه.^٢

الأمثلة:

١ - قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

[يوسف: ٢٠] أي: باعوه مقابل ثمن.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

[البقرة: ٢٠٧] أي: يبيع نفسه لله، لنيل مرضاته.

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة شَرَى ١ / ٣٥٤.

^٢ الخالدي، لطائف قرآنية، ص ٩٨ بتصرف

أما (اشترى) فقد وردت اشتقاقات هذه المادة إحدى وعشرين مرة في القرآن

الكريم، وكلها وردت بمعنى أخذ و قبض ما اشتراه.

فمن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَوْاهُ. ﴾ [يوسف: ٢١]

أي: الذي اشترى يوسف من الذين شروه.

٢ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَ يَصْرِؤُوا اللَّهُ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [

آل عمران: ١٧٧] أي: أخذوا الكفر، وباعوا الإيمان.

الشيعية والأشباع

ورد لفظ (أشباع) في القرآن مرتين، ولفظ (شيع) خمس مرات.

وبعد النظر في اللغة لم أجد فرقا بينهما فالشيعية والأشباع بمعنى واحد وهم

الأتباع والأنصار والقوم الذي يتبع بعضهم بعضا.

ولقد ذكر ابن القيم فرقا بين اللفظين في الاستعمال القرآني، فقال: إن القرآن إن

القرآن يستعمل الشيعية في الذم حيث قال: (فالشيعية الفرقة التي شاع بعضها بعضا أي

تابعه ومنه الأشباع أي الأتباع فالفرق بين الشيعية والأشباع أن الأشباع هم التبع والشيعية

القوم الذين شاعوا أي تبع بعضهم بعضا وغالب ما يستعمل في الذم ولعله لم يرد في

القرآن (إلا كذلك) ^١

^١ ابن القيم ، بدائع الفوائد ١/١٦١

وقال: (وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشيع والإشاعة التي هي ضد الإئتلاف والاجتماع ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم)^١
و قال احد الباحثين وهو أحمد مختار: (يستعمل القرآن أشيع للاتحاد والتجمع ويستعمل الثاني للفرقة)^٢.

قلت: وهذا الذي ذكره ابن القيم وأحمد مختار يصدق في كثير من المواضع في القرآن لا كلها.

فقوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ سبا ٤٩ - ٥٤

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴾ (٥١) القمر ٥٠ - ٥٥

واضح فيه الاتحاد في الأشياء فعملهم واحد ومصيرهم واحد.

و قال تعالى: ﴿ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾

(٣٢) الروم

وهذا موضع نم للشيع فهم فرحين بما معهم رغم اختلافهم.

وقال تعالى: ﴿ إِنْ فَرِعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِجُ

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤) القصص

^١ نفس المصدر ١/١٦١

^٢ انظر مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ص ٧٢.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنُنَزِّعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ

بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ (٧٠) مريم

فشدة الشيع على الرحمن وكونهم يصلون النار دليل ذمهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١١) الحجر واستهزاء الشيع بالمرسلين دليل ذمهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

يَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٩) الأنعام

ففي هذه الآية قول الله تعالى لنبيه انه ليس من الشيع دال على ذمهم.

والذي أراه انه يعكر صفو ما قال ابن القيم وما قال أحمد مختار هو قوله

تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) الصافات، أي شيعة نوح عليهما الصلاة

والسلام. وهذا ليس موضع ذم ولا موضع تفرق.

ظلوم و ظلام

وردت كلمة (ظلوم) مرتين بينما وردت كلمة (ظلام) خمس مرات. وكلاهما

صيغة مبالغة، وباستقراء مواضع ورود الكلمتين نجد ان كلمة (ظلوم) وردت وصفاً

للإنسان بينما كلمة (ظلام) لم ترد إلا وصفاً منفياً عن الله سبحانه وتعالى.

أما ظلوم فقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنتُ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مُرَّةً وَأَنَّا نَعْتَدُ وَنَعْمَتُ اللَّهُ لَا

تُخْصُوهُمَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: ٣٤ [وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لأحزاب: ٧٢

وأما ظلام فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ

لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠]

[وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

وقوله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]

عبيد وعباد

العبيد والعباد في اللغة بمعنى واحد، ويفرق الاستعمال القرآني بينهما.

قال الزركشي بعد أن بين الفرق بينهما: (وأما في مذهب اللغة فلم يفرقوا هذا

التفريق ولا نبهوا على هذا المعنى الدقيق)^١.

^١ الزركشي البرهان ص ٨٨.

قال البيضاوي في بيان الفرق بين اللفظين في تفسير: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: (إضافة

العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عُرف القرآن ¹

وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾

البقرة / ١٣٧. فالمراد من الذين آمنوا في هذه الآية هم المسلمون الذين صدقوا بالنبى

محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لقب للأمة الإسلامية في عُرف القرآن ²

و قال الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) الزمر: (وذهبوا إلى

أن المراد بالعباد المؤمنون وقد غلب استعماله فيهم مضافا إليه عز وجل في القرآن

العظيم فكأنه قيل: أيها المؤمنون المذنبون لا تقنطوا من رحمة الله أي لا تيأسوا من

مغفرته سبحانه وتفضله عز وجل (يا عباد فانتقون) أي اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل

هذا العذاب على الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين أن الغالب في القرآن إطلاق لفظ

العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمسلمين والكفار ³.

وقال ابن عاشور: (وبهذا تعين أن يكون المراد من قوله (لعباده) العباد الذين

وجه الخطاب إليهم في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ وذلك جري على

¹ البيضاوي، أنوار التنزيل وحقائق التأويل ٤ / ٧٦٥.

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٤٣٢١.

³ الألوسي، روح المعاني، ١٨ / ٤٣٥.

أصل استعمال اللغة لفظ العباد كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ

أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ((١٧)) الفرقان. الآية وإن كان الغالب في

القرآن في لفظ العباد المضاف إلى اسم الله تعالى أو ضميره أن يطلق على خصوص

المؤمنين والمقربين وقريظة السياق ظاهرة هنا ظهوراً دون ظهورها في قوله تعالى: (أَنْتُمْ

أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ)

وقال السهيلي: في الروض الأنف: (إذا قلت عبيد . . فهو اسم يتناول . .

الجنس قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) فصلت. وحين ذكر المخاطبين

منهم قال العباد)

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ الآية ٤٦ من

سورة فصلت

قال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ والآية ٢٩ من سورة ق

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ والآية ١٨٢ من سورة

آل عمران

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ والآية ١٠ من سورة

الحج

أما موارد لفظ العباد فهي ستة و تسعون مورداً نذكر منها على سبيل المثال قال

تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ الآية ٢٤ من سورة يوسف

و قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الآية ٦٨ من سورة

الزخرف، و قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الصافات الآية ٨١ و قال

تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَشِرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والآية ٢٣ من سورة

الشورى و قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ و الآيات ٤٠-٧٤-١٢٨-١٦٠

من سورة الصافات و قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ الآية ٢٠٧ من سورة البقرة

و ٣٠ من سورة آل عمران.

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ والآية ٢٧

من سورة نوح، وهذا دعاء نوح على قومه ويظهر منه جلياً أن الذين يدعوا عليهم

بالهلاك هم غير عباده لأنه يخشى أن يضلوا عباده ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً من

جنسهم.

وقال تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ والآية ٤٢ من سورة الحجر

﴿وَأَزْوَاجٌ مَطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران / ١٥ و قال تعالى: ﴿إِنْ

تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴿٧﴾ وَالآيَةُ ٧ مِنْ سُورَةِ الزمر.

عِزًّا وَ عِزَّةً

وردت كلمة (عِزَّة) إحدى عشرة مرة بينما وردت كلمة (عِزًّا) مرة واحدة في القرآن الكريم.

وكلمة (عِزَّة) هي المصدر الأصلي. لذا جاءت بكثرة لأنها المصدر الأصلي المعروف ولم تأت كلمة (عِزًّا) إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١] وكأنها تشير إلى هؤلاء القوم الذين اتخذوا من دُونِ اللَّهِ آلهة، وتصفهم بأنهم غرباء غرابة هذه الصيغة الفريدة في القرآن (عِزًّا) التي تُعد استثناء للصيغة الأصلية (عِزَّة) كما يُعد هؤلاء استثناء لكل المبادئ القرآنية والقيم الأخلاقية والفطر السوية.

العيون و الأعين:

يستعمل القرآن العيون والأعين. ثم عند النظر في كلام أهل اللغة لم يتبين لي التفريق بينهما عندهم قال الرازي: (العَيْنُ حاسة الرؤية وهي مُؤَنِّة وجمعها أَغْيُنٌ و عَيُونٌ)^١

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة عين ١ لا / ٤٦٧.

أما في البيان القرآني فتختلف كلمة العيون عن كلمة الأعين من ناحية الاستعمال. إذ لم يستعمل القرآن الكريم العيون إلا لعيون الماء. وقد وردت كلمة (العيون) في القرآن الكريم في عشرة مواضع كلها بمعنى عيون في حين جمع العين الباصرة على أعين.^١

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ٥٧] ...

وأمثلة الأخرى:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]

وقوله: ﴿قَالَ الْقَوَّاءُ فَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [

الأعراف: ١١٦]

وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:

[١٠١]

^١ انظر الفرق عند مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم ص ٥٩.

الكره و الكره

جاء في الآيات الكريمة الكره بفتح الكاف والكره بالضم ولا بد من فرق

بينهما.

وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية تبين ان اللفظين بمعنى واحد.

قال الرازي: (ك ر ه: كَرِهْتُ الشيء من باب سلم كَرَاهِيَةً أيضا فهو شيء كَرِيهٌ و مَكْرُوهٌ و الكَرِيهَةُ الشدة في الحرب الفراء الكُرهُ (بالضم) المشقة وبالفتح أَكْرَاهُ يقال قام على كره أي على مشقة وأقامه فلان على كره أي أكرهه على القيام، وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد)^١.

وقول الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد دال على انه لا فرق بينهما فسي

الاستعمال اللغوي.

وعند التدبر في سياق الآيات الكريمات تبين ان بينهما فرقا من جهة الاستعمال القرآني، ذلك ان القرآن يستخدم الكُرهُ - بضم الكاف - ليفيد المشقة المرغوبة أي يفعلها صاحبها طواعية رغم ما فيها من مشاق ومتاعب^٢، وأما الكَرهُ - بفتح الكاف - فيفيد فعل الشيء دون رغبة وإرادة. الأمثلة:ل إذا كان الدافع للإكراه من الداخل يستعمل القرآن الكره بالضم وإذا كان المكروه من الخارج يستعمل القرآن الكره بالفتح^٣.

الأمثلة:

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة كره ١ / ٥٨٦.

^٢ انظر هذا الفرق عند الخالدي، لطائف قرآنية ص ٧٨ بتصرف

^٣ انظر فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص ٧٥.

١ - قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

٢ - قال تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]

فالمؤمن يريد الجهاد رغم مصاعبه والمرأة ترغب بالحمل رغم آلامه.

وأما الكره - بفتح الكاف - فقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمس

مرات، بمعنى: الإكراه والإجبار والقسر:

١ - قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]

٢ - وقال الله سبحانه: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]

٣ - وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَهُمْ

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ سورة الرعد / ١٥.

فالكافر أسلم لله - أي استسلم له - رغم أنفه، وهو كاره رافض، وكان استسلامه

في الجانب اللاإرادي من كيانه. وهو يسجد لله مكرهاً مجبراً رغم أنفه، والمراد بالسجود

هنا الخضوع، كما في اللغة، وليس هكذا استسلام المؤمن لله، ولهذا وصفه القرآن الكريم

بأنه (طوعاً) وجعله مقابلاً ومضاداً لاستسلام الكافر وخضوعه.

٤ - قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [

التوبة: ٥٣]، لأن ذلك الإنفاق من المنافقين فهو لم يصدر عن أيمان في قلوبهم بل كانوا مكرهين عليه.

٥ - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ [النساء: ١٩]

نهى القرآن الكريم عن وراثة المرأة كالمَتَاع وهذا كان في الجاهلية كان الرجل إذا مات أبوه، ورث أمواله، ومن جملة ما يرث زوجة أبيه، فنهى الله تعالى عن ذلك وحرّمه عليهم، والمرأة ترفض هذا التصرف وتكرهه، لأنه إجبار وقسر.

اللاتي واللاتي:

يستعمل القرآن اللاتي واللاتي ولا فرق بينهما في اللغة فكلاهما مما يقال للمؤنث، ويفرق الاستعمال القرآني بينهما فيستعمل القرآن الكريم (اللاتي) في غير مواطن الخير واليسر، أما (اللاتي) فجعلها عامة تأتي لهذا ولذاك.^١

الأمثلة:

١ - قال الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّاتِي

تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤]

٢ - وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّاتِي

وَكَدَّهُنَّ ﴾ [المجادلة: ٢]

^١ انظر: مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ص ٦٧٥.

٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَاللّٰثِي يَسْنَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ

وَاللّٰثِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [

الطلاق: ٤]

تتحدث الآيات عن الظهار والطلاق والمفارقة وهي ليست بمواطن خير.

في حين قال تعالى:

١ - قال تعالى: ﴿ وَاللّٰثِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ﴾

[النساء: ١٥]

٢ - قال تعالى: ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي

بِكَيْدٍ مِنْ عَلِيمٍ ﴾ [يوسف: ٥٠]

٣ - قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ

يَدَيَّهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِزْقَةٍ ﴾ [النور: ٦٠]

ولعل هذا مناسب لتقاربها اللفظي مع كلمة (اللائي) التي هي مشقة فسي التلفظ

بالنسبة ل (اللاتي).

مِيت (بالتشديد) ومِيت (بالسكون على الياء)

ورد في القرآن لفظ (ميت) بالتشديد ١٢ مرة بينما الثانية ميت بالسكون فقد

وردت خمس مرات في القرآن بينما مِيتة بالسكون على الياء وردت ست مرات.

وعند تطلب الفرق بين اللفظين في معاجم اللغة لم يتحصل لي الفرق بل هما
بمعنى واحد فالمَوْتُ ضد الحياة ماتَ يمُوتَ ويمَاتُ أيضاً فهو مَيِّتٌ و مَيِّتٌ مُشَدِّداً ومُخَفِّفاً
وقوم مَوْتَى و أَمْوَاتٌ و مَيِّتُونَ و مَيِّتُونَ مُشَدِّداً ومُخَفِّفاً^١.

أما في الاستعمال القرآني فالمَيِّت بالتشديد مع الكسر تعني في عادة استعمال
القرآن الشخص الذي فيه روح ولكن سيموت، أما الميت بالسكون فهو الشخص السذي
خرجت روحه.^٢

الأمثلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) الزمر، فهنا بالتشديد والمعنى
ستموت ويميتون.

قال تعالى: ﴿أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ﴾ الحجرات / ١٣،
وهنا بالسكون بمعنى الجثة التي لا روح فيها

النعمة و النعيم:

الأمثلة: قرآن الكريم النعمة والنعيم، وهما في اللغة بنفس المعنى إلا ان القرآن
يفرق بينهما في الاستعمال فكل (نعمة) في القرآن الكريم إنما هي لنعم الدنيا على
اختلاف أنواعها، يطرد ذلك ولا يتخلف في كل مواضع استعمالها، مفرداً وجمعاً، أما

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة ميت ١ / ٦٤٢.

^٢ انظر فاضل السامرائي، لمسات بيانية ص ٧٠.

صيغة (النعيم) فتأتي في البيان القرآني متلازمة مع الحياة الآخرة، يطرد هذا ولا يتخلف في كل آيات النعيم.^١

الأمثلة:

كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[البقرة: ٢١١]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦]

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً

وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ [الأحزاب: ٩]

أما استعمال النعيم فمن الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿ أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ [المعارج: ٣٨]

وقوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء: ٨٥]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان: ٨]

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَسَأَلَنَّا يَوْمَهُدٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [النكاثر: ٨] وهذا السؤال سيكون

في الآخرة

^١ انظر هذا التفريق عند بنت الشاطئ التفسير البياني، ص وانظر: أبو عودة، التطور الدلالي ٥١٤.

النقمة و الانتقام

يفرق القرآن الكريم بينهما إذ أنه يستعمل النقمة وتصريفاتها مع الكفار والأعداء

أما الانتقام - وتصريفاته - فالقرآن يستعمله مع الله تعالى فقط:

النقمة وتصريفاتها:

١- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ [

المائدة: ٥٩]

٢- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمْ فِيهِ الْمَدِينَةُ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا

أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . . . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ

عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]

٣ - ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا

نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ تَوْبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤]

٤ - ﴿ وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨]

في حين قال تعالى:

١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]

٢ - ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]

٣ - ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]

يشاق و يشاقق

يشاق و يشاقق هما لغتان. يشاقق (بفك الإدغام في القاف) لغة أهل الحجاز إذ يقولون: يشاقق، بينما الإدغام (يشاق) هو لغة أهل تميم، فيقولون: يشاقق. وللقرآن الكريم عادة في استعمال اللفظتين. فحيث ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، فك الإدغام، وحيث لم يرد ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام بل ذكر الله وحده جاء الإدغام.

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤) وقال في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ

غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥).

وقال في سورة الحشر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤)

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْ مِنْهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخِزِي الْفَاسِقِيْنَ ﴿٥﴾ . وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٣٢) سورة محمد.

قال الدكتور فاضل السامرائي: (ولعله وحّد الحرفين وادغمهما في حرف واحد لأنه ذكر الله وحده، وفكهما وأظهرهما لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين)^١.

المطلب الرابع: عُرِفَ القرآن في اختلاف معاني الألفاظ بالاقتران

والتجريد.

ويقصد بهذه الطريقة (الاقتران والتجريد) ان الألفاظ تختلف دلالتها إذا كانت منفردة لوحدها أو كانت مقترنة مع غيرها.

وهي نوعان من الألفاظ.

النوع الأول: ان يكون اللفظان المقترنان متساويين في العموم.

والنوع الثاني: ان يكون اللفظان احدهما خاصا والآخر عاما.

قال ابن تيمية: (و هذه الأسماء التي تختلف دلالتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر كاسم الإيمان و المعروف مع العمل ومع الصدق و المنكر مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك وتارة يكونان متساويين في

^١ فاضل السامرائي، لمسات ببائية ص ٥٤.

العموم والخصوص كلفظ الإيمان و البر و التقوى و لفظ الفقير و المسكين فأيهما أطلق
تناول ما يتناوله الآخر (١) .

وهي القاعدة المشهورة في الأسماء: إذا اجتمعوا تفرقا وإذا تفرقا اجتمعوا.
قال ابن القيم: (وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة
أشككت على كثير من الناس) (٢) .

أمثلة النوع الأول: اقتران الألفاظ المتساوية في العموم.

الإيمان والإسلام.

ومن أمثلة أفراد الإسلام بالذكر: قوله تعالى: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل
عمران/١٩، وقوله تعالى: ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة/٣، وقوله تعالى: ﴿
ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ (آل عمران/٨٥.

ومن أمثلة أفراد الإيمان بالذكر قوله عز وجل: ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
الظلمات إلى النور ﴾ البقرة ٢٥٧، وقوله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾
المائدة/٢٣، وقوله عز وجل: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته

^١ — ابن تيمية: الإيمان، ص ١٥٤.

^٢ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، زاد المهاجر إلى ربه تحقيق: د. محمد جميل
غازي مكتبة المدلي - جدة [٩ / ١]

زادتهم أيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿ (الأنفال/ ٢-٤)

ومن أمثلة اجتماعهما معا قوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آئنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا

أسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم ﴾ (الحجرات/ ١٤)

فلفظ "الأيمان" إذا أطلق في القرآن يراد به الإسلام والعكس صحيح أيضا. فهما

لفظان مترادفان إذا أطلقا. لكن كل واحد منهما في استعماله الخاص يحمل معنى محددا.

الأيمان يعنى تصديق القلب، والإسلام يعنى عمل الجوارح والالتزام الفعلي.

البر والتقوى

البر: كلمة جامعة لجميع انواع الخير، وقد جمع الله خصال البر في قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١٧٧) سورة البقرة.

فاخبر سبحانه ان البر هو الأيمان والعبادات والاخلاق.

والتقوى أيضا جامعة لجميع انواع الخير قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) سورة آل عمران.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ

اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢) سورة المائدة، فجمع النص بينهما.

قال ابن القيم: (إذا افرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر... وكون

احدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على انه لا يدخل فيه عند انفرد الآخر)^١

الفقراء والمساكين

كثيراً ما يذكر الله تعالى الفقراء ويقتصر عليهم في الذكر قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدَّوْا

الصدقات فنعماً هي وإن تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ (البقرة: ٢٧١) وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٧٣)، إلى آخر الآية؛ وقال

تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ (الحشر: ٨)

وقد اقتصر أحياناً على المساكين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ

المسكين﴾ (الفجر: ١٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْضِ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (الماعون: ٣)، وقال

1 ابن القيم، زاد المهاجر ٩ / ١

تعالى: ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (الماعون: ١٦)، وقال تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾ (سورة: المائدة: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾ (المجادلة: ٤).

وقد يجمع بينهما في نص واحد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٠) سورة التوبة.

قال ابن القيم: (هذين اللفظين إذا انفردا دل كل منهما على الآخر وإن اجتمعا في نص واحد طلب الفرق بينهما ، والفرق بينهما أن أحدهما أشد حاجة من الآخر، وفي ذلك اختلاف بين العلماء. ^١

ثانيا: أمثلة اقتران الألفاظ والعلاقة بينهما العموم والخصوص.

١ . اقتران الذنوب بما هو اخص منها:

لفظ الذنوب إذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله

تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) سورة الزمر.

^١ ابن القيم، زاد المهاجر ١ / ٩

ثم قد يقرن بما هو اخص منه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِنَّا قَالُوا رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَسْرَفَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) سورة آل

عمران.

٢. اقتران الضلال بما هو اخص منه:

لفظ الضلال إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا

كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَقْبُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِينَ﴾ (٦٩) سورة الصافات، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا

أُطْعِمْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ الأحزاب /

٦٩. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) طه.

ثم يقرن بما هو اخص منه مثل: قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى

﴾ (٢) سورة النجم، وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة / ٧،

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا تَبِعَهُ إِنْ أَدْنَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٢٤) سورة القمر.

٢. اقتران العبادة بما هو اخص منها:

إذا أطلق الأمر بعبادة الله دخل كل فروع العبادة من التوكل والاستغفار

والاستعانة وغير ذلك مثل:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(٢١) سورة البقرة

وقد يقترن مع الأمر بالعبادة احد فروعها مثل:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ سورة الفاتحة.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣) سورة هود.

وقول تعالى عن قول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿اعبدوا الله واتقوه

وأطيعون﴾ سورة نوح.

وفي هذه الحال يكون المقصود من باب عطف الخاص على العام، وهدفه

زيادة البيان والإيضاح والتخصيص بالذكر.

٤٠ اقتران العصيان بما هو اخص منه وهو الفسوق

قال ابن تيمية: (إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦) سورة الأحزاب، وقال تعالى:

﴿وَبَلَّغْ عَادَ جَحْدُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٩) سورة هود،

وقال تعالى في فرعون: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (٢١) سورة النازعات.

وقال تعالى عن جنس الكافر: ﴿فَلَا صَدْقَ وَلَا صَلَٰى﴾ (٣١) سورة القيامة.

ومثال الاجتماع في نص واحد قوله تعالى: (وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾) سورة الحجرات. فقد عطف الله تعالى المعصية على الكفر

والفسوق في قوله وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ومعلوم أن الفاسق عاص^١.

٥ . اقتران الهدى بما هو اخص منه:

لفظ الهدى إذا أطلق تناول جميع العلم والعمل الذي جاء به الشرع كما في

قوله تعالى: (هدى للمتقين) سورة البقرة / ٢.

ثم قد يقرن الهدى بما هو اخص منه مثل: قوله تعالى: ﴿وَأَجْبَيْنَاهُمْ هَدَيْنَاهُمْ

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧) سورة الأنعام، وقوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِلْنِّعَمِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١) سورة النحل، وقوله تعالى: ﴿يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

يُنِيبُ﴾ (١٣) سورة الشورى .

^١ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١١ / ٤٣٥.

المبحث الثاني:

ما ادعي ان فيه عُرُفا قرآنيا من الألفاظ وليس كذلك .

تنتشر في أقوال المفسرين والعلماء بعض التعميمات التي يُعرف منها في ظاهر الأمر العُرف القرآني للألفاظ، والظاهر ان سبيلها الاستقراء الكلي، إلا أن البحث العلمي يكشف عن قصور في تلك التعميمات التي هي في أصلها إطلاقا يطلَقها أحد العلماء في معرض ما ثم تؤخذ بحسن الظن علي أنها قواعد عامة.

وفيما يلي طائفة من هذه التعميمات التي قيل ان فيها عُرُفا قرآنيا، ثم تبين بعد الدراسة أنها لم تحقق شروط العُرف القرآني.

المطلب الأول: تعميمات من باب الاستعمال اللغوي ولم تحقق شرط

الاختصاص القرآني.

ومن نماذج ذلك ما يلي:

أو كذا أو كذا

قال ابن عباس: كل شيء في القرآن أو كذا أو كذا فصاحبه بالخيار أي ذلك شاء

فعل^١.

وورد عن عكرمة قال: كل شيء في القرآن أو أو فليخير أي الكفارات شاء فإذا

كان: { فمن لم يجد } فالأول فالأول.^٢ وورد ذلك عن مجاهد^٣ وعطاء^٤.

^١ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، ١٧٩ هـ، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التتويحي عن الإمام عبدالرحمن بن قاسم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان. [٤٣ / ٢] وابن أبي شيبة في المصنف ٩٨ / ٣ والطبري، جامع البيان [٧٥ / ٤] والسيوطي، الدر المنثور [٢١٤ / ١] والمقدسي، المغني [٤١٥ / ٥].

^٢ الطبري، جامع البيان [٧٥ / ٤] والسيوطي، الدر المنثور [٢١٤ / ١].

أما مقصود السلف بهذا القول: فليس مقصودهم كل ما في القرآن من (أو) بل المقصود تكرار اللفظ (أو أو) وهذا حاصل في آيات الكفارات والحدود. وهي أربع آيات.

كفارة الفدية في قوله تعالى: ﴿ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ ١٩٦ البقرة، و كفارة اليمين: قال تعالى: ﴿ لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُوفِ فِي آيَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْآيَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ آيَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا آيَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨٩) المائدة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٣) المائدة.

والآيات على ذلك إلا آية الحرابه ففيها خلاف:

فعلى القول بالتخيير ابن عباس، وقال الجمهور: هذه الآية منزلة على أحوال كما قال الشافعي عن ابن عباس في قطاع الطريق: إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا

^١ الطبري، جامع البيان [٧٥ / ٤].

^٢ سنن سعيد بن منصور ت ٢٢٧ هـ دراسة وتحقيق: د. سعد عبد الله آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع م ط ١ ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م [١٤٦٠ / ٤] والإمام.

قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض. وهكذا قال غير واحد من السلف والأئمة.^١

قلت: وكون أو على التخيير فإن هذا من باب الاستعمال اللغوي ولا اختصاص للقرآن به. لذا فليس فيه عُرف قرآني.

البخس

قال ابن عباس: كل (بخس) في كتاب الله نقصان، إلا هذا ويعني قوله تعالى: (وشروه بثمن بخس) يوسف ٢٠، فإنه حرام.^٢

وقال مقاتل: كل شيء في القرآن بخس يعني نقصا، غير واحد في يوسف قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يوسف ٢٠ يعني حراما.^٣

وقال ابن فارس: (والبخس) في القرآن النقص، مثل قوله تعالى: ﴿فلا يخاف

بخسا ولا رهقا﴾ الجن ١٣، إلا حرفا واحدا في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن

بخس﴾ يوسف ٢٠، فإن أهل التفسير قالوا بخس: حرام.^٤

ورد لفظ البخس في القرآن تسع مرات.

^١ الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢١هـ - الدار المصرية للترجمة والتأليف. [١٦٠ / ٢]

^٢ الفخر الرازي، التفسير الكبير [٨٦ / ١٨] .

^٣ الملطي، التنبيه والرد للملطي ص ٩٣.

^٤ الزركشي البرهان [١٣٧ / ١] ، والسيوطي، الإتيان [٣٠٣ / ١] ، والكفوي، الكليات ص ٢٢٥

أما قوله تعالى: ﴿وَشَرُّهُ بَثْنٌ بَخْسٍ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ يوسف

٢٠. فاختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: {ثمن بخس}.

قال ابن عباس: بخس أي حرام ، وهو قول الضحاك، ومقاتل، والسدي وأبو

عبيدة^١. ونسبه الواحدي إلى أكثر المفسرين^٢.

قالوا: وسمي الحرام بخسا، لأنه مبخوس البركة، وإنما كان هذا البيع حراما،
لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فلم يحل ثمنها.

وقال قتادة: البخس هنا الظلم، ورجحه الزجاج، وقال: وأكثر التفسير على أن

بخسا ظلما^٣.

البخس هنا معناه: النقص^٤، وهو أشهر المعاني، واحتج له ابن العربي، وابن

كثير بما يلي:

١ - فلم يكن قصدهم ما يستفيدون من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من

خلو وجه أبيهم.

٢ - إنه وإن كان بيعه عليه الصلاة والسلام حراما وظلما، إلا أنه ليس مرادا

هنا، لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد.

^١ الطبري، جامع البيان [١٠٢/١٢] و البغوي، معالم التنزيل [٢٢٤/٤]

^٢ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤١٥ هجري، [٦٠٤/٢].

^٣ ابن العربي، معاني القرآن وإعرابه [٩٨/٣].

^٤ الجصاص، أحكام القرآن، [١٧٠/٣] والطبري، جامع البيان [١٠٢/١٢] والزمخشري، الكشاف [٤٣٥/٢] وأحكام القرآن [١٠٧٩/٣].

وعلى ما مضى فأقول: حيثما ورد (البخس) في القرآن فإنه بمعنى النقص،
فالكلية مطردة في كل المواطن. ولكنه لا اختصاص للقرآن بشيء من ذلك فالبخس فسي
اللغة: النقص والظلم.

قال الراغب: البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم^١.
وقال العسكري: والفرق بين البخس والنقصان أن البخس النقص بظلم...
والنقصان يكون بالظلم وغيره^٢.

جثيا

قال ابن فارس: كل شيء في القرآن جثيا فمعناه جميعا، إلا التي في سورة
الجاثية ٢٨: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ فإنه أراد: تجثو على ركبها^٣.
أما قوله تعالى: ﴿فوريك لنحشرنهم والشیاطین حول جهنم جثیا﴾ مريم ٦٨.
وقوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذین اتقوا ونذر الظالمین فیها جثیا﴾ مريم ٧٢.
فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن معنى جثيا هو الجلوس على الركب وهي هيئة
الخاضع الذليل^٤.

وعليه فهذه القاعدة ذكرت أغلبية، وتبين أنها تامة مطردة. ولكنها لم تخرج
عن الاستعمال اللغوي فالجثو في اللغة: من جثا يجثو جثوا وجثيا: جلس على ركبته

١ الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٠.

٢ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ص ١٤٧.

٣ الزركشي، البرهان [١٣٧/١]، والسيوطي، الإتقان [٣٠٣/١].

٤ مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان [٦٣٤/٢]، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن [١٣٣/١١] والشنقيطي،
أضواء البيان [٢٦٢/٤]

للخصومة ونحوه، يقال قوم جثي وجثي، ومفرده جاث. وجثا جثوا إذا قام على أطراف أصابعه والجثوة: هي الحجارة المجموعة، وبه سمي القبر^١.

الرجز والرجس

عن ابن عباس: (كل شيء في كتاب الله من (الرجز) يعني به العذاب)^٢
و عن نافع بن الأزرق انه سأل ابن عباس فقال: أخبرني عن قوله رجس
وغضب ؟ قال: الرجس: اللعنة والغضب: العذاب . قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال:
نعم أما سمعت قول الشاعر وهو يقول: إذا سنة كانت بنجد محيطة وكان عليهم رجسها
وعذابها.

وعن ابن زيد في قوله قد وقع عليكم من ربكم رجس قال: جاءهم منه عذاب
والرجس: كله عذاب في القرآن .^٣

قلت:

١ . لا يستقيم اطراد العلماء للفظ الرجز بانه في القرآن بمعنى العذاب فقد

استثنى مقاتل قوله تعالى: ﴿ والرجز فاهجر ﴾ المدثر / ٥، قال يعني الصنم فاجتنبه)^٤

٢ . الرجز في اللغة له معاني^٥:

١ . القنر.

٢ . العذاب.

^١ الأزهري، تهذيب اللغة [١٧١ / ١١] والفيروز ابادي، القاموس المحيط ص ١٦٣٨.

^٢ الطبري، جامع البيان [١١٨ / ١٣].

^٣ الطبري، جامع البيان [١١٨ / ١٣].

^٤ الماطي، التنبيه والرد ص ٩٢.

^٥ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة [٤٨٩ / ٢] وابن منظور، لسان العرب [١٥٨٧ / ٣].

٣٠. تتابع الحركات ومنه ناقة رجزاء إذا كانت قوائمها ترتفع عند قيامها

وعليه فالذي أراه أن هذا الذي ذكره من أن الرجز والرجس بمعنى العذاب

هو مما ورد في اللغة ولا اختصاص للقرآن به. فلا يعتبر عرفاً قرآنياً.

الريب:

قال ابن عباس: كل ريب في القرآن شك، إلا مكاناً واحداً في الطور قوله

تعالى: ﴿رِبِّ الْمُنُونِ﴾ الطور ٣٠، يعني حوادث الأمور^١.

وقال ابن فارس: وكل شيء في القرآن من "ريب" فهو "شك"، غير حرف واحد،

وهو قوله عز وجل: ﴿نَرِيبُ بِهِ الْمُنُونِ﴾ فإنه يعني حوادث الدهر^٢

ولقد وردت كلمة ريب ثمان عشرة مرة في القرآن.

وبعد النظر في هذه الكلية تبين أنها أغلبية فقد اطرء تفسير الريب بالشك في

جميع الموارد، إلا قوله تعالى: ﴿رِبِّ الْمُنُونِ﴾ الطور ٣٠، فالمراد بها: الموت أو

حوادث الدهر وصروفه.

ويقال هنا أن اللفظ مستعمل على معناه اللغوي فالشك في اللغة هو الريب وفي

اللغة: ريب الدهر: صروفه وحوادثه، وريب المنون: حوادث الدهر، ويطلق كذلك على

الموت. قال أبو ذؤيب الهذلي: أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بعتب من يجزع^٣.

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧٢/١٧.

^٢ الزركشي، البرهان ١/١٣٨، والسيوطي الإتقان ٣٠٤/١ والكفوي، الكليات ٤٦٤

^٣ الأزهري، تهذيب اللغة ٢٥٢/١٥، وابن منظور، لسان العرب ١٧٨٩/٣.

وإذا كان الريب على بابيه في اللغة وريب المنون كذلك فلا اختصاص للقرآن من ذلك بشيء لذا فلا يقال ان عُرفا قرآنيا في اللفظ.

السكينة:

قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة^١ وكذلك قال مقاتل وابن فارس^٢.

ولقد ورد ذكر السكينة في القرآن ست مرات. وقد تعددت أقوال المفسرين في المراد بالسكينة والبقية التي حملها التابوت، فمنهم من قال إنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان أو شيء له رأس كراس الهرة له جناحان أو طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الأنبياء^٣.

ولا شك ان هذه الأقوال لا تقبل في التفسير فهي ضرب من الخرافات الإسرائيلية.

ولقد ورد تفسير هذه الآية بما صح عن سلفنا كابن عباس والسدي أن المقصود بالسكينة فيها على بابها من الطمأنينة^٤

لذا فان هذه الكلية مطردة المعنى في جميع المواضع. فجاءت السكينة في كل القرآن بمعنى الطمأنينة.

ولكن الأمر الذي ينبغي ان يقال هنا، ان هذا الأمر من باب الاستعمال اللغوي ولا اختصاص للقرآن فيه بشيء. قال الفيروزآبادي: وأصل السكينة هي: الطمأنينة والوقار

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/١٦، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٤٧١/٢).

^٢ التنبيه والرد للملطي ص ٩٢، البرهان للزركشي ١٣٨/١، الإتيان للسيوطي ٣٠٤/١، الكليات للكفوي ص ٤٩٤

^٣ انظر هذه الأقوال الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٤/١٦.

^٤ أنظر: الطبري، جامع البيان ٣٢٦/٥-٣٣٠، والماوردي، النكت والعيون ٣١٥-٣١٦ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٣.

والسكون الذي ينزل الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الأيمان وقوة اليقين والثبات. ...^١

القنوت

فسر القنوت بالطاعة في جميع القرآن فتادة^٢ والضحاك^٣. وفي ذلك حديث ولكنه لم يصح فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل حرف في القرآن من القنوت فهو الطاعة^٤.

قلت:

١. القنوت في اللغة: أصله الطاعة، ثم سمي القيام في الصلاة قنوتا ومنه قنوت الوتر.^٥

٢. لم يطرد ورود هذا اللفظ في القرآن بمعنى الطاعة فقد جاء في القرآن بمعان أخر مثل الخشوع قال ابن زيد في قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا

^١ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٢٣٨/٣.

^٢ عبد الرزاق، المصنف [١١٦ / ٢].

^٣ الطبري، جامع البيان [٢٢٩ / ٥] وابن عطية، المحرر الوجيز [٣٣٣ / ١].

^٤ أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ / ٧٥ برقم ١١٧٣٠ وابن حبان ٢ / ٧ برقم ٣٠٩ وصححه وجود إسناده السيوطي في الإتقان ١ / ٣٠٦ وأبو نعيم في الحلية ٨ / ٣٢٥ (أبو نعيم الإصبهاني أحمد بن محمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ للهجرة) والطبراني في الأوسط ٢ / ٤٨٠ برقم ١٨٢٩.

وهو ضعيف: ضعفه الهيثمي في المجمع ٦ / ٣٢٠ لضعف ابن لهيعة وابن كثير في التفسير ١ / ١٥٣ لضعف ابن لهيعة ودراج وكذلك ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ٤ / ١٤٩ وسلسلة الأحاديث الضعيفة ٩ / ١٠٦ برقم ٤٠١٥.

^٥ الرازي، مختار الصحاح [٥٦٠ / ١] باب قنت.

لِلَّهِ قَاتِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ البقرة، قال لا تتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب وسوى هذا كله

في القرآن القنوت ^١

وجاء القنوت بمعنى الخضوع كما في قوله تعالى: {كُلُّ لَه قَانَتُونَ} البقرة وفي

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَه قَانَتُونَ﴾ (٢٦) الروم، فالقنوت هنا هو

الخضوع والطاعة الكونية. ^٢

وهذا يعني ان القنوت في القرآن يأتي بمعنى الطاعة العبادية وبمعنى الطاعة

الكونية وبمعنى الخضوع وهو من الطاعة. وعليه فليس فيه عُرْف قرآني.

الكنز

قال ابن فارس: كل (كنز) في القرآن فهو المال، الا الذي في سورة الكهف

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ الكهف ٨٢، فإنه أراد: صحفا وعلمًا ^٣

ولقد وردت لفظة الكنز في القرآن ست مرات.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا

وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي

ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف ٨٢.

فقد جرى خلاف بين أهل العلم بالمراد بالكنز في هذه الآية:

^١ الطبري، جامع البيان [٢١ / ٢٣].

^٢ الزركشي، البرهان [١ / ١٤٠] والسيوطي، الإتيقان [١ / ٣٠٤] والكفوي، الكليات ص ٧٠٢.

^٣ الزركشي البرهان ١/١٤٠، السيوطي، الإتيقان ١/٣٠٤، والكفوي، الكليات ص ٧٤١

القول الأول: أنه مال مدفون من ذهب وفضه. وهو قول قتادة، وعكرمة، ورجحه الطبري، والنحاس والزمخشري والرازي وابن كثير والسيوطي وهو قول ابن عاشور وغيرهم^١.

القول الثاني: أنه كان صحفا فيها علم مدفونة، روي عن ابن عباس من طريق سعيد بن جببر، والعوفي، وهو قول ومجاهد^٢.

وعليه فكل "كنز" ورد في القرآن الكريم مفردا ومجموعا فمراد به المال، بما في ذلك آية الكهف قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ على الصحيح من أقوال المفسرين. فالكلية مطردة لا أغلبية كما أطلقت. ولكن مع هذا الاطراد فلا اختصاص للقرآن بذلك فالكنز في اللغة: المال المدفون والذهب والفضة وما يحرز من المال، والعرب تسمي كل كثير مجموع متنافس كنزا، والكنز إذا أخرج منه الواجب لم يبق كنزا وإن كان مكنوزا^٣.

هوى

قال ابن عباس: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ هَوَاهُ﴾ فمثل كمثل الكلب ﴿[الأعراف: ١٧٦] وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [

^١ الطبري، جامع البيان ٦/١٦، والزمخشري، الكشاف ٧١٣/٢، وابن كثير، تفسير ابن كثير ٩٩/٣.

^٢ الطبري، جامع البيان ٥/١٦، - الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٤٠٥ هـ، المستدرک علی الصحیحین، وبذيله التلخیص للحافظ الذهبي ٧٤٨ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ٣٦٩/٢، والبلغوي، معالم التنزيل ١٩٦/٥، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨/١١.

^٣ ابن منظور، لسان العرب ٣٩٣٧/٥.

الروم: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]

أما الهوى في اللغة فقد جاء في المصباح المنير: (والهوى مقصور مصدر (هويته)، من باب (تعيب)، إذا أحببته وعلقت به. ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في ميل مذموم؛ فيقال اتبع هواه، وهو من أهل الأهواء ^١. وفي اصطلاح العلماء: له تعريفات عدة، تتقارب في مؤداها، ومنها: ما ذكره الجرجاني، صاحب التعريفات: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات، من غير داعية الشرع ^٢. قلت: وكون الهوى جاء في القرآن على جهة الذم فإن هذا مما لا اختصاص بالقرآن به، بل هو من باب الاستعمال اللغوي فقد جاء عن الفراء أنه قال: (والهوى في القرآن مذموم والعرب لا تستعمله إلا في الشر فأما في الخير فيستعملون الشهوة والنية والمحبة ^٣) وعليه فإن هذا اللفظ لم يثبت به عرف قرآني.

^١ الفيومي، المصباح المنير، ص ٦٤٣.

^٢ الجرجاني، التعريفات ص ٢٥٢

^٣ الفراء، معاني القرآن ص ٢٣٤.

المطلب الثاني: تعميمات حكيت كلية وهي من باب الوجوه والنظائر.

ومن نماذج ذلك ما يلي:

الأجر

قال ابن عاشور: (الأجر الثواب في الآخرة كما هو مصطلح القرآن).¹

و لفظ (أجر) من حيث اللغة، يفيد أمرين؛ أحدهما: الكراء على العمل؛ يقال: أجر فلان فلاناً، يأجره أجرًا: أعطاه الشيء بأجرة؛ ويقال: أجر فلان فلاناً: أعطاه الأجرة؛ ويقال: أجره الله، وأجره الله، كلاهما بمعنى. وثانيهما: جبر العظم المكسور؛ يقال: أجزت يده، إذا جُبر عظمها المكسور. والمعنى الجامع بينهما: أن أجرة العامل كأنها شيء يُجبر به حاله، فيما لحقه من تعب وكد فيما عمله.

أما مصطلح (الأجر) في القرآن، فقد ورد الأجر في القرآن الكريم في خمسين ومائة موضع.

والصحيح انه جاء على أربعة معان:

أحدها: بمعنى مهور الزوجات، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَآتَوْهُمْ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾

(النساء: ٢٤) أي: مهورهن.

ثانيها: بمعنى ثواب الطاعة، ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرَهُنَّ ﴾

(النحل: ٩٦) أي: ثوابهم؛ ومصطلح (الأجر) بمعنى (الثواب) إطلاقه كثير في

القرآن.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٧٦٥٤.

ثالثها: بمعنى المقابل المادي على عمل ما، ومنه قوله تعالى: ﴿ وما تسألهم عليه من أجر ﴾

﴿ (يوسف: ١٠٤)، وقوله سبحانه: ﴿ أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ﴾ (الطور: ٤٠).

رابعها: بمعنى نفقة المرضعات، كقوله تعالى: ﴿ فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ﴾

(الطلاق: ٦)، أي: نفقة الرضاع .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن ابن عباس الأمرون بالمعروف قال: بلا إله إلا الله والناهون عن المنكر أي

(الشرك)^١

وعن أبي العالية: (كل ما ذكر الله في القرآن من (الأمر بالمعروف) فهو دعاء

من الشرك إلى الإسلام وكل ما ذكر من (النهي عن المنكر) فهو النهي عن عبادة

الأوثان والشياطين.)^٢

قلت: ولا يصح ذلك، فقد قال الشوكاني تعليقا على قول أبي العالية: (وهو

تخصيص بلا مخصص فليس في لغة العرب ولا في عُرف الشرع ما يدل على ذلك)^٣.

وقال الألوسي: (يبعد أن يراد بالمنكر والمعروف ما قال بل يعم ما ذكر وغيره

ويدخل فيه المذكور دخولا أوليا).

^١ السيوطي، الدر المنثور [٦٢ / ٢] والشوكاني، فتح القدير [٤٥١ / ١].

^٢ الطبري، جامع البيان [٣٤٨ / ١٤] والماوردي، النكت والعيون [٣٧٩ / ٢] والسيوطي، الدر المنثور [٦٢ / ٢] والشوكاني.

^٣ الشوكاني، فتح القدير [٤٥١ / ١].

وقد أورد المفسرون لمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقوالاً كثيرة

ما يبين ان اللفظ شامل لكل معروف في الشرع ولكل منكر.^١

قال الألوسي: (وأخرج عن أبي العالية أنه قال: كل منكر ذكر في القرآن المراد

منه عبادة الأوثان والشيطان ولا يبعد أن يراد بالمنكر والمعروف ما يعم ما ذكر وغيره
ويدخل فيه المذكور دخولا أوليا)

الأسف

قال مقاتل: وكل شيء في القرآن (يا أسفا) فهو الحزن، غير واحد في

الزخرف قوله تعالى: ﴿ فلما ءاسفونا ﴾ الزخرف ٥٥ يعني: أغضبونا.^٢

وقال بن فارس: ان كل ما في كتاب الله - جل ثناؤه - من ذكر (الأسف)

فمعناه الحزن، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى

يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ^٣) يوسف، إلا قوله تعالى: ﴿ فلما ءاسفونا ﴾

فان معناه أغضبونا، أما قوله في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى ﴿ غضبان

أسفا ﴾ الأعراف ١٥٠ فقال بن عباس: مختاذا.^٣

قلت: ولقد ورد لفظ "الأسف" خمسة مرات في القرآن:

^١ انظر الطبري، جامع البيان [١٤ / ٣٤٧]، و [١٧ / ١٢٦] و البغوي، معالم التنزيل، [٤ / ٧٢] وابن عطية، المحرر الوجيز [٦ / ٥٥] وابن الجوزي، زاد المسير [٥ / ٤٢٧] والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن [٨ / ٢٧٠].

^٢ الملطي، التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ١ ص ٩٣، وانظر: الكفوي، الكليات ص ٨٢

^٣ الزركشي، البرهان [١٣٦ / ١]، والسيوطي، الإتقان [٣٠٣ / ١].

والنظر في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْفَوْا اتَّقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥٥)

الزخرف ٥٥

أما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: (غضبان أسفا) الأعراف ١٥٠
فعلى القول بأن المراد شدة الغضب والغیظ - على قول ابن عباس الذي ذكرت - فوروده
بعد وصفه بغضبان هو من باب التأكيد والتقرير. والحمل على التأسيس أولى من الحمل
على التأكيد لذا قيل إن معنى الأسف هنا: "الحرين".

وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْفَوْا اتَّقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الزخرف / ٥٥.

فمعنى الغضب فيها ظاهر.

وعلى ما مضى فإن للأسف في القرآن الكريم معنيان:

١ - الغضب، ومثاله آية الأعراف، طه، الزخرف.

٢ - الحزن، ومثاله، آية الكهف، ويوسف.

وكذلك هو في اللغة: أشد الحزن، والأسف الأسوف: السريع الحزن، والرقيق

القلب، والأسيف: الغضبان^١.

قال الراغب: الأسف: الحزن والغضب معا، وقد يقال لكل واحد منهما على

الانفراد^٢.

وعليه فإن هذا اللفظ ليس فيه عرف قرآني.

^١ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة [١٠٣/١] و الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١٠٢٣.

^٢ الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٥.

الإفك

قال ابن عباس: كل إفك في القرآن فهو كذب بلغة قريش

ومثله عن سعيد ابن جبير^١ وعن مقاتل^٢.

وجاء اللفظ في اللغة: بمعنى الكذب أو أعظم الكذب وأشنعه^٣

ولقد جعل العلماء هذا اللفظ من الألفاظ ذات الوجوه والنظائر لتعدد معانيه

في القرآن حتى أوصلوه إلى سبعة معان.

قال الدامغاني: (تفسير إفك على سبعة أوجه: الكذب. عبادة الأصنام. ادعاء

الولد لله تعالى. قذف المحصنات. الصرف. التقليل. السحر.

فوجه منها: الإفك ؛ يعني: الكذب، كما قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

(الأحقاف: من الآية ١١) ؛ يقولون: كَذِبٌ تَقَاثَمٌ، ونظيره فيها: ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ (الأحقاف:

من الآية ٢٨)، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: إفك: عبادة الأصنام، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا

تَعْبُدُونَ * أَإِنكُمُ الْهَادُونَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ (الصافات: ٨٥ - ٨٦)؛ يعني: عبادة آلهة دون الله.

^١ تفسير ابن أبي حاتم [٢٦٦٣ / ٨] برقم ١٤٩٦٩ والسبوطي، الدر المنثور [٦٣ / ٥] والكفوي، الكليات ص ١٥٣.

^٢ التتبيه والرد للملطي ٨٨.

^٣ الأزرهري، تهذيب اللغة [٣٩٥ / ١٠] و الجوهري، إسماعيل حماد ٣٩٣ هـ ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبدا الغفور عطار دار العلم للملايين لبنان ط ٤ ٤٠٤ هـ — ٩٨٤ م [٤ / ١٥٧٢] وابن فارس، معجم مقاييس اللغة [١ / ١١٨].

والوجه الثالث: الإفك: ادعاء الولد لله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ

* وَكَذَّابُوا اللَّهَ وَآلَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾ (الصفافات: ١٥١ - ١٥٢).

والوجه الرابع: الإفك: قذف المحصنات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا

بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ (النور: من الآية ١١) ؛ يعني: بهتان عائشة رضي الله عنها

والوجه الخامس: الإفك: الصرف، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴾

(الذاريات: ٩)، وكقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿لَتَأْفِكَنَّ الْهَيْتَا ﴾ (الأحقاف: من

الآية ٢٢) ؛ أي: لتصرفنا، ونحوه كثير.

والوجه السادس: الإفك: التقلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾

(النجم: ٥٣)، وكقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ (الحاقة: من الآية ٩).

والوجه السابع: الإفك: السحر، كما في قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا

يَأْفِكُونَ ﴾ (الشعراء: من الآية ٤٥).^١

^١ الدامغاني، الوجوه والنظائر ص: ٧٢ - ٧٤.

البروج

قال مقاتل وابن فارس: كل ما في القرآن من ذكر (البروج) فهي الكواكب

﴿والسما ذات البروج﴾ البروج ١، إلا التي في سورة النساء قوله تعالى: ﴿ولو كنتم في

بروج مشيدة﴾ النساء ٧٨، فهي القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة^١.

وقال ابن عطية: وإنما البروج في القرآن إذا وردت مقترنة بذكر السماء بروج

المنازل للقمر وغيره على ما عرفت في العرب وسمتها^٢.

وقال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ الحجر ١٦: هي

اثنا عشر: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس،

الجدي، الدلو، الحوت وهي المراد بالبروج حيث ورد في القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿ولو

كنتم في بروج مشيدة﴾ النساء ٧٨.

ذكرت البروج في القرآن في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ

الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ

عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء ٧٨ وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ الحجر ١٦ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ

^١ الملطي، التنبيه والرد ص ٩٢، الزركشي، البرهان [١٣٦/١]، والسيوطي، الإثقان [٣٠٣/١].

^٢ ابن عطية، المحرر الوجيز [١٣٨/٤].

فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿ الفرقان ٦١ و قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

الْبُرُوجِ ﴿ البروج ١

وبعد النظر في الآيات تبين ان هذه الكلية محتملة، فباستثناء آية النساء فإن

بقية المواطن الثلاثة يصدق عليها المعاني التي ذكرها أهل التفسير .

وأفضل ما يقيد هذه القاعدة ليكون فيها عُرف قراني قول ابن عطية: وإنما

البروج في القرآن إذا وردت مقترنة بذكر السماء بروج المنازل للقمر وغيره على ما عُرفت العرب وسمتها.

قلت: بهذا التقييد الذي ذكره ابن عطية يمكن عد اللفظ مما فيه عُرف قراني وإلا

فهو على بابه في الاستعمال اللغوي.

البروج في اللغة فقد قال ابن فارس: (الباء، والراء، والجيم، أصلان: أحدهما

البروز والظهور والآخر الوزر والملجأ، فمن الأول البرج، وهو سعة العين في شدة سواد

سوادها، وشدة بياض بياضها، ومنه التبرج وهو: إظهار المرأة محاسنها، والأصل الثاني:

البرج واحد بروج السماء، وأصل البروج الحصون والقصور (١).

والبرج من المدينة بالضم الركن والحصن، والجمع أبراج وبروج، والبرج

واحد بروج السماء وهي اثنا عشر برجاً، وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبروج

بروجاً، لظهورها وبيانها وارتفاعها (٢).

^١ معجم مقاييس اللغة ٢٣٨/١.

^٢ الفيروز آبادي، القاموس المحيط [١ / ٢٣٠]، والزبيدي، تاج العروس [٤١٤/٥]

البعل

قال مقاتل: كل شيء في القرآن (بعل) يعني الزوج، غير واحد في الصفات

قوله تعالى: (أتدعون بعلا) الصفات ١٢٥ يعني: ربا^١.

ولقد وردت كلمة بعل في القرآن سبع مرات. والنظر في قوله تعالى:

﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ الصفات ١٢٥

والتي تعددت أقوال المفسرين فيها:

ف قيل معناه: أتدعون ربا، والبعل هو الرب بلغة أهل اليمن، يقولون للسيد والرب

البعل، قاله ابن عباس في رواية، مجاهد، وعكرمة، وقتادة، وأبو عبيدة، وقال آخرون

منهم مقاتل، والضحاك، والحسن، وابن زيد، وعطاء: إنه علم لصنم بعينه كانوا يعبدونه،

وله قصة مذكورة في التفاسير^٢.

وحكى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن بعلا اسم امرأة كانوا يعبدونها أتتهم

بضلالة فاتبعوها وقالت طائفة: البعل ها هنا ملك، والقولان الأولان أشهر الأقوال وعليهما

جل أهل التفسير^٣.

^١ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٣.

^٢ مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان [٦١٧/٣] و أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف ٧٤٥ هـ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير مجذوب المكتب الإسلامي بيروت ط ٢ ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م. ص ٦٨، - البقاعي، أبو الحسن إبراهيم عمر، ٨٨٥ هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م [٣٣٧/٦]، والشوكاني، فتح القدير [٣٩٥/٤]، وخان، صديق حسن ١٣٠٩ هـ، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري طبعة إحياء التراث الإسلامي قطر ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م [٤١٥/١١ - ٤١٩].

^٣ أبو حيان، البحر المحيط [٣٥٨/٧]، السمين الحلبي أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد ٧٥٦ هـ، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق وتعليق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود جاد مخلوف

أما الحكم على الكلية: فقد جاءت لفظة البعل في القرآن مفردة ومجموعة بمعنسى

الزوج والأزواج، عدا آية الصافات: ﴿أتدعون بعلا﴾، فهي محتملة لأشهر المعنيين

الذين ضمتها كتب التفسير، واللذان يؤولان لمعنى واحد، وعليه فهذه الكلية أغلبية كما أطلقت.

ومعانيها الواردة في القرآن هي نفس معانيها الواردة في اللغة، فالبعل في اللغة:

الزوج والجمع البعولة، ويقال للمرأة أيضا بعل وبعلة. وبعل الشيء ربه ومالكة يقال:

من بعل هذه الناقة؟ أي: ربها، والبعال ملاعبة الرجل أهله، وامرأة حسنة البعال والتبعال

إذا كانت حسنة الطاعة لزوجها. ويقال: بعل الرجل إذا دهش وتحير. وبعل الرجل بالأمر

اذ ضاق به ذرعا، وأصبح فلان بعلا على أهله: ثقيلًا عليهم^١.

وقال العسكري: والفرق بين البعل والزوج أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى

يدخل بها، وذلك أن البعال النكاح والملاعبة^٢.

البكم

قال ابن فارس: وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالأيمن،

كقوله جل ثناؤه ﴿صم بكم﴾ البقرة ١٨، إنما أراد بكم عن النطق بالتوحيد مع صحة

السننهم، (لا حرفين، أحدهما في سورة بني إسرائيل قوله تعالى: ﴿عميا وبكما وصما﴾

جاد زكريا عبدالمجيد النوتي دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م توزيع: مكتبة الباز مكة المكرمة [٥١٢/٥].

^١ ابن دريد، جمهرة اللغة، [٣١٤/١]، والأزهري، تهذيب اللغة [٤١٢/٢].

^٢ العسكري، الفروق اللغوية ص ٢٣٤.

الإسراء ٩٧، والآخر في سورة النحل قوله عز وجل: ﴿أَحَدُهُمَا أَتَىٰ﴾ النحل ٧٦،

فإنهما في هذين الموضعين اللذان لا يقدران على الكلام^١.

وردت لفظة البكم في ستة مواضع.

أما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَلَا يُقْدِرُ عَلَىٰ

شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ النحل ٧٦ فهذا مثل ضربه الله تعالى لذاته ولما يعبد من دونه من الأصنام

التي لا تضر ولا تنفع، فجعل تلك الأصنام التي تعبد من دونه ظلما، بمنزلة الرجل الأبكم الذي لا يعقل ولا ينطق ولا يقدر على شيء.

وهو فوق ذلك كله ثقل على وليه وقرابته ومن يلي أمره.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ

وَحَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَنُكْمًا وَصَمًّا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾

الإسراء ٩٧.

فيخبر تعالى أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عميا لا يبصرون،

وصما لا يسمعون، وبكما لا ينطقون.

وهذه الكلية أغلبية كما أطلقت، إلا في آيتي النحل: ٧٦، والإسراء ٩٧ أريد

بالبكم معناه الحقيقي أي: الذين لا يقدر على الكلام. وكذلك جاء في معناها اللغوي

^١ الزركشي، البرهان [١٣٧/١]، والإتقان، الإتقان [٣٠٣/١]، والكنوي، الكليات ص ٢٢٥-٢٢٦.

فالبكم في اللغة: هو الخرس، وقيل: الأخرس الذي خلق ولا نطق له، والأبكم: الذي لا نطق له ولا يعقل الجواب، والجمع بكم^١

التزكي

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: التزكي في القرآن كله الإسلام.

وعن عمر بن عبد العزيز: التزكي في القرآن كله إسلام^٢.

قلت: التزكي في اللغة: عام في كل طهارة ونماء، وقد جاء التزكي في القرآن

بغير معنى الإسلام مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨) سورة الليل، بمعنى

يتطهر بإتفاق ماله في مرضات الله تعالى ويطلب أن يكون زاكيا طاهرا لا رياء فيه ولا سمعة^٣.

وجاء عاما بكل ما تحصل به الطهارة من الإيمان وعمل الصالحات وترك

الموبقات والسيئات مثل قوله تعالى: ﴿مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَتَزَكَّى﴾ عبس (٣).

وبهذا يظهر أن هذا اللفظ ليس فيع عرف قراني.

التسبيح

عن ابن عباس: ٠ كل (تسبيح) في القرآن صلاة^٤ ومثله عن سعيد بن جبير^٥

^١ الأزهرى، تهذيب اللغة [٢٩٥/١٠]، والفيومي، المصباح المنير [٢٠٩/١].

^٢ الطبري، جامع البيان [٣٩/٠ ٣].

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه [٣٣٦/٥] والبغوي، معالم التنزيل [٤٤٢/٨] والزمخشري، الكشاف [٧٥٢/٤] والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن [٨٨/٢٠].

^٤ الطبري، جامع البيان [١١٣/١٨] وابن حجر، فتح الباري [٣٨٩/٨] وابن حجر أحمد بن علي

العسقلاني، تعليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق سعيد عبد الرحمن القزفي دار عمار ط ١٩٨٥

م [٢٣٩/٢].

^٥ الفراء، معاني القرآن [١٢٥/٢].

قال ابن القيم: (استثنى الإمام أحمد موضعاً واحداً قال (وإدبار النجوم) الطور

٤٩ ركعتين قبل الفجر و(وإدبار السجود) ركعتين بعد المغرب)^١

قلت:

٠١ للتسبيح في اللغة معان كثيرة:^٢

٠١ التقديس والتتزيه عن النقائص.

٠٢ الذكر.

٠٣ الدعاء.

٠٤ الصلاة.

٠٢ جاء التسبيح في القرآن مضافاً إضافات متعددة مثل تسبيح الملائكة،

وتسبيح المخلوقات وهم من في السموات ومن في الأرض، وتسبيح المكلفين من بني آدم.

كقوله تعالى: (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) سورة الحديد.

وقوله تعالى: (سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) سورة الصف.

وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَمَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٣٠) سورة البقرة. وقوله

تعالى: (يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ

^١ ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد [٤ / ٩٦].

^٢ انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة [٤ / ٣٣٧] ابن الأثير الجزري ، مجد الدين المبارك بن محمد ٦٠٦هـ. النهاية
في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطلاحى، المكتبة الإسلامية [٢ / ٣٣١].

فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) سورة الرعد. وقوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) سورة الإسراء

ومثل هذا لا يمكن فهمه على الصلاة. لذا أورد أصحاب الوجوه والنظائر مثل

الدامغاني والفيروزآبادي لفظ التسبيح وذكروا له معاني متعددة منها الصلاة والتعجب

والذكر والتوبة والاستثناء والتنزيه والتقديس.^١

قال الألويسي: (قوله تعالى: ﴿سُبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى / ١، والمراد به

إما ظاهره أو الصلاة لاشتغالها عليه وروى هذا عن ابن عباس والحسن والضحاك).

وقال: (وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة وأيد إرادة الصلاة هنا

تعيين الأوقات بقوله سبحانه بالغدو والآصال).

وقال: (قوله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) الأنبياء، حملة بعضهم على الذكر مطلقا وبعض آخر على العبادة كذلك

وجماعة منهم ابن عباس على الصلاة بل روي عنه أنه قال: كل ما في القرآن من

التسبيح فهو بمعنى الصلاة).

وعلى ما مضى فإن التعميم الوارد عن السلف في لفظ التسبيح لا يصح بل هو

من باب الاستعمال اللغوي كما ذكر أصحاب الوجوه والنظائر، وليس فيه عُرف قرآني.

^١ النظر: الدامغاني أبو عبد الله الحسين بن محمد ٤٧٨هـ، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، حققه
وقدم له محمد حسن أبو العزم الزرقاني القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. [٤٤٦ / ١] الفيروز آبادي، بصائر ذوي
التمييز [١٣ / ١٧٧].

حسبان

قال مقاتل: وكل شيء في القرآن حسباناً، يحسبون يعني حساباً، غير واحد

الكهف "حسباناً" يعني عذاباً من السماء^١.

و قال ابن فارس: وكل ما في القرآن من ذكر "حسبان" و "حساب" فهو العدد، غير

حرف في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿حسباناً من السماء﴾ فإنه بمعنى العذاب^٢

ولقد جاءت (حسبان) في التنزيل ثلاث مرات. أما قوله تعالى: ﴿فحسبى ربي

أن يؤتى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء﴾ الكهف ٤٠.

قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والزهرى، وطوائف من المفسرين: حسباناً

من السماء أي: عذاباً من السماء ترمى به وتنفذ^٣.

وذهب الزجاج، والزمخشري، وهو ظاهر تأويل السيوطي، والقاسمي، إلى أن

الحسبان بمعنى الحساب: أي مقدراً قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها وعذابها^٤.

وعلى ما مضى فكل حسبان في القرآن أتى بمعنى الحساب، إلا موطن الكهف

قوله تعالى: ﴿حسباناً من السماء﴾ الكهف ٤٠، فالمراد به العذاب على أصح التفسيرات.

^١ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٣.

^٢ الزركشي، البرهان [١٣٧/١ - ١٣٨]، وأنظر: السيوطي، الإتيان [٣٠٣/١] والكفوي، الكليات ص ٣٥٩.

^٣ الطبري، جامع البيان ١٦٢/١٥، الماوردي، النكت والعيون ٣٠٧/٣ والفخر الرازي، التفسير الكبير ١٠٩/٢١، وابن كثير، تفسير ابن كثير ٨٤/٣.

^٤ الزمخشري، الكشاف ٦٩٥/٢، - السيوطي، أبو الفضل جلال الدين ٩١١ هـ، معترك الأكران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي الجاوي، دار الفكر العربي ٧٤/٢، والقاسمي، محاسن التأويل ٤٥/١١.

ولا يمكن عد مثل هذا اللفظ مما فيه عُرف قرآني بل هو على بابيه في الاستعمال اللغوي موضعان في القرآن على معنى لغوي وموضع على معنى لغوي آخر. فالحسبان في اللغة: من عدته وأحصيته عدا والحسبان العذاب.

حفظ الفروج:

قال أبو العالية: كل شيء في القرآن (ويحفظوا فروجهم) و (ويحفظن فروجهن) يقول من الزنا، إلا ما كان من هذه الآية في النور، يقول: لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة^١. وكذلك ورد عن ابن زيد^٢.

وبعد الدراسة تبين أن كل آية ذكر فيها حفظ الفروج فقد جاء في تفسيرها أنه عن الزنا واللواط وسائر الوطء المحرم، وتزيد آية النور على ذلك بمعنى وجوب سترها عن رؤية ولمس من لا يحل.

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ الأحزاب / ٣٦ أي عما لا يحل من الزنا وغيره^٣.

وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ أي عن المحارم والمآثم إلا عن المباح^٤.

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

ذلك أذكى لهم أن الله خير بما يصنعون ﴿النور ٣٠-٣١﴾ أي: عما لا يحل^١

^١ أخرجه ابن أبي حاتم ٢٥٧١/٨، برقم (١٤٣٧٩)، وأنظر: السيوطي، الدر المنثور ٤٠/٥.

^٢ أنظر: السيوطي، الإقتان ٣٠٦/١.

^٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١٤.

^٤ ابن كثير، تفسير ابن كثير ٤٨٨/٣.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء ^٢.

وقال ابن عطية: وحفظ الفرج يحتمل أن يريد به الزنا، ويحتمل أن يريد به ستر العورة، والأظهر أن الجميع مراد واللفظ عام ^٣

لذا فإن هذه الكلية كما قالها أبو العالية وابن زيد غير منضبطة، فليست عرفاً قرآنياً. وهي على بابها في اللغة، وحفظ الفرج في اللغة: يأتي عاماً لكل حفظ من النظر ومن الزنا وغير ذلك.

الخير

قال قتادة: حيثما ذكر الله الخير في القرآن فهو المال ^٤.

وكذلك قال مجاهد هو عكرمة ^٥ والسمعاني ^٦ وقال ابن العربي حيث ذكر المال

في القرآن فهو يسمى الخير وكذلك في الحديث (^٨).

و الخير في اللغة: ضد الشر، والخير بمعنى المال ^٩

^١ البغوي، معالم التنزيل ٣٣/٣٢/٦.

^٢ الزمخشري، الكشاف ٢٢٣/٣.

^٣ ابن عطية، المحرر الوجيز ٤٨٦/١٠.

^٤ أبو حيان، البحر المحيط [٥٠٢ / ٨].

^٥ الطبري، جامع البيان [٣٩٣ / ٣].

^٦ ابن عطية، المحرر الوجيز [٥٥٠ / ١٥].

^٧ السمعاني، تفسير القرآن [١٧٥ / ١].

^٨ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف، ٥٤٣ هـ ، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي دار الفكر [

١ / ٧١].

^٩ الرازي، مختار الصحاح مادة (خير).

كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾ أي مالا و الخير بالكسر خلاف الأشرار

والخير الفاضل قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ جمع خيرة وهي الفاضلة من كل

شيء ١)

و لا يصح حمل مقصود العلماء على ان الخير بالتعريف والتكثير بمعنى المال،
فقد ورد في القرآن المنكرة بمعنى الخير الذي هو الأفضل مثل قوله تعالى: (كنتم خير

أمة أخرجت للناس) البقرة ١٨٠

بل هناك آيات جاءت بالتعريف يقطع بأنها ليس المقصود فيها المال مثل قوله

تعالى: ﴿وَلَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ١٠٤ وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي

قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنفال ٧٠ وقوله تعالى:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ النمل ٥٩ وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ البينة ٧.

قال الثعالبي: (قال بعض المفسرين حيث ما ذكر الله الخير في القرآن فهو

المال، وفي هذا الكلام تحامل والذي يشبهه أن يقال إنه حيث ما ذكر الخير فإن المال

يدخل فيه وهذا أيضا غير ملخص) ٢.

^١ الطبري، الرازي، مختار الصحاح، باب خير.

^٢ الطبري، جامع البيان [٧١ / ٢٧]

قلت: والأصح ان يقال لن الخير في القرآن يحمل على المال ما لم يأتي في السياق ما يخرج به عن ذلك، فإذا اقترن الخير بالدعوة أو كونه في القلوب فهي قرينة تخرجه ان يكون مالا.

الدحض:

قال ابن فارس: وكل شيء في القرآن (الدحض) ، (الداحض) فمعناه الباطل قال جل ثناؤه: ﴿حجّتهم داحضة عند ربهم﴾ الشورى ١٦، إلا التي في سورة الصافات ١٤١ قوله تعالى: ﴿فكان من المدحضين﴾، فأراد المقرّوعين^١.

ولقد ورد فعل دحض في القرآن أربع مرات. وهذه الكلية أغلبية، فكل شيء في القرآن من مادة الدحض حملت معنى الباطل والإبطال إلا آية الصافات ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ الصافات ١٤١، فإنه أراد المغلوبين المقرّوعين ولا شك في ذلك ولا يحمل اللفظ إلا على هذا.

وعليه فإن اللفظ على معناه اللغوي فالدحض في اللغة فيقال: دحضت رجله تدحض دحضا ودحوضا زلقت، ودحضها أزلقها، ودحضت الشمس زالت، ومكان دحض ودحض زلق، والمدحضة المزلة، والدحض المكان الذي يكون عنده الزلق، ودحضت الحجة بطلت و أدحضها أبطلها. والدحض جمع داحض وهم: الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأمور^٢.

^١ الزركشي البرهان ١/١٣٨، والسيوطي الإتقان ١/٣٠٤، والكفوي الكليات ص ٤٣٨

^٢ ابن منظور، لسان العرب ٢/١٣٣٥، والفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ٨٢٨

الرجم

عن مجاهد أنه قال: الرجم في القرآن كله الشتم^١

وقال قتادة: هو على بابه من الرجم بالحجارة^٢

وقال ابن جريج: الرجم الملعون^٣

قال الكسائي كل رجم في القرآن فهو بمعنى الشتم^٤

قال الفراء: عامة ما في القرآن من الرجم المراد به القتل^٥

قال ابن سيده: والرجم في القرآن القتل^٦

وقال مقاتل: (كل شيء في القرآن من الرجم القتل واستثنى الآية في قوله

تعالى: ﴿لَنْ نَنْتَهِيَ لِرَجْمِكَ﴾ مريم ٤٦ ، قال لاشتمنك)^٧.

قلت: الرُّجْمُ في اللغة: القتل وأصله الرمي بالحجارة، و الرِّجَامُ هي حجارة

ضخام دون الرضام، قال عبد الله بن مغفل في وصيته: لَا تُرْجَمُوا قَبْرِي أَي لَا تَجْعَلُوا

عليه الرجم أراد بذلك تسوية قبره بالأرض وألا يكون مسنماً مرتفعاً، و الرُّجْمُ أَنْ يَتَكَلَّمَ

^١ السيوطي، الدر المنثور [٢٦١ / ٥] والفخر الرازي، التفسير الكبير [١٩٥ / ٢١] والأوسى روح المعاني [٢٢٣ / ٢٢].

^٢ السيوطي، الدر المنثور [٢٦١ / ٥].

^٣ الطبري، جامع البيان [٢٢ / ١٤].

^٤ الطبري، جامع البيان [١١ / ١٤] والنحاس، معاني القرآن [١٦١ / ٤].

^٥ النحاس، معاني القرآن [٣٧٤ / ٢].

^٦ ابن سيده، علي بن إسماعيل ٤٥٨ هـ، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ط ١، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م [٢٩٣ / ٧].

^٧ المملطي، التنبيه والرد ص ٩٣ ومقاتل، تفسير مقاتل [٦٣٠ / ٢].

الرجل بالظن قال الله تعالى: ﴿رَجُمَا بِالْغَيْبِ﴾ الكهف / ٢٢، و تَرَجَّمَ كلامه إذا فسرهُ

بلسان آخر ومنه التَّرَجَّمَانُ وجمعه تَرَاجِمٌ ^١

لذا فإن هذا اللفظ ليس فيه عُرْف قرآني، فقد ورد في اللغة الرجم بمعنى القتل وبمعنى الشتم واختلاف المفسرين بذلك واضح مما ذكرت من أقوالهم. ولذا أورد أصحاب الوجوه والنظائر هذا اللفظ في كتبهم ^٢.

الزور:

قال ابن فارس: كل شيء في القرآن من (زور) فهو الكذب ويراد به الشريك، غير الذي في المجادلة (منكرا من القول وزورا) فإنه كذب غير شرك ^٣ وقد ذكرت كلمة الزور أربع مرات في القرآن الكريم.

ولكن بعد الدراسة و التحقيق تبين ان الزور في جميع مواضعه حملة المفسرون مرة بأنه: عام في كل مكان كذبا وباطلا، وفسر في أخرى بأنه: حضور مجالس الباطل بأنواعها. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ زَوْرًا وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ (٢) المجادلة. فهو مفسر من الآية وهو الظهار. وهذا يخرج الكلية عن كونها تامة أو أغلبية، لتتنوع المراد باللفظة في مواطنها من القرآن. وكلها جاء ضمن الاستعمال اللغوي فالزور في اللغة: الكذب والباطل، وقيل: شهادة الباطل. والتزوير يراد به: تزيين الكذب وكذلك

^١ الرازي، مختار الصحاح، مادة رجم.

^٢ انظر مقاتل بن سليمان البلخي ١٥٠ هـ، الأشباه والنظائر، دراسة وتحقيق: د. عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ط ٢ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م ص ٢٦٤ و الدامغاني، الوجوه والنظائر [١ / ٣٨٧].

^٣ الزركشي، البرهان ١/١٣٨، السيوطي، الإتيان ١/٣٠٤، والكفوي، الكليات ص ٤٨٥

إصلاح الشيء). وأحسن ما قيل في الزور: أنه الكذب المحسن المموه بحيث يشتبه الصدق^١.

السخر

قال مقاتل: وكل شيء في القرآن (يسخرون) و (سخر يا) يعني: الاستهزاء

غير واحد قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَآ﴾ في الزخرف (٣٢) يعني: السخرة في الخدمة^٢.

ويبقى هنا دراسة قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَآ﴾.

أما تفسير السخر هنا بالاستهزاء أي ليهزأ الغني بالفقير، فاستبعده طوائف

من المفسرين، من أمثال ابن عطية، وأبي حيان والسمين الحلبي، والشوكاني.

وعليه:

١. هذه الكلية كما أطلقت كلية أغلبية بخروج آية الزخرف عن المعنى العام

الأغلب لمادة سخر في كل القرآن.

٢. هي على وجهها اللغوي ففي اللغة: (س، خ، ر): أصل مطرد مستقيم يدل

على احتقار واستئلال. وذهب البعض إلى التفريق، فما كان مكسورا فيقصد به الهزاء،

والضم بمعنى التسخير^٣.

^١ انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة ٢٣٨/١٣، والراغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٣٨٧.

^٢ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٩٢

^٣ الأزهرى، تهذيب اللغة ١٦٧/٧، والفيومي، المصباح المفير ٢٦٩/١

السلطان

قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن حجة^١، وكذلك ورد عن عكرمة^٢ وسعيد

بن جبير^٣ وأبي المظفر السمعاني^٤ وابن عطية^٥.

ولقد ورد السلطان في القرآن اثنين وثلاثين مرة. و حمل جميع موارد اللفظ في

القرآن على الحجة والبرهان لا يستقيم مع انه ما من آية ذكر فيها السلطان إلا وهناك من
فسرها بالحجة.

ومن الآيات التي يظهر فيها تفسير السلطان بغير معنى الحجة قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِمُشْرِكُونَ﴾ (سورة النحل

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ

وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ﴾ (١٠) سورة إبراهيم وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ

الغَاوِينَ﴾ (٤٢) سورة الحجر

^١ رواه البخاري معلقا كتاب التفسير سورة الإسراء [٥ / ٢٤] وقال ابن حجر في الفتح صحيح الإسناد [٨ / ٢٤٣].

^٢ الطبري، جامع البيان [٩ / ٣٠].

^٣ الفراء، معاني القرآن [٢ / ١٢٥].

^٤ السمعاني، تفسير السمعاني [٢ / ٤٥٥].

^٥ ابن عطية، المحرر الوجيز [١٠ / ٣١٩].

فهي آيات تذكر ان ليس للشيطان على الإنسان سلطان والمعنى اعم من ان يكون

الحجة لان الشيطان سلط على ابن ادم بأمور كثيرة.

وأيضاً آية الرحمن قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ

أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) الرحمن، يصعب حملها على

الحجة. فقد اختلف المفسرون فيها هل هي في الدنيا أم في الآخرة ؟ وعلى انه في الآخرة

الرازي^١ وابن القيم^٢.

واختلفوا في معنى الآية ومعنى السلطان فيها: فقول ابن عباس ان النفوذ من

العلم والسلطان البيئة والمعنى أن استطعتم ان تعلموا ما في السموات وما في الأرض

فاعلموه ولن تعلموه إلا ببينة^٣.

وقال الواحدي ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات

والأرض فاهربوا ولن تستطيعوا إلا بملكي والسلطان القوة^٤.

وقال الزمخشري: ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وملكي فافعلوا ولا تقدر

إلا بقوة وقهر واني لكم ذلك^٥.

والسلطان في اللغة: متعدد المعاني منها القوة والقهر والحجة والبرهان والوالي

سلطان والسلطان من كل شيء شدته وسطوته^١

^١ الفخر الرازي، التفسير الكبير [٩٩ / ٢٩]

^٢ انظر ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١ هـ ، طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق: سيد إبراهيم بن صادق بن عمران دار الحديث القاهرة ١٩٩١ م.

ص ٤٠١.

^٣ الطبري، جامع البيان [٨٠ / ٢٧] والشوكاني، فتح القدير [١٣٦ / ٥].

^٤ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد [٢٢٢ / ٣].

^٥ الزمخشري، الكشاف [٤٣٨ / ٤].

وعليه فان الاستعمال القرآني للفظ هو نفسه الاستعمال اللغوي، ولا زيادة ولا

تقييد في ذلك، فيقال: ليس في اللفظ عُرف قرآني.

ويمكن تقييد ما جاء في هذه الكلية ليصلح ان يقال ان فيها عُرفاً قرآنياً بأن

يقال ان السلطان في حق الأنبياء يأتي في القرآن بمعنى الحجة فقط.

الظلمات والنور:

قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والإيمان،

غير التي في سورة الأنعام: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ الأنعام ١، فالمراد منه الليل

والنهار. ٢ .

ولقد وردت كلمتا الظلمات والنور مجتمعة اثنتي عشر مرة، في إحدى عشرة

آية من القرآن الكريم.

وبعد النظر تبين ان كل ما في القرآن من "الظلمات والنور" مجتمعة كان معناها

الدلالة المعنوية لا الحسية، فالظلمات تشمل الكفر والشك والمشبهات. ويشمل النور نور

الإيمان والعلم واليقين، ماعدا آية الأنعام الأولى، اذ أصبح قولي العلماء فيها أن المراد

الظلمة والضياء، أي المعنى الحسي.

¹ انظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة [٩٥ / ٣] والأزهري، تهذيب اللغة [٣٣٤ / ١٢] والزبيدي، تاج العروس [٣٧١ / ١٩].

² البغوي، معالم التنزيل ٣١٥/١، والفخر الرازي، التفسير الكبير ١٦/٧، - الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ٧٢٥ هـ، لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه: السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ١٩١/١.

ظن

قال مجاهد: كل ظن في القرآن فهو يقين^١

وقال: كل ظن في القرآن فهو علم.^٢

وقال قتادة: ما كان من ظن الآخرة فهو علم.^٣

لقد ورد لفظ ظن وتصريفاته سبعين مرة في القرآن.

قلت: و القول بان كل ظن في القرآن فهو يقين أو علم لا يصح ولا يستقيم

لكثرة الآيات الخارجة عن ذلك.

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ

رَاجِعُونَ﴾ (٤٦) البقرة.

٤٦ وعن مجاهد قال: كل الظن في القرآن فهو يقين ولا يتم هذا في مثل قوله

تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

يونس، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات

(١٢)

وقد ذكر بعض العلماء ضوابط تضبط هذا الأمر:

^١ السيوطي، الدر المنثور [٦٨ / ١] والكفوي، الكليات ص ٥٨٨.

^٢ الطبري، جامع البيان [١٩ / ٢] وابن كثير، تفسير ابن كثير [٨٨ / ١].

^٣ الطبري، جامع البيان [٣٩ / ٢٩] والسيوطي، الدر المنثور [٨٦ / ١].

^٤ الشوكاني، فتح القدير [٢ ، ٣٤٢].

٠١ . المقصود بالظن المتعلق بأمور الآخرة. كما قال قتادة: ما كان من ظن

الآخرة فهو علم.

قلت: هذا يشمل أربع آيات لذا لا يجوز التعميم على أكثر من سبعين موضعاً

ذكر فيه الظن.

٠٢ قال الزركشي في البرهان: (الفرق بينهما في القرآن ضابطان

أحدهما: إنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين وحيث وجد مذموماً

متوعداً عليه بالعقاب فهو الشك.

والثاني: إن كل ظن يتصل بعده أن الخفيفة فهو شك نحو بل ظننتم أن لن ينقلب

الرسول وكل ظن يتصل به أن المشددة فهو يقين، كقوله إني ظننت أني ملاق حسابه

وظن أنه الفراق وقرئ وأيقن أنه الفراق والمعنى في ذلك أن المشددة للتأكيد فدخلت على

اليقين والخفيفة بخلافها فدخلت في الشك ولهذا دخلت الأولى في العلم نحو فاعلم أنه لا إله

إلا الله وعلم أن فيكم ضعفاً

والثانية في الحسبان نحو وحسبوا ألا تكون فتنة)^١

وقال: ذكر ذلك الراغب في تفسيره.

ثم أورد على نفسه استفساراً وهو إن قيل إنه جاء في قوله تعالى: وظنوا أن لا

ملجأ من الله إلا إليه. فقد جاء بعد الظن أن والمقصود بذلك الظن لا اليقين.

فأجاب: بأنها هنا اتصلت بالاسم وهو ملجأ وفي الأمثلة السابقة اتصلت بالفعل

ذكره في البرهان قال فتمسك بهذا الضابط فهو من أسرار القرآن).

^١ الزركشي، البرهان [١٧٩ / ٤] ونقله السيوطي في الإتيان [٣٤٦ / ١]. وأورده الكفوي في الكليات عن الزركشي ص ٥٨٨.

قلت: وهذا لا يصلح ان يكون قاعدة ظاهرة والصواب ما قال ابن الأنباري: (

قال ثعلب: (العرب تجعل الظن علما وشكا وكذبا فإن قامت براهين العلم فكانت أكبر من

براهين الشك فالظن يقين وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك وإن زادت

براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب، قال الله تعالى: (إن هم إلا يظنون) أراد

يكنذبون)^١.

وعليه فليس في هذه المادة عُرف قراني.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

و قوله تعالى: ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَتَسْمَعْهُنَّ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ إِنَّهَا مِنِّي قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِّن قَبْلُ وَتَوَكَّلُوا

وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠]، يبين السياق أنهم فرحون بسلامتهم وبمصيبة المسلمين.

والخلاصة: أن الفرح بذاته لا يتوجه له مدح ولا ذم وإنما يكون هذا بالنظر

إلى متعلّقه، فتارة يكون الفرح محموداً وتارة أخرى يكون الفرح مذموماً.

^١ ابن الأنباري، محمد بن القاسم ٣٢٧ هـ ، الأضداد ، تحقيق: محمّل أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،

صيدا بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م. ص ١٤.

الفحشاء:

قال الكلبي، ومقاتل: كل (الفحشاء) في القرآن الزنا إلا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ

يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦٨) البقرة، فإن

المراد البخل في أداء الزكاة^١.

ولقد وردت لفظة "الفحشاء" سبع مرات في القرآن.

قال ابن القيم عن الفحشاء: وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء، وهي: ما

ظهر قبحها لكل أحد، واستفحشه كل ذي عقل سليم، ولهذا فسرت بالزنا واللواط، وسماها

الله فاحشاً، لتتأهي قبحهما ، وكذلك القبيح من القول يسمى فاحشاً^٢.

وفي اللغة: كل شيء جاوز حده فهو فاحش، ويسمى الزنا فاحشة، وغلب إطلاق

الفاحشة والفحشاء على الأفعال الشديدة القبح التي تنفر الفطر السليمة عنها كالزنا وواد

البنات. وقيل: بل كل أمر لا يكون موافقاً للحق والقدر فهو فاحشة، والفاحش البخيل،

وهذا على الاتساع، والبخل أقبح خصال المرء.

فهذه الكلية غير منضبطة في كل مواردها، ولذا فهي تخرج عن مفهوم الكلية

إلى كونها من نوع الوجوه النظائر. إذن ليست عُرُفا قرآنيا

الفرح:

قال الألويسي: (وأكثر ما ورد الفرح في القرآن للزم فإذا قصد المدح قيد كقوله

سبحانه: فرحين بما آتاهم الله من فضله) ١

^١ البغوي، معالم التنزيل ٣٣٣/١، ابن القيم ٧٥١ هـ ، إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان: تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد حامد الققي، دار المعرفة ببيروت لبنان. ١٠٧/١.

^٢ ابن القيم، مدارج السالكين ٣٧٧/١

وقال الثعالبي: (والسيئات هنا كل ما يسوء في الدنيا والفرح هنا مطلق فلذلك

ذم. إذ الفرح انهماك النفس ولا يأتي الفرح في القرآن ممدوحا إلا إذا قيد بأنه في خير)^٢

وقال ابن القيم: (وقد جاء الفرح في القرآن على نوعين مطلق ومقيد فالمطلق

جاء في الذم والمقيد نوعان أيضا مقيد بالدنيا ينسي صاحبه فضل الله ومثله فهو مذموم ،

والثاني مقيد بفضل الله وبرحمته وهو نوعان أيضا فضل ورحمة بالسبب وفضل

بالمسبب)^٣

والقرآن الكريم يتضمن اثنتين وعشرين آية عرضت للفرح صراحة،

بالإضافة إلى آيات أخر.

والفرح في اللغة من كلمات الأضداد، قال ابن فارس عن هذه اللفظة ان لها

أصلين، أحدهما: المعنى المتبادر، وهو ما كان ضد الحزن، والثاني: المَفْرَح بسكون الفاء

وفتح الراء، بمعنى المثقل بالدين^٤

وجاء في القاموس المحيط^٥: (المفْرَح - بفتح الراء - المحتاج المغلوب

الفقير، الذي لا يعرف له نسب ولا ولاء، والقتيل يوجد بين الفريقين)

وخلص الراغب من هذا فقال: (فكأن الإفراح يستعمل في جلب الفرح،

وإزالة الفرح)^٦

وقال القرطبي: قولهم: "أفرحتني الدنيا ثم أفرحتني أي: سررتني ثم أحزنتني" (^١

1 الأوسي، روح المعاني،

2 الثعالبي، تفسير الثعالبي، ١٩٨ / ٢

3 ابن القيم، بدائع الفوائد ١ / ٤٣.

4 ابن فارس معجم مقاييس اللغة [٤، / ٥٠٠] .

5 الفيروزآبادي، القاموس المحيط [٣ / ٤٦٢]

6 للراغب المفردات [١٧، / ٢٢٨].

والفرح يُمدح ويُذم بحسب تعلقه، وفي سبيل تمييز الممدوح منسه والمذموم
نظر بعض المفسرين إلى الفرح في ضوء وروده مقيداً أو مطلقاً في القرآن الكريم. فإذا
جاء الفرح مطلقاً فهو مذموم كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. وهذا ملحظ الألوسي.

والذي أراه أن هذا محل نظر، وليس بمطرد، فقد جاء الفرح مقيداً في مقام الذم
كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]،
وقوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

أما قول الثعالبي وأضيف إليه قول ابن عطية حين قال "ولا يأتي الفرح في
القرآن ممدوحاً، إلا إذا قيد أنه في الخير"،^١

فهو قيد أدق مما قال الألوسي، فهؤلاء قيدوا التقيد الذي أطلقه الألوسي ؛
فجعلوا الفرح الممدوح ما قيد بالخير، فيكون المذموم ما قيد بنقيضه أو ترك.

وقد سار سيرهم ابن القيم وزاد تفصيلاً حين جعل الفرح المقيد نوعين: مقيد في
الدنيا يُنسي صاحبه فضل الله ومنته، ومثل له بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾
[الأنعام: ٤٤]، والثاني مقيد بفضل الله ورحمته ومثل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ
وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨].

وهذا الكلام رغم دقته فلا يسلم لهم به، وبيان ذلك كالآتي:

^١ القرطبي، الجامع لاحتمال القرآن [٤ / ١٧٨]

^٢ ابن عطية، الوجيز [٧ / ٢٨٤]

أولاً: الآيات التي ورد فيها ذكر الفرح في القرآن الكريم اثنتان وعشرون آية، مقيدة صراحةً بذكر المتعلق، سواء أكانت في الفرح الم محمود أو المذموم.

ثانياً: أما الآيات غير المقيدة فيبدو أنها مطلقة، ولكن سياقها يقيدتها، ففي

قوله تعالى حكاية عن قوم قارون: ﴿لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] هذا الإطلاق مقيد بالفرح في زخارف الدنيا، والسياق يوضحه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ

فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] ظاهره مطلق، وحقيقة الأمر أنه مقيد بالفرح بالنعمة، وعدم شكرها.

يقدر

قال ابن زيد: كل شيء في القرآن (يقدر) فمعناه (يقول) ^١

وقال مقاتل: كل شيء في القرآن: ﴿يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يعني يوسع

الرزق لمن يشاء، ويقتر على من يشاء ^٢.

والظاهر من إطلاق أهل العلم أن ما ذكره يختص بلفظ الغيبة (يقدر) وإلا فقد

ورد (نقدر) بالنون في قوله تعالى: ﴿فَظُنُّوا أَنَّ لَنُتَقَدَّرَ عَلَيْهِ﴾ الأنبياء ٨٧ بمعنى

التضييق لا التقليل.

و كلمة (يقدر) جاءت في القرآن اثنتي عشرة مرة.

وبعد النظر في ما قالوا تبين أنها أغلبية الحكم.

^١ ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم [٢٣٢٨/٧]، وانظر: السيوطي، الدر المنثور [١٧٩/٤]

^٢ الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ٤٥.

فقداء جاءت (يقدر) في كل القرآن على معنى التضيق والتقييد. إلا في آيتي

النحل قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ

يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وآية البلد قوله تعالى:

﴿ اِنْحَسِبْ أَنَّ لَكَ يَدْرَعَلَيْهِ اَحَدٌ ﴾ (٥) ، فان القدرة على بابها من معنى: الاستطاعة

والمقدرة على الشيء.

وإذا أمعنا النظر تبين ان استعمال اللفظ في القرآن هو على الاستعمال اللغوي،

ففي اللغة: القدر محركة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء، وجمعه أقدار، وقدر الله وقدره

بمعنى، يقال: قدر الله عليه ويقدره قدر وقدرًا. وقدر الرزق: قسمه، والقدر الغنى واليسار

والقوة. وقدرت الشيء هيئته، والاقتدار على الشيء القدرة عليه، والقدر التضيق،

وقدرت عليه الشيء: ضيقته كأنما جعلته بقدر، بخلاف ما وصف بغير حساب، وقدر

على الإنسان رزقه قدرًا: قتر وضيق، وقياسه أنه أعطى ذلك بقدر يسير^١.

المطلب الثالث: تعميمات ظاهرها العرف القرآني ولم تحقق شرط

الاطراد أو الغالبية.

ومن أمثلة ما ورد من تعميمات العلماء التي يوهم ظاهرها بالعرف القرآني و

يكون اللفظ فيها واردا في القرآن لمرة أو مرتين ما يلي:

^١ الأزهرى، تهذيب اللغة [٢١/٩] والجواهرى، الصحاح [٧٨٦/٢].

بساطا

قال مقاتل: كل شيء في القرآن (بساطا) يعني فراشا.^١

قلت: وقد أتت في قوله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا) (١٩) نوح

رحيق

قال مقاتل: كل شيء في القرآن (رحيق) يعني الخمر.^٢

قلت: وهذه اللفظة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في قوله تعالى: (يُسْقَوْنَ مِنْ

رَحِيقٍ مَخْتُمٍ) (٢٥) المطففين.

الريحان

قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق^٣، وكذلك عن مجاهد^٤، وقد

ورد عن ابن زيد والحسن هو كل مشموم طيب الريح من النبات هو هذا أي الريحان

المعروف^٥.

قلت: ورد في قوله تعالى: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) (١٢) سورة الرحمن.

و قوله تعالى: (رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ) (٨٩) سورة الواقعة.

^١ المصدر نفسه ص ٨٦.

^٢ الماطي، التنبيه والرد ص ٩٠.

^٣ الطبري، جامع البيان [٧١ / ٢٧] وابن حجر العسقلاني، تعليق التعليق على صحيح البخاري [٢٩٣ / ٤]

والبغوي، معالم التنزيل [٤٤٣ / ٧] والكفوي، الكليات ص ٤٦٦.

^٤ الألويسي، روح المعاني [١٠٣ / ٢٧].

^٥ الألويسي، روح المعاني [١٠٣ / ٢٧].

وكون اللفظ لم يرد في القرآن إلا مرتان وحملت عند المفسرين على الوجوه اللغوية على الرزق وعلى النبات فكل منهما وارد في اللغة^١، فلا يقال ان فيها عُرُفا قرآنيا.

السياحة

السياحة في اللغة لها معان متعددة منها^٢: سَاحَ الماء أي جرى على وجه الأرض، وأيضاً استمرار الشيء وذهابه. ومنها الذهاب في الأرض للتنزه. و المِسْنِيحُ بالكسر الذي يسيح في الأرض بالنميمة والشر.^٣ وعن سفيان بن عيينة قال: إنما سمي الصائم السائح لأنه تارك للذات الدنيا كلها من المطعم والمشرب والمنكح فهو تارك للدنيا بمنزلة السائح^٤.

غلب في القرآن استعمال هذا اللفظ في الصيام.

أما عن الاستعمال القرآني فقد قال ابن عباس: (كل ما ذكر الله في القرآن من السياحة فهم الصائمون)^٥ وكذلك قال الضحاك.^٦

جاء هذا اللفظ في القرآن مرتين مرة بصيغة المذكر

^١ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة [٤٥٤ / ٢] و الفيروزآبادي، القاموس المحيط [٢٨٢ / ١].

^٢ انظر الفراء، معاني القرآن. [١٦٧ / ٣]، والأزهري، تهذيب اللغة [١٦٧ / ٥] والجوهري، الصحاح [٣٧٧ / ١].

^٣ الرازي، مختار الصحاح [٣٢٦ / ١].

^٤ الطبري، جامع البيان [٥٠٤ / ١٤] والسيوطي، الدر المنثور [٢٨ / ٣].

^٥ أخرجه الطبري، جامع البيان، عن ابن عباس [٥٠٤ / ١٤] برقم ١٧٣٠١ والسيوطي، الدر المنثور [٣ / ٢٨].

^٦ أخرجه الطبري، جامع البيان، عن الضحاك [٥٠٥ / ١٤] برقم ١٧٣٠٦.

(السائحون) في قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة

التوبة الآية ١١٢، ومرة بصيغة التأنيث (السائحات) في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ

طَلَقَكُن أَنْ يُدْبِلَ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِلَاتٍ تَابِعَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ

وَأَبْكَارًا ﴾ سورة التحريم الآية ٥.

أما تفسير الموضعين بالصيام فهو قول الجماهير^١:

وجاء عن السلف انه: قيام الليل وصيام النهار. والهجرة والجهاد. وطلبة العلم.

^٢ وهو اختيار ابن عاشور^٣ - وقال ابن القيم: سياحة القلب في ذكر الله ومحبه والشوق

إلى لقائه^٤. وقال السعدي: عموم السفر في القربات كالحج وصلة الأرحام وغيرها^٥، و

قول القاسمي^٦ ورشيد رضا انه مطلق السفر للاطلاع على أحوال الأمم الماضية. وضعف

رشيد رضا قول الجماهير^٧.

قلت: الراجح قول الجماهير انه الصيام ويؤيد هذا اقتران السياحة في القرآن

بالطاعات والقربات والعطاء الجزيل يرجح الصيام

^١ انظر الطبري، جامع البيان [٤٢ / ٦] والبغوي، معالم التنزيل [٦٨ / ٨].

^٢ انظر الطبري، جامع البيان [٤٢ / ٦]

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير [٣٦١ / ٢٨].

^٤ ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٨٣.

^٥ السعدي، عبد الرحمن ١٣٧٦ هـ، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، طبعة الرئاسة العامة

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة ١٤٠٤ هـ [٣٠٤ / ٣].

^٦ القاسمي، محاسن التأويل [٦٦ / ١٦].

^٧ رشيد رضا، تفسير المنار، [٥٢ / ١١].

والخلاصة: ان القرآن يريد بهذا اللفظ معنى اخص من المعاني اللغوية وهو الصيام. ولكن لا يجوز ان يقال ان في هذا اللفظ عُرِف قرآني بل القرآن لأنه ورد في القرآن مرتين فقط وقد استعمل القرآن للموضعين احد المعاني اللغوية للفظ.

مانعا

قال مقاتلا: كل شيء في القرآن (مانعا) يعني عاصما. ^١

قلت: ورد في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُوا أَنَّهم مَانِعُهُمْ حصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) (٢) سورة الحشر.

يعمل على شاكلته

قال مقاتل: كل شيء في القرآن (يعمل على شاكلته) يعني على جديله. ^٢

قلت: ورد في قوله تعالى: (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا)

(٨٤) الإسراء

^١ المصدر نفسه ص ٨٩

^٢ المصدر نفسه ص ٨٧.

الفصل الثاني :

عُرف القرآن الكريم في استعمال الأساليب

المبحث الأول: عُرف القرآن الكريم في تقديم الألفاظ وتأخيرها.

المبحث الثاني: عُرف القرآن الكريم في جمع الألفاظ وإفرادها.

المبحث الثالث: عُرف القرآن في اقتران الألفاظ

المبحث الرابع: عُرف القرآن الكريم في تذكير الألفاظ وتأنيثها.

المبحث الخامس: عُرف القرآن الكريم في العطف.

المبحث السادس: عُرف القرآن الكريم في الإيجاز

المبحث السابع: عُرف القرآن الكريم في الإطناب.

المبحث الثامن: عُرف القرآن الكريم في استعمال الأفعال والأسماء.

المبحث التاسع: عُرف القرآن الكريم في أسلوب الوعظ.

المبحث العاشر: عُرف القرآن الكريم في تناول القصص.

المبحث الحادي عشر: عُرف القرآن الكريم في عرض الأحكام الفقهية

المبحث الثاني عشر: عُرف القرآن الكريم في تناول العلوم الكونية.

المبحث الثالث عشر: عُرف القرآن الكريم في الجدل والمناظرة وطرق

الاستدلال.

المبحث الرابع عشر: عُرف القرآن الكريم في أساليب الخطاب

المبحث الخامس عشر: عادات قرآنية متفرقة

المبحث الأول:

عُرف القرآن الكريم في تقديم وتأخير الألفاظ..

من عادات القرآن الكريم الظاهرة في أسلوبه عاداته في تقديم الألفاظ وتأخيرها، فالقرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بدقة عجيبة.

تقديم الألفاظ وتأخيرها من أساليب البلاغة الدالة على التمكن من الفصاحة، ولها في القلب حلاوة لا تخفى، كما انه لا يخلو تتبع ذلك في القرآن الكريم من فوائد وحكم. وإننا لا نجد لفظاً في البيان القرآني يتقدم أو يتأخر إلا لغرض ومقصد، فالألفاظ في مكانها اللائق، بحيث لو أجري تبديل على أمكنتها لاختل النظام، ولما عاد له ذلك الرونق الذي كان له من قبل.

والتقديم والتأخير في القرآن له صورتان الأولى: ان يأتي التقديم والتأخير حسب السياق والمقام فيقدم اللفظ في مكان ويؤخره في مكان آخر فنراه يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضي السياق. وهذه الصورة ليس من غرض البحث بيانها ولا استقصاؤها وإنما غرضي في الصورة الثانية من التقديم والتأخير وهي ما تمثل خطوطاً عامة يصلح ان تكون عادات قرآنية.

ومن أمثلة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ما يلي:

أولاً: يقدم القرآن الكريم الألفاظ ويؤخرها حسب القدم والأولية في الوجود، فيرتب

الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا

نحو قوله تعالى (لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) (٢٥٥) البقرة، لأن السنة وهي النعاس تسبق

النوم فبدأ بالسنة ثم النوم. ١

ومن ذلك تقديم عاد على ثمود قال تعالى: (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ

(٣٨) العنكبوت، فإن عاداً أسبق من ثمود.. ٢

و من ذلك تقديم الليل على النهار قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (٣٣) الأنبياء، وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ البقرة ١٦٤ وقوله تعالى: ﴿تَوَلَّجَ

الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير

حساب﴾ آل عمران ٢٧. وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار

آيات لأولي الأبصار﴾ آل عمران ١٩٠ وقوله تعالى: ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ، وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى

الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ الزمر / ٥. فقدم الليل لأنه أسبق من

النهار.

^١ انظر الزركشي البرهان ٧٨.

^٢ السيوطي، الإتقان ١٥ / ٢

وخالف القرآن هذه العادة في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ

سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ سورة يس.

قال الزركشي مجيباً على ذلك: (استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في

قواعده بالإجماع على سبق الليلة على اليوم وأجاب بأن المعنى: تدرك القمر في سلطانه

وهو الليل أي لا تجيء الشمس في أثناء الليل فقوله بعده: ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ﴾ أي لا يأتي في بعض سلطان الشمس وهو النهار وبين الجملتين مقابلة)^١.

وأيضاً خالف القرآن في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ (٦)﴾ سورة الحديد .

قال الزركشي مجيباً: (المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء

مقداراً من النهار ومن النهار في الصيف مقداراً من الليل وتقدير الكلام: يولج بعض

مقدار الليل في النهار وبعض مقدار النهار في الليل وعلى غير المشهور يجعل الليل في

المكان الذي كان فيه النهار ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل والتقدير: يولج

الليل في مكان النهار ويولج النهار في مكان الليل)^٢.

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٢٤١.

ومن ذلك تقديم المشرق على المغرب سواء كانت الألفاظ مفردة أو مثناه أو

مجموعة. ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) ﴾ {الرحمن، وقوله تعالى

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف / ١٣٧

ومن ذلك الظلمات مقدمة على النور في جميع المواضع القرآنية التي ذكرتهما.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ الأنعام ^١ وذلك لأن الظلمة قبل النور. يقول محمد رشيد رضا

مبيناً سبب هذا التقديم: (وقدمت الظلمات في الذكر على النور لأن جنسها مقدم في

الوجود فقد وجدت مادة الكون وكانت دخاناً أو سديماً كما يقول علماء الفلك _ ثم تكونت

الشمس بما حدث فيها من اشتعال. .. وسبق الظلمات المعنوية للنور المعنوي أظهر، فإن

نور العلم كسبي في البشر. .. وظلمات الجهل والأهواء سابقة على هذا النور، فالرسول

لا يولد رسولاً وإنما يؤتى الرسالة إذا بلغ أشده وأستوي، والعالم لا يولد عالماً ولا

الفاضل فاضلاً) ^١

ومن ذلك تقديم السموات على الأرض حيث إن الغالب تقديم السموات

على الأرض إذا وردا في سياق واحد. والسبب في ذلك للأسبقية في الخلق.

وقد خالف القرآن هذه العادة في مواضع منها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ

مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١) ﴾ يونس، و

^١ رضا، تفسير المنار ٢٩٤/٧

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾ إبراهيم. وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ الزمر، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم ٣٨ قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس ٦١.

وقد قالوا في سبب ذلك: انه مراعاة للفاصلة القرآنية. ويقول أبو السعود: تقديم الأرض على السماء للالتفات^١ وفي تفسير ابن عاشور نجد توضيحاً أوسع حيث يقول: وابتدئ في الذكر بالأرض ليتسنى التدرج في العطف إلى الأبعد في الحكم، لأن أشياء الأرض يعلم كثيراً منها كثير من الناس، وأما أشياء السماء فلا يعلم أحد بعضها فضلاً عن علم جميعها.^٢

قال الزمخشري: (فإن قلت: لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة سبأ ٣، قلت: حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض، وأحوالهم

^١ أبو السعود، إرشاد العقل السليم ١٣/٥

^٢ ابن عاشور، التحرير والتلويز، ١٥١/٣

وأعمالهم ووصل بذلك قوله (لا يعزب عنه) لاعم ذلك أن قدم السماء على أن العطف
بالواو حكمه عدم التثنية)^١.

ومنه تقديم الموت على الحياة كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾

الملك/٢. وفي الحكاية عن منكر البعث قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا

نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧) ﴿المؤمنون. و قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) ﴿النجم.

وقد خالف القرآن في هذه العادة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ

وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥) ﴿الأعراف.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) سورة

الأنعام. فهاتان الآيتان خالفتا العادة في تقديم الموت على الحياة.

وجواب ذلك: ان الكلام في هاتين الآيتين إنما هو عن الحياة الدنيا لا على عموم

الزمان، فأدم وحواء حياتهما في الدنيا سبقت الموت. أما قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام، فالآية تتكلم عن عمل ابن آدم والعمل كان بعد الحياة^٢.

^١ الزمخشري، الكشاف، ٢/٢٤٣

^٢ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

ومن ذلك تقديم التَّوراة على الإنجيل وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ

(٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) ﴾ آل عمران. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾. الأعراف / ١٥٧.

والسبب لسبق نزول التَّوراة.

ومن ذلك تقديم الركوع على السجود وذلك كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا

وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾ {الحج، وقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ {الفتح / ٢٩.

والسبب ان واجب الركوع يسبق واجب السجود.

ولقد خالف القرآن هذه العادة في قوله تعالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾ آل عمران.

وأجاب الزركشي عن ذلك بقوله: (يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل

الركوع. ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية. وقيل: المراد

بـ"اركعي" اشكري. وقيل: أراد بـ"اسجدي" صلي وحدك. وبـ"اركعي" صلي في جماعة،

ولذلك قال: {مَعَ الرَّاكِعِينَ})^١.

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

ومن ذلك تقديم العزيز على الحكيم حيث ورد في القرآن الكريم (وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ) (١) الحشر، لأنه عزّ فحكم. ^١

ومنه تقديم القوة على العزة لأنه قوي فعزّ أي غلب بالقوة فالقوة أول قال

تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) و (٧٠) الحج) وقال: (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) الأحزاب).

ومنه تقديم الملائكة على البشر كقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)﴾ سورة الحج، قال الزركشي: (فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر

وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود). ^٢

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)

سورة البقرة،. حسب وجودهم في الزمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجُكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِضْنَ فَلَا بُدَّ لِلَّذِينَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)﴾ سورة الأحزاب، فإين الأزواج أسبق

بالزمان لأن البنات أفضل منهن لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك تقديم الأعداد السابقة على اللاحقة كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

^١ السيوطي، الإتقان ١٤/٢

^٢ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

(١) ﴿سورة فاطر،. ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ

مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) سورة

النساء، ونحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا

هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) سورة المجادلة، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ

وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ

فَلَا تُحَاسِبْنَاهُمْ إِلَّا مَرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) سورة الكهف، وكذلك جميع الأعداد

كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات.

وخالف القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ

تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) سورة سباء، فوجه تقديم

المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة لله وترك الهوى مجتمعين متساويين أو

منفردين متفكرين ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها. ١

ثانياً: وقد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف.

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

ومنه تقديم الله سبحانه في الذكر كقوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) النساء).

فقدّم القرآن لفظ الجلالة على الرسول وباقي المؤمنين. وكذلك بقية ترتيب المؤمنين حسب الفضل.

ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) الأحزاب) فبدأ بالرسول لأنه أفضلهم.

ومن ذلك تقديم الصلاة على الزكاة قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فبدأ

بالصلاة لأنها أهم وأعلى فضلاً.

ومن ذلك تقديم الذكورة على الأنوثة: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾،

[الحجرات] 13: ، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾، [القيامة: ٣٩]،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَ

الصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَ

الصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عظيماً ﴿ الآية (٣٥) الأحزاب، وذلك لشرف الذكورة.

وقد خالف القرآن في هذه العادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ (٤٩) أَوْ يَزْوَجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنِاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ

عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴿ الشورى.

قال الزركشي: (لجبرهن إذ هن موضع الانكسار ولهذا جبر الذكور بالتعريف

للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم . ويحتمل أن تقديم الإناث لأن المقصود بيان أن

الخلق كله بمشيئة الله تعالى لا على وفق غرض العباد)^١.

وبيانه: انه تعالى قدم الإناث؛ لأن سياق الكلام أنه تعالى فاعل ما يشاء، لا ما يشاؤه

الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه كثير من المخاطبين أهم، والأهم

واجب التقديم، وآخر الذكور، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير،

على المعهود من أسلوب القرآن الكريم.

ومنه تقديم المؤمنين على الكفار في كل موضع ذكرا في القرآن. وكذلك تقديم

أصحاب اليمين على أصحاب الشمال.

ومن ذلك تقديم إسماعيل على إسحاق عليهما الصلاة والسلام لأن إسماعيل

عليه السلام أشرف بكون النبي من ولده وأسن. وأيضا تقديم موسى على هارون في كثير

من مواضع القرآن وذلك لاصطفاء موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام

و خالف القرآن فقدم هارون عليه السلام عليه في سورة طه قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ

السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (٧٠) وذلك رعاية للفاصلة.

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

ومن ذلك تقديم الإنس على الجن كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩) الرحمن، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ (٥٦) الرحمن

، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنْتُ أَنْ لَنْ يَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥) الجن. وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ

﴿٢٧﴾ الحجر.

وقد خالف القرآن هذه العادة في موضعين في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ الرحمن / ٣٣. وفي قوله تعالى:

﴿وَحَشِرْ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) النمل، وذلك لأن الآيتين

تتكلمان عن قدرة الإنس والجن ولا شك ان قوة الجن اكبر .

ومن ذلك تقديم المهاجرين على الأنصار كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى

النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ التوبة / ١١٧. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ

الأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة / ١٠٠ ،

والسبب في ذلك فضيلة الهجرة .

ومن ذلك تقديم الرسالة على النبوة كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا

نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَمَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ الحج / ٥٢. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الأنعام / ١٥٧. وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي

الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٥١) مريم وذلك لشرف الرسالة على النبوة .

ومنه تقديم السمع على البصر ، فحيث يذكر القرآن السمع يقدمه غالباً على

البصر، ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ ﴾ يونس ٣١ وقوله تعالى: ﴿ إِنْ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْدهُ مَسْئُولًا ﴾

الإسراء ٣٦، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا ﴾ (٢) الإنسان) فقدم السمع على البصر.

وفي سبب هذا التقديم: قال أبو السعود: (وتقدم السمع على الأبصار انسب

بالمقام، وقالوا: السمع أفضل من البصر، وحيث ذكرهما قدم السمع على البصر، لأن

السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا أصم، ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل

بالمعارف).^١

^١ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣٨/١

وقد خالف القرآن هذه العادة، فقد جاء (البصر) مقدماً على السمع مرة واحدة،

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١٢). السجدة

أما عن السبب فيقول الزمخشري: (ان هذا مشهد من مشاهد الآخرة حيث

يستغيث من استحقوا العذاب بقولهم: ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي أبصرنا صدق وعدك

ووعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك، أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا)^١

وجوز أبو السعود: أي أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة، وسمعنا

أن مردنا إلى النار ، وهو الأنسب لما بعده من الموعد بالعمل الصالح.

٠٨ ومنه تقديم اسم الله في الأمور ذات الشأن و منه قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) آل عمران. و كقوله

تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ

السَّبِيلِ { الأنفال / ٤١.

قال السيوطي ذاكرا عادة القرآن: (تقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن)

وإنما قدم اسم الله في هذه المواضع للتبرك باسمه الأعظم، فإن الله تعالى في الآية

الثانية مثلاً هو الغنى فلا يأخذ شيئاً من الغنيمة إنما ذكر اسمه تبارك و تعالى أولاً

للتبرك.

^١ الزمخشري، الكشاف ٤٢/٣

ثالثاً: وقد يكون التقديم بحسب الرتبة.

وذلك كقوله تعالى (فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ

مُهِنٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) القلم، فبدأ بالهمّاز وهو العيَاب وذلك

لا يفتقر إلى مشي بخلاف النميمة فإنها نقل للحديث من مكان إلى مكان فهي مرتبة أبعد في الإيذاء ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو أنه يمنع الخير. ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها وهو الاعتداء ثم ختمها بقوله أثيم وهو وصف جامع لأنواع الشرور. ١.

ومنه تقدّم السمع على العلم حيث وقع في القرآن الكريم كقوله تعالى (وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) البقرة، وقوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) الأنفال، فهو تخويف

بدأ بالسمع فإن من سمع صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم وإن كان علمه تعالى متعلقاً بما ظهر وبطن. ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العلیم فهو أولى بالتقديم.

ومنه تقديم المغفرة على الرحمة نحو قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) البقرة،

في آيات كثيرة وقوله تعالى: (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) النساء، قالوا: وسبب تقديم

الغفور على الرحيم أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

^١ انظر ابن القيم بدائع الفوائد ٢ / ٧٦..

وإنما تأخرت في سورة سبأ في قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَلَّغَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ

السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) (٢)، فالرحمة شملتهم جميعاً والمغفرة تخص بعضاً.

والعموم قبل الخصوص بالرتبة^١.

رابعاً: التقديم بحسب التدرج:

ويكون من الكثرة إلى القلة وعكسه، ومن الأعلى إلى الأدنى وعكسه، وغير

ذلك مما يصلح أن يكون متدرجاً.

ومن أمثلة التدرج من القلة إلى الكثرة قوله تعالى: (أَنْ طَهَّرَ آيَاتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١٢٥) البقرة، فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى

الكثرة. فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة. والعكوف يكون

في المساجد عموماً والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل

أرض طاهرة أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد. والراكعون أقل من الساجدين وذلك

لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس فيه ركوع

كسجود التلاوة وسجود الشكر فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة. ولهذا التدرج سبباً

اقتضاه المقام فأن الكلام على بيت الله الحرام.^٢

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

^٢ انظر فاضل السامرائي لمسات بيانية ص ٣٤.

ونحوه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ٧٧) الحج، فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات ثم السجود وهو أكثر ثم عبادة الرب وهي أعم ثم فعل الخير.

وقد يكون الكلام بالعكس فيتدرج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله تعالى: (يَا

مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ٤٣) آل عمران، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أخص وأقل ثم الركوع وهو أقل وأخص.

ومنه قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢) التغابن، فبدأ بالكفار لأنهم أكثر.

ونحوه قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٣٢) فاطر، فقدم الظالم لكثرة ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله ثم السابقين وهم أقل.

ومن هذا النوع من التقديم قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٣٨)

المائدة، قدم السارق على السارقة لأن السرقة في الذكور أكثر.

ومنه قوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ٢) النور، وقدم

الزانية على الزاني لأن الزنى فيهن أكثر.

خامسا: قد يكون التقديم لتقدم السبب.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة / ٤، قدمت العبادة لأنها سبب

حصول الإعانة.^١

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢) البقرة، فإن التوبة

سبب الطهارة.

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٧) الجاثية، لأن الإفك سبب الإثم.

وقوله تعالى: ﴿لَا وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ (١٢) المطففين.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨)

لنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامَ كَثِيرًا﴾ (٤٩) الفرقان، قدم إحياء الأرض لأنه

سبب إحياء الأنعام والأناسي و قدم إحياء الأنعام لأنه مما يحيا به الناس بأكل لحومها

وشرب ألبانها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥)

التغابن، قدم الأموال من باب تقديم السبب فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على

مؤنثته فهو سبب.

^١ هذا المثال وما بعده في خامسا نظرها عند الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٤١.

المبحث الثاني:

عُرف القرآن الكريم في جمع الألفاظ وإفرادها .

الإفراد والجمع في الألفاظ عادة ظاهرة القرآن الكريم، فقد جرت عادته باستعمال ألفاظ مجموعة ولم ترد مفردة، وألفاظ اقترنت بألفاظ أحدهما مفردة والأخرى مجموعة. ولقد جاءت هذه الصور بكثرة تلفت النظر، وفيما يلي البيان.

أولاً: ألفاظ شاع استعمالها مفردة أو مجموعة.

لقد قمت باستقراء ألفاظ كثيرة، ووجدت ذلك في عادة القرآن، ومن أمثلة

ذلك:

- ١ . لم يرد في القرآن الكأس إلا مفرداً ولم يجمع قط.
- ٢ . أفراد ارض: وردت في القرآن ارض بصيغة الإفراد عدة مئات من المرات ولم يرد فيه بصيغة الجمع أبداً.
- ٣ . جمع الأصابع: لم يرد في القرآن بصيغة الإفراد إصبع، وورد في الجمع مرتين.
- ٤ . أفراد آمين: ورد في القرآن آمين بالإفراد أربع عشرة مرة ولم يرد أمناء بصيغة الجمع أبداً.
- ٥ . أفراد ابن آدم: ورد في القرآن بني آدم سبع مرات ولم يرد فيه ابن آدم
- ٦ . أفراد بهيمة: ورد في القرآن بهيمة بالإفراد ثلاث مرات ولم يرد بهائم.
- ٧ . جمع ثياب: ورد في القرآن ثياب بالجمع ثمان مرات ولم يرد ثوب

- ٠٨ أفراد خلق بضم الخاء: ورد في القرآن خلق بالإفراد مرتين ولم يرد أخلاق.
- ٠٩ ورد الجمع حرمان مرتين ولم يرد حرمة بالإفراد.
- ٠١٠ ورد في القرآن حق بالإفراد كثير جدا ولم يرد حقوق ولو مرة.
- ٠١١ ورد روح بالإفراد ولم يرد أرواح.
- ٠١٢ ورد صف بالإفراد سبع مرات ولم يرد صفوف.
- ٠١٣ ورد رزق أكثر من سبعين مرة ولم يرد أرزاق ولا مرة.
- ٠١٤ ورد صبيان مرتان ولم يرد صبي بالإفراد.
- ٠١٥ ورد قوم بالإفراد بضع مئات ولم يرد أقوام.
- ٠١٦ ورد فتنة بالإفراد ثلاثين مرة ولم يرد فتن بالجمع ولا مرة.
- ٠١٧ الأكواب: لم يستعمل القرآن هذه الكلمة في صيغة المفرد، فإذا أراد القرآن ان يستعمل المفرد استعمل مرادفها ، وهو (القلب).
- ٠١٨ الأكواب: استعملها القرآن مجموعة ولم تأت مفردة.
- ٠١٩ العام: المفردات الزمنية الواردة في الكتاب العزيز جاءت مفردة وجمعاً (مثل: يوم - أيام. شهر - شهور - أشهر. سنة - سنين. في حين أن لم ترد لفظة (عام) جمعاً في القرآن الكريم
- ٠٢٠ الأصنام والأوثان: فكلما صنم لا ترد في القرآن إلا على صيغة الجمع، وقد ذكر القرآن الأوثان أيضاً على صيغة الجمع ولم ترد مفردة.

ثانياً: ألفاظ شاع في القرآن استعمالها مجموعة وقرينها مفرد.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١٠ (السموات والأرض)

لفظة السماء ترد مجموعة في آيات كثيرة، على حين ترد الأرض مفردة، مع

أنها تنتظم وإياها في سياق واحد.

قال تعالى: ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع

السموات والأرض إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ البقرة ١١٦-١١٧

وقال تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار

يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ما خلقت هذه باطلاً

سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ آل عمران ١٩٠-١٩١

وقال تعالى: ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في

زجاجة ﴾ النور ٣٥.

وقال تعالى: ﴿ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم

يتقون ﴾ يونس ٦

قال أبو السعود: (السموات: جمع السماء، وكل سقف سماء، غير أنه إذا أطلق

لم يفهم منه غير السموات السبع وإنما جمعت السموات ووحدت (الأرض) لأنه لما ذكر

السماء بأنها سبع في قوله: ﴿فسواهن سبع سموات﴾ البقرة ٢٩. وقوله تعالى: ﴿خلق

سبع سموات﴾ الملك ٣ والطلاق ١٢. وجمع لثلاث يومهم التوحيد معنى الواحدة من هذا

السبع، فالسماء أنواع مختلفة، وأجرام متفرقة، والأرض نوع واحد ذات أجزاء مختلفة^١.

وقال البيضاوي: (وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأنها طبقات مفصولة

بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضيين)^٢

قال مصطفى صادق الرافعي: (لم يقل (سبع أرضين) لهذه الجساء التي

تدخل اللفظ ويختل بها النظم والجساء: الصلابة والخشونة)^٣.

ومن أحسن الوجوه ان يقال ان السموات يراد بها جنس السمااء ويراد بها

العدد وهن سبع فإذا أريد في السياق العدد جيء بها مجموعة وإذا أريد بها الجنس

جيء بها مفردة وكذلك الأرض يراد بها الجنس الذي هو بمنزلة السفلى والتحت فلا

معنى لجمعها فلا يجمع الفوق والتحت والعلو والسفل فإن قصد المخبر إلى جزء

من هذه الأرض الموطوءة وعين قطعة محدودة منها خرجت عن معنى السفلى الذي

هو في مقابلة العلو فجاز أن تجمع ولكن لثقل الجمع استبدله الله تعالى كقوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الطلاق / ١٢. وقد ورد

هذا الوجه عند الزركشي^٤.

^١ انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٨٤/٢ و ٢٦٥/٨

^٢ تفسير البيضاوي، ص ٣٣

^٣ انظر: الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. ، ص

٢٦٤ وما بعدها

^٤ الزركشي البرهان ٣ / ٨٩.

قوله تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

(١٦)﴾ الملك، وقال تعالى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الملك /

١٧. فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل وليس المراد سماء معينة

وكذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)﴾ آل عمران،

بخلاف قوله تعالى في سبأ: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ فإن قبلها ذكر الله سبحانه سعة

علمه وأن له ما في السموات وما في الأرض فاقتضى السياق أن يذكر سعة علمه

وتعلقه بمعلومات ملكه وهو السموات كلها والأرض ولما لم يكن في سورة يونس

ما يقتضي ذلك أفردتها إرادة للجنس وكذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي

الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾ الأنعام، فإنها جاءت مجموعة لتعلق

الظرف بما في اسم الله تبارك وتعالى من معنى الإلهية فالمعنى هو الإله المعبود

في كل واحدة من السموات فنكر الجمع هنا أحسن.

٢٠ الظلمات والنور:

جمع القرآن الكريم (الظلمات) حيثما وردت مقابلة (للنور) سواء أريد بها

الظلمات المعنوية، كالكفر والضلال، أو الحسية على حين أفراد (النور) معنوياً كان أو

حسياً في كل وضع ورد فيه.

قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم

الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ البقرة ٢٥٧

وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين

كفروا برهم يعدلون﴾ الأنعام ١

ولبيان السبب في ذلك: يقول صاحب (تفسير المنار) في تفسير آية الأنعام:
أفرد النور وجمعت الظلمة هنا وفي كل آية قوبل فيها بين النور والظلام سواء أكان ذلك
في الحسي أم المعنوي، بل لم يذكر النور في القرآن إلا مفرداً والظلمة إلا جمعاً، وحكمة
ذلك أن النور شيء واحد وإن تعددت مصادره ولكنه يكون قوياً ويكون ضعيفاً، وأما
الظلمة فهي تحدث بما يحجب النور من الأجسام غير المنيرة وهي كثيرة جداً، وكذلك
النور شيء واحد في كل نوع من أنواعه أو جزئي من جزئياته، ويقابل كل منها ظلمات
متعددة، فالحق واحد لا يتعدد الباطل الذي يقابله كثير (١) .

٣ . الجنة والنار

حيث وقع في القرآن ذكر الجنة فإنها تجيء تارة مجموعة وتارة غير مجموعة
والنار لم تقع إلا مفردة. والسبب في ذلك انه لما كانت الجنات مختلفة الأنواع حسن
جمعها وإفرادها ولما كانت النار واحدة أفردت باعتبار الجنس. وقيل: لما كانت النار
تعذيباً والجنة رحمة ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب. ٢

^١ محمد رشيد رضا، تفسير المنار ج ٤ / ١٢٣.

^٢ انظر السيوطي الإتقان ٤ / ٦٧.

٤ . الآية والآيات

كثر في القرآن جمع الآيات في موضع وإفرادها في آخر والسبب في ذلك:

أنها حيث جمعت فلجمع الدلائل وحيث وحدثت فلوحدانية المدلول عليه.^١

الأمثلة:

١ . قال في الحجر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٧٥) الحجر، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) الحجر، فلما ذكر صفة المؤمنين بالوحدانية وحد.

٢ . قوله تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٤)

﴿العنكبوت.

٥ . سبيل وسبيل

جمع القرآن سبيل الباطل وأفرد سبيل الحق كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَكَاتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ المائدة / ١٥٣.

والجواب في ذلك كله أن طريق الحق واحد وأما الباطل فطرقه متشعبة متعددة.^٢

٦ . اليمين والشمال

^١ المصدر نفسه ٤ / ٦٧.

^٢ المصدر نفسه ٤ / ١٠.

أفرد القرآن اليمين والشمال كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ

شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) النحل. وجمعها كما في

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ

(١٧) الأعراف .

وهذا لا شيء عليه. وإنما التساؤل يكون في ان تجمع أحدهما وتفرد الأخرى

في نص واحد مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ

وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) النحل.

والجواب في ذلك متعدد الوجوه منها:

١. كأنه إذا وحد ذهب إلى واحد من ذوات الظلمة وإذا جمع ذهب إلى كلها والحكمة في

تخصيص اليمين بالإفراد ما سبق فإنه لما كانت اليمين جهة الخير والصلاح

وأهلها هم الناجون أفردت ولما كانت الشمال جهة أهل الباطل وهم أصحاب

الشمال جمعت في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾.

٢. أن اليمين مقصود به الجمع أيضا فإن الألف واللام فيه للجنس فقام العموم مقام

الجمع.

^١ انظر هذه الوجوه عند الزركشي البرهان ٤ / ١٢.

٥٣. أن الظل حين ينشأ أول النهار يكون في غاية الطول ثم يبدو كذلك ظلاً واحداً من جهة اليمين ثم يأخذ في النقصان وإذا أخذ في جهة الشمال فإنه يتزايد شيئاً فشيئاً والثاني فيه غير الأول فكلما زاد فيه شيئاً فهو غير ما كان قبله فصار كل جزء منه ظلاً فحسن جمع الشمائل في مقابلة تعدد الظلال.

٥٤. إن اليمين يجمع على من أبنية جمع القلة غالباً والشمال يجمع على شمائل وهو جمع كثرة.

٥٧. إفراد السمع وجمع البصر

كثر في القرآن إفراد السمع وجمع البصر:

كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴾ (٧) البقرة.

قال السيوطي في جواب ذلك: (لأن السمع غلب عليه المصدرية فأفرد بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة ولأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة ومتعلق للبصر الألوان. . وهي حقائق مختلفة فأشار في كل منهما إلى متعلقه)^١.

^١ السيوطي الإتيان ١ / ٥٦٤.

المبحث الثالث:

عُرف القرآن في اقتران الألفاظ

قال الجاحظ في البيان والتبيين: (وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس)^١.

قال ابن عاشور: (والنفع والضرر، والسماء والأرض)^٢. وقال: (اصطلاح القرآن في الغالب أن يقرن الإيمان بالعمل الصالح)^٣.
ومن ذلك أيضا:

١٠١. اقتران المال في القرآن بذكر الأولاد

بذكر المال في القرآن مقروناً بالأولاد أو الأنفس، ويقدم عليهما كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنفال // ٧٢.
وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ التوبة / ٢٠.

وخالف القرآن هذه العادة مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ التوبة / ١١١. أما في غير هذه الآية فالمال مقدم دائماً.

^١ الجاحظ، عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨ ج ١ ص ٢٧.

^٢ ابن عاشور التحرير والتلويز المقدمة العاشرة ص ٥٧.

^٣ نفس المصدر ١ / ٣٢٥٥.

والسبب في ذلك ان هذه الآية تتكلم عن شراء الله تعالى لأنفس المؤمنين وأموالهم ولهم الجنة ولا شك ان بيع الأنفس مقدم على بيع الأموال.

٢٠٢. اقتران العفو بالصفح

كثيرا ما يقرن العفو بالصفح في القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله عز وجل: ﴿وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٠٩) البقرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) المائدة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) الحجر.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) النور.

وقوله عز وجل: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩) الزخرف.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا

وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤) التغابن.

سبب هذا التقديم:

وسبب التقديم يعود إلى الفرق بين للعفو والصفح: فالعفو والصفح متقاربان في

اللمعنى فيقال: صفحت عنه: أعرضت عن ذنبه وعن تثريبه، كما يقال: عفوت عنه.

إلا أن الصفحة أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

فالصفح ترك المؤاخذه، وتصفية القلب ظاهراً وباطناً، ولقد دعا الله جل وعلا إلى

الصفح فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر ٨٥].

والصفح أبلغ من العفو، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنََّّ

اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة ١٠٩].

قلت: ولما كان الصفحة أبلغ من العفو وأزيد كان الترتيب ان يأتي العفو قبل

الصفح.

٣. ذكر مريم رضي الله عنها وابنها عليه الصلاة والسلام

ورد اسم السيدة مريم رضي الله عنها مقرونا مع اسم ابنها عليه الصلاة والسلام

ثلاث وعشرون مرة في القرآن الكريم. ١٦ مرة قرن اسمها الصريح باسم ابنها الصريح

(عيسى) و ٧ مرات ورد اسمها الصريح مقرونا باسم ابنها غير الصريح (ابن مريم) ،
وورد اسمها الصريح من غير أن يقرن باسم ابنها ١١ مرة .

٤٠ الطيب والخبيث .

يقرن القرآن الكريم بين لفظ الطيب ولفظ الخبيث كثيرا، ومن الأمثلة على ذلك.

قال تعالى في سورة إبراهيم ٢٤ إلى ٢٦: ﴿الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة

كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم

يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. ﴿

وقال تعالى في سورة آل عمران ١٧٨: ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز

الخبيث من الطيب ﴿ وقال تعالى في سورة المائدة ٩٩: ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو

أعجبك كثرة الخبيث ﴿ . وقال تعالى في سورة الاعراف ٥٧: ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك تصرف الآيات لقوم يشكرون ﴿ . وقال تعالى في سورة

الأنفال ٣٦: ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ﴿ .

٥ . الفعل المضارع يخرج فقد جاء مقرونا معه الحي والميت في كل آيات

القرآن:

قال تعالى في سورة آل عمران ٣٧: ﴿وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَنَرْزُقُ مِنْ

تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . وقال تعالى في سورة الانعام ٩٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ

مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنْتَ تَوَفِّكُونَ﴾ . وقال تعالى في سورة يونس ٣٠:

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ وقال تعالى في سورة

الروم ١٨: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾

٦ . الفعل (يولج) فقد جاء مقرونا بالليل والنهار

الفعل (يولج) فقد جاء مقرونا بالليل والنهار في كل آيات القرآن اللهم عدا آية واحدة

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الاعراف / ٤٠ .

وذلك مثل قوله تعالى في سورة آل عمران ٣٧: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَالنَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ .

٧ . الحكمة و الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران / ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [البقرة/ ٢٣١]. وقال

تعالى: ﴿.. فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ [النساء/٥٤]. وقال تعالى: ﴿واذ علمتكم الكتاب والحكمة﴾ [المائدة/١١٠]. وقال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة/١٢٩]. وقال تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة/١٥١].

٠٨ (أقم) و (أقيموا) مقترنا بالصلاة

فعل الأمر (أقم) و (أقيموا) مقترنا بالصلاة ورد في (١٧) مرة في القرآن.
قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النُّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود ١١٤).

٢. وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء ٠٧٨).

٣. وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه ١٤٠).

٤. وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت ٠٤٥).

٥. وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمُ اقِمِ الصَّلَاةَ وَامُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ إِنَّ

ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان ١٧).

لطيفة: العدد ١٧ يوافق عدد ركعات الصلاة اليومية المفروضة.

٩. اقتران المس بالشر.

يقال مسست الشيء، أمسه مساء، إذا لمسته بيدك، ثم أستعير للأخذ والضرب،
وأستعير للجماع لأنه لمس، وللجنون كأن الجن مسته يقال به مساء من الجنون.

المصدر^١

ولقد وردت كلمة "مس" بالقرآن الكريم في ست آيات كلها مقترنة بالضراء أو
القرح أو الشر: قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ الآية ١٤٠ آل
عمران وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ آية ١٢ يونس وقال تعالى:
﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضُّرُّ وَالسَّرَّاءُ﴾ آية ٩٥ الأعراف، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ آية ٣٢ الروم، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا ربه مُنِيبًا
إِلَيْهِ﴾ آية ٨ الزمر، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ آية ٤٥ الزمر

^١ أنظر: ابن الأثير الجزري، مجد الدين محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود
الطناحي المكتبة الإسلامية ص ٥٤.

وقد جاءت كلمة المس في مواضيع كثيرة من القرآن أغلبها مقترن بالشر و

الضرر مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْبَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ آية

١٨٧ الأعراف

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يُوَسْوِسُ﴾ آية ٨٢ الإسراء، وعلى ذلك نجد أن

الآيات توضح أن المس دائما مقترن بالضرر والشر

وكلمة "المس الشيطاني" وردت في القرآن مرتان في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ آية ٢٧٥ البقرة

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ آية ٤١

ص

وجاءت كلمة المس مقترنة بطائفة من الشيطان في آية ثالثة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ آية ٢٠١

الأعراف

وخالف القرآن لذلك في تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ

كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٧) سورة آل عمران، فمس الرجل

للمرأة ليس شراً، إلا إذا قلنا إن مريم كونها لا زوج لها رأت أن مس الرجال من غير

زواج شر.

لفظ (الانس) يأتي في القرآن الكريم دائماً مع الجن على وجه التقابل، يطرد ذلك، ولا يتخلف في كل الآيات التي جاء فيها اللفظ قسماً للجن، وعددها ثماني عشرة آية.

قال الله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [الانعام: ٣٠]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

١١. الواحد والقهار:

وردت كلمة (القهار) ست مرات، بينما وردت كلمة (القاهر) مرتين وبتتبع وتفحص ورود الكلمتين في كتاب الله وجدنا أن كل المواضع الستة التي أتت فيها كلمة (القهار) سبقت بكلمة (الواحد) هكذا: { الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } ولم يستعملها القرآن (لا ختاماً لكل آية وردت فيها،

قال تعالى: ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَقَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:

٣٩] وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦] وقال

تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَرَزَّوْا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] وقال تعالى: ﴿

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَكْدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ [الزمر: ٤]

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ [

غافر: ١٦]

١٢. وهو مع القاهر

أما كلمة (القاهر) فنجد أنها سُبقت بـ (وَهُوَ) في المرتين اللتين وردت فيهما.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿ [الأنعام: ١٨] وقال

تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا

يُفْرَطُونَ ﴿ [الأنعام: ٦١]

١٣. سبيل مع الرشاد

كلمة (الرشاد) خُصصت بكلمة (سبيل) في المرتين اللتين وردت فيهما:

قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ

فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ [غافر: ٢٩] قال تعالى: ﴿ وَقَالَ

الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ [غافر: ٣٨]

العليم الخبير اسمان من أسماء الله يدلان على صفتي العلم والخبرة، وهما

متقاربان في المعنى.

الأول: أن (العليم) جاء في القرآن كثيراً مطلقاً غير مقيد ، وأما (العالم) فيأتي

في القرآن مقيداً بعلم الغيب ، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤) التوبة. وقال تعالى ﴿ وَسَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥) يونس .

والثاني: أنه يأتي في القرآن كثيراً اقتران اسم (العليم) باسم (الخبير) مع تقم

اسم العليم كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنِ اكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات / ١٣ . وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ بَنَانِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ التحريم / ٣ .

المبحث الرابع:

عُرف القرآن الكريم في تذكير الألفاظ وتأنيثها .

للقرآن عادات في التذكير والتأنيث منها:

١ . عادة القرآن التذكير والتأنيث حملا على اللفظ والمعنى.

وفيما يلي الأمثلة:^١

تذكير المؤنث

جاء في قوله تعالى: ﴿فَمِنْ جَاءُهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ البقرة / ٢٧٥.

فذكر

فعل الموعظة وهي مؤنث وذلك على تأويلها بالوعظ.

وقال تعالى: ﴿وَأَخْبَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) سورة ق. فقال ميتا على التذكير وهي

بلدة مؤنثة وكان المتبادر ان يقال ميتة وذلك على تأويل البلدة بالمكان.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

(٧٨)﴾ الأنعام. فذكر هذا و المتبادر هذه وذلك على تفسير الطالع أي هذا الطالع.

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ النساء / ٨.

فقال فارزقوهم منه بالتذكير وكان المتبادر منه لأنها قسمة وهي مؤنثة وذلك على تفسيرها

بالمقسوم.

^١ ذكر هذه الآيات الزركشي في البرهان ٢ / ٣٤٥ والتعليق على الآيات من كلامي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسِتِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ النحل، و الأنعام مؤنثة

وكان المتبادر ان يقال بطونها والتذكير على معنى الجمع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) الأعراف. وكان المتبادر مع الرحمة

المؤنثة ان يقال قريبة، ومراد الآية أمر قريب

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) الأحزاب، وكان المتبادر ان

يقال قريبة والتذكير في الآية أي الوقت. أو إتيانها قريب.

تأنيث المذكر.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء / ١. و

المراد آدم فينبغي التذكير وإنما أنه ردا إلى النفس.

٢. عادة القرآن التذكير والتأنيث عند القليل والكثير.

من عادة القرآن تذكير الفعل مع الفاعل القليل، وتأنيث الفعل مع الفاعل الكثير.^١

وقد يكون السبب في ذلك ان الأنثى تلد فهي رمز الكثرة بخلاف الذكر.

ومن الأمثلة على هذه العادة القرآنية ما يلي.

١. قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (١٤) الحجرات.

قالت مؤنث مع ان الأعراب ذكور والسبب كثرة الأعراب.

^١ انظر فاضل السامرائي لمسات بيانية ص ٧٧.

٠٢ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (٣٠) يوسف قال مذكر مع أنها مع

النسوة مؤنث، والسبب قلة النساء.

٠٣ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ (٥) التوبة. قال انسلخ والأصل

انسلخت والسبب قلة الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر.

٠٤ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَنُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (١٨٣) (آل عمران) وفي آية أخرى قوله تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا

أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٤٣) (الأعراف).

والسبب ان الآية الثانية تتكلم عن رسل كثيرة جميع الرسل فأنثت ويدل عليه

ان هذا في الآخرة، وفي الآية الأولى (جاءكم الرسل) أي بعض منهم ويدل عليه ان ذلك

في الدنيا ويستحيل ان يأتوا جميع الرسل لأمة واحدة أو رسل كثيرون.

٠٣ عادة القرآن في تذكير وتأنيث فعل الملائكة

الأمثلة:

من عادة القرآن ان يأتي فعل الملائكة مذكرا إلا في البشارات يأتي مؤنثا.^١

الأمثلة:

^١ انظر فاضل السامرائي لمسات بيبانية ص ٨٠.

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ .

الزخرف: ٥٣ قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَأِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الأنعام / ٩٣ .

و لم تأت بشرى من الملائكة بصيغة التذكير، بل كل البشارات بالتأنيث

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ

مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٤٨ وقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ آل عمران

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

آل عمران: ٤٢

قال السامرائي: (ولعل ذلك لما في البشارة من رقة وما يتناسب معها من لطف

وخفة وذلك من خصائص الإناث)^١

^١ فاضل السامرائي، لمسات بيانية ص ٨١.

المبحث الخامس:

عُرف القرآن الكريم في العطف.

العطف: يعني تشريك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم بواسطة حروف

العطف.

وللقرآن عادات في استعمال أسلوب العطف كما يلي:

١٠١ من عادة القرآن عطف الخاص على العام

قال الرازي: (وعادة القرآن جارية بانه إذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض

جزئياتها تنبيهها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي كقوله تعالى: ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ رُسُلُهُ

وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ﴾ البقرة ٩٨) ١

فيكون جبريل عليه السلام كالْمَذْكُور ثلاث مرات الأولى يندرج تحت عموم

ملائكته والثانية تحت عموم رسله والثالثة بالتخصيص عليه.

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ البقرة / ٢٣٨. على القول

بأن الصلاة الوسطى صلاة العصر . ٢ وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا

لَنُضَاعِفَ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠) الأعراف. مع أن التمسك بالكتاب يشمل كل عبادة ومنها

^١ الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢١ / ٦٦.

^٢ انظر السيوطي الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٩١.

الصلاة لكن خصها بالذكر إظهاراً لمرتبتها لكونها عماد الدين.^١

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) آل عمران. إذ الأمر والنهي من جملة الدعاء إلى الخير.^٢

٢. من عادة القرآن عطف العام على الخاص

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢)

الأنعام. والنسك العبادة فهو أعم من الصلاة.^٣

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) الحجر. فالسبع المثاني

هي الفاتحة على بعض التفاسير والقرآن العظيم اعم من الفاتحة.^٤

وقوله تعالى إخباراً عن نوح: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنَاتِ

﴿نوح / ٢٨. والمؤمنون والمؤمنات اعم من الوالدين.^٥

٣. من عادة القرآن عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه

في المعنى

والقصد من هذا العطف التأكيد.

^١ المصدر نفسه ٢ / ١٩١.

^٢ المصدر نفسه ٢ / ١٩١.

^٣ المصدر نفسه ٢ / ١٩١.

^٤ المصدر نفسه ٢ / ١٩١.

^٥ المصدر نفسه ٢ / ١٩٠.

الأمثلة:

كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيُّ مَنِ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)﴾ آل عمران. وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا

(١٠٧)﴾ طه. و العوج والامت بمعنى واحد أو مقاربات ^١.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٨٠)

الزخرف والسر والنجوى بابهما واحد. ^٢ وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾

هود / ٥٣. والتوبة والاستغفار من باب واحد. ^٣

٤. من عادة القرآن العطف بواو الثمانية:

واو الثمانية: هي واو عطف تدخل على المعدود الثامن لتعطفه على ما سبق

ويكون مغايرا لبعض المذكورين قبله في بعض الصفات. أو هي: الواو التي تلحق الثامن

من العدد.

وقد وضع هذه الواو القرطبي فقال: (واختلف العلماء في الواو في قوله: {

والناهون عن المنكر } فقل: دخلت في صفة الناهين كما دخلت في قوله تعالى: ﴿حم*

^١ المصدر نفسه ٢ / ١٩٠.

^٢ المصدر نفسه ٢ / ١٩٠.

^٣ المصدر نفسه ٢ / ١٩٠.

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب ﴿ [غافر: ٣] فذكر بعضها بالواو والبعض بغيرها وهذا سائغ معتاد في الكلام ولا يطلب لمثله حكمة ولا علة وقيل: دخلت لمصاحبة الناهي عن المنكر الأمر بالمعروف فلا يكاد يذكر واحد منهما مفردا وكذلك قوله: ﴿ ثبات وأبكارا ﴾ [التحريم: ٥] ودخلت في قوله: ﴿ والحافظون ﴾ لقربه من المعطوف وقد قيل إنها زائدة وهذا ضعيف لا معنى له وقيل: هي واو الثمانية لأن السبعة عند العرب عدد كامل صحيح وكذلك قالوا في قوله: { ثبات وأبكارا } وقوله في أبواب الجنة: ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ [الزمر: ٧٣] وقولته: ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ [الكهف: ٢٢]^١

التوضيح:

١. قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿ الثَّابِتُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢)) فقد ورد سبع صفات قبل دخول الواو على الصفة الثامنة، والملاحظ أن الصفة الثامنة تختلف عن الصفة السابعة فالنهى عن المنكر غير الأمر بالمعروف.
٢. قول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كُتُبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتُبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا

^١ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٤٥.

مرآء ظاهراً ولا تستقت فيهم منهم أحداً (٢٢) ﴿ فالآية قد ذكرت ثلاثة أقوال في عدد أصحاب الكهف. والملاحظ: أن القول الأول والثاني ذكر فيهما الكلب بدون عطف ، بينما القول الثالث عطف كلبهم عليهم بالواو ﴿ . . . وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ . . . وبالتدبر يتضح ما يلي:

١٠ أن القرآن ذم القولين السابقين لأنهما رجما بالغيب، بينما سكوت عن القول الثالث بل أشار إلى إمكانية اعتماده والقول به حيث أثبت العلم بهم للقليل قال تعالى: ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . ولذلك كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: أنا من القليل الذين استثناهم الله كانوا: سبعة وثامهم كلبهم.

٢٠ دخول الواو على كلبهم في القول الثالث الذي قاله العلماء له معنى أدبي وأخلاقي ذوقي. .. فهذه الواو فصل ما بين أصحاب الكهف الأبرار الأطهار وبين كلبهم. والعطف يقتضي التغاير، بينما نجد ذكر الكلب في القولين السابقين معهم بدون الواو كأنه واحد منه.

٣٠ ما ورد في الآية الخامسة من سورة التحريم : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَاتَاتٍ تَأْتِيَنَّاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (٥) . فالواو دخلت على الصفة الثامنة وهي: (أبكارا) والمرأة إما أن تكون بكرا أو ثيبا ولا يمكن أن تجمع بين الصفتين.

٥٤ . ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابَهَا ﴾ الزمر [٧٣].

وبما أن أبواب الجنة معلوم أنها ثمانية فقد تكون هذه الواو المذكورة مع أبواب الجنة ولم تذكر مع أبواب النار لأنه جاء في الآية السابقة عن هذه الآية في أبواب النار ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابَهَا ﴾ الزمر [٧١] فهذا قد يدل على أن الواو هنا تسدل على أن أبواب الجنة ثمانية.

٥٥ . من عادات القرآن في العطف في أسماء الله تعالى وصفاته.

أسماء الله تبارك وتعالى أكثر ما جاءت في القرآن الكريم بغير عطف نحو السميع العليم العزيز الحكيم الغفور الرحيم الملك القدوس السلام إلى آخرها. وجاءت معطوفة في الأسماء وفي الصفات: أما الأسماء ففي قوله تعالى: ﴿ هُوَ

الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة الحديد الآية (٣)

وأما الصفات ففي موضعين من القرآن في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَىٰ وَالَّذِي

قَدَرَفَهْدَىٰ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾ سورة الأعلى / ٢-٤ . وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ الزخرف ١٠-١٢

وقد أجاب عن ذلك ابن قيم الجوزية فقال: (وأما ترك العطف في الغالب

فلتناسب معاني تلك الأسماء وقرب بعضها من بعض وشعور الذهن بالثاني منها شعوره

بالأول. .. وأما تلك الأسماء الأربعة فهي ألفاظ متباينة المعاني متضادة الحقائق في أصل

موضوعها.... وأما العطف في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ الأعلى

/ ٢- ٣ ، فلما كان المقصود الثناء عليه بهذه الأفعال وهي جملة دخلت الواو عاطفة

جملة على جملة وإن كانت الجملة مع الموصول في تقدير المفرد فالفعل مراد مقصود

والعطف يصير كلا منها جملة مستقلة مقصودة بالذكر بخلاف ما لو أتى بها في خبر

موصول)^١

٦ . عادة للقرآن الكريم في عطف المحاورات .

من العادات التي استنبطها ابن عاشور من خلال استقراءه لأساليب القرآن الكريم

انه إذا حكا المحاورات والمجاوبات حكاها ب (قال) دون حرف العطف إلا إذا انتقل من

محاورة إلى أخرى

ومن الأمثلة على ذلك عطفه المحاورة بين رب العالمين سبحانه تعالى وبين

ملائكته الكرام في قصة آدم الواردة في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِ

وَقُدَّسَ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا

^١ ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد ١ / ٢٠٠.

آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون

وما كنتم تكتمون ﴿ البقرة ٣٠-٣٣

يقول ابن عاشور: (ولم يعطف بالفاء أو الواو جريا به على طريقة متبعة في حكاية المحاورات وهي طريقة عربية. .. وإنما حذفوا العاطف في أمثاله كراهية تكرير العاطف بتكرير أفعال القول، فالمحاوراة تقتضي الإعادة في الغالب فطردوا الباب فحذفوا العاطف في الجميع وهو كثير في التنزيل)^١

وقد أشار إلى هذه العادة القرآنية قبل ابن عاشور الزركشي حيث قال: (يجوز في الحكاية عن المخاطبين إذا طالت قال زيد قال عمرو من غير أن تأتي بالواو وبالفاء وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ الآية ٢٥٨ البقرة. وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الشعراء / ٢٣. ونظائرها

ومن خلال استعراض المحاورات في القرآن الكريم وجدت أن ما لاحظته ابن عاشور أمر مطرد في محاورات القرآن الكريم فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول تعالى: ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما ألقوا قال موسى

أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ البقرة ٦٧

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٨٧/١

ويقول تعالى: ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال أنه يقول أنها بقرة لا فارض ولا بكر غوان

بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ﴾ البقرة ٦٨

ويقول تعالى: ﴿ قال ربي أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقرا قال كذلك الله يفعل

ما يشاء ﴾ آل عمران ٤٠

ويقول تعالى: ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلاتتقون

* قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وغنا لنظنك من الكاذبين * قال يا قوم ليس بي

سفاهة ولكنني رسول من رب العالمين ﴾ الأعراف ٦٥-٦٧. ومن خلال هذه الأمثلة يظهر أن

ما استنبطه ابن عاشور أمر مطرد في القرآن الكريم وعادة متبعة من عاداته.

المبحث السادس:

عُرف القرآن الكريم في الإيجاز

أولاً: التوسع في المعنى أو ما يسمى اكثار المعاني.

التوسع في اللغة:

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس أن: (الواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، يقال: وسع الشيء واتسع، والتوسع: الغنى. والله الواسع أي الغني. والتوسع: الجدة والطاقة. وهو ينفق على قدر وسعه. وأوسع الرجل: كان ذا سعة. والفرس السريع الخطو وساع)^١.

والتوسع في الاصطلاح: عُرفه ابن عاشور فقال: (أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها)^٢.

والمقصود أن ألفاظ القرآن الكريم إذا احتملت أكثر من معنى ولا مانع عقلي ولا شرعي بمنع من الحمل على معنى منها فإن القرآن أرادها جميعاً بعبارة، وإنما استعمل القرآن هذه الطريقة للإيجاز وتوصيل أكثر المعاني بأوجز الألفاظ.

وقد جرى على مثل هذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم، كما في هاتين

المثالين.

^١ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، [٩ / ٤٣]

^٢ ابن عاشور التحرير والتنوير ١ / ٥١.

الأول: ما رواه أبو سعيد بن المعلى قال: دعاني رسول الله وأنا في الصلاة فلم

أجبه فلما فرغت أقبلت إليه فقال (ما منعك أن تجيبني ؟ فقلت: يا رسول الله كنت أصلي فقال: ألم

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

المرء وقلبه وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) سورة الانفال^١

فمن المعلوم ان المقصود بالعودة الهدية والمقصود بالاستجابة امتثال ما جاء به

النبي صلى الله عليه وسلم.

ومع ان ذلك هو المقصود وكان ظاهر لفظ الآية يحتمل ما قاله النبي صلى الله

عليه وسلم جاز الحمل على ذلك وعلمنا ان مثل هذا المعنى مراد للقران الكريم.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ

اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ سورة التوبة (٨٠) فقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب لما قال له: لا تصل على عبد الله ابن أبي بن

سلول فإنه منافق وقد نهاك الله عن أن تستغفر للمنافقين فقال النبي: (خيرني ربي

وسأزيد على السبعين)^٢ فحمل قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) على

التخيير مع أن ظاهره أنه مستعمل في النسوية وحمل اسم العدد على دلالة الصريحة

^١ أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ماجاء في فاتحة الكتاب (٤ / ١٦٢٣) برقم (٤٢٠٤) وأبو داود (١ / ٤٦١) برقم (١٤٥٨) وأخرجه الترمذي (٥ / ١٥٥) برقم (٢٨٧٥) وأحمد في المسند (٢ / ٤١٢) وابن خزيمة في صحيحه (٢ / ٣٧).

^٢ أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين (١ / ٤٥٩).
والترمذي (٥ / ٢٧٩) والنسائي (٤ / ٦٥) وأحمد في المسند (١ / ١٦) وابن حبان (٧ / ٤٤٩) وغيرهم.

دون كونه كناية عن الكثرة كما هو قرينه السياق لما كان الأمر واسم العدد صالحين لما حملهما عليه فكان الحمل تأويلاً ناشئاً عن الاحتياط، ما أراد بتفسيره إلا أيقاظ الأذهان إلى أخذ أقصى المعاني من ألفاظ القرآن مثال ذلك

فمن المعلوم البين ان المراد بالآية التسوية بين الاستغفار وعدمه وليس التخيير بالاستغفار، وأيضا انه ليس المقصود بالعدد حقيقته.

الأمثلة: النبي صلى الله عليه وسلم الآية على ما يمكن ان تحمله من معان، علمنا ان القرآن يريد هذا المعنى فوق المعنى الأصلي.

الأمثلة:

١٠ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ

فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ سورة يوسف (٤٢) ففي كلمة (ربه) معنيان هل هو الله

تعالى أم السيد ؟

٢٠ قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة يوسف (٢٣). ففي لفظ (رب)

معنيان هل هو الله تعالى أم سيد البيت ؟

٣٠ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ

عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ سورة التوبة (١١٤) فمن هو الواعد إبراهيم عليه

السلام وعد أبوه بان يستغفر له أو أزر وعد ان يؤمن ؟.

٥٤. قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) القمر.

ففسر النهر هنا بأنه اسم جنس بمعنى (الأنهار) ^١، ومن معاني (النَّهَر) التي

وردت: السعة ^٢، كما وردت بمعنى الضياء، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلأل ^٣، ومن كل هذا يتبين أن الكلمة تعددت معانيها وكلها مطلوب.

٥٥. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: ١٢).

فكلمة (المستقرة) تتضمن أكثر من معنى: فهي بمعنى الاستقرار. وقد تفهم

بمعنى مكانا الاستقرار. ويمكن أن تكون بمعنى زمان الاستقرار فتكون اسم زمان.

٥٦. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَظْلِمُونَ قِتْلًا﴾ (النساء: ٤٩):

قيل: هي القشرة والخط الذي في بطن النواة، ومن ثم يكون اسماً. وقيل: ما فتلته

بإصبعك من وسخ اليد وعرقها ^٤.

٥٧. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي يَمَاسِ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ

أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٢٧).

^١ النظر: الزمخشري، الكشاف، ١٨٦/٣، و أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ١٨٤/٨..

^٢ انظر ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٣٥.

^٣ النظر: ابن منظور، لسان العرب مادة (نهر).

^٤ حسن، العباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط ٧.

فيجوز أن يكون التقدير في (وترغبون أن تتكحوهن) أي: ترغبون في أن تتكحوهن لجمالهن. ويجوز أن يكون: وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن.^١

٨٠ قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾ (الإنسان: ٦)

فقد ضمن الفعل معنى (يروي) لأنه لا يتعدى بالباء وإلا فسـ(يشرب) يتعدى بنفسه. فأريد بالكلمة الشرب والري معاً.

ثانياً: الحذف في القرآن الكريم.

عادة القرآن في حذف الحرف من الفعل

جرت عادة القرآن في حذف الحرف من الفعل أو الاسم فسي معنى الفعل في موضع وإثباته في موضع آخر. ويسمى العلماء هذا الأمر زيادة المبني تدل على زيادة المعنى.

فقد ذكر علماء البيان أن زيادة مبني الكلمة أي حروفها يدل على زيادة مقابلة في المعنى..

وتكون زيادة المبني دالة على زيادة المعنى.

ومنه أعشَبَ المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه، قالوا: **إعشَوْشَبَ** المكان ومنه **خشن** و**أخشوشن**.

قال الزركشي: (اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل إلى وزن أعلى منه فلا بد

أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه. ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى)^١.

^١ انظر: الزجاج إعراب القرآن ١٢٥/١ والزمخشري، الكشاف ٥٦٧/١ وابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١٢/٥.

ومن أمثلته في القرآن:

١. قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾

يوسف / ٢٣

فالفعل (غَلَّقَتِ) معناه أحكمت غلق الأبواب وبالغت في إحكام غلقه، وفي اللفظ

معنى أزيد من معنى غَلَقَ.

٢. قال تعالى: ﴿وَبَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ إبراهيم / ٢٩.

ف (قَرَّنَ) أبلغ وأشد في الإحكام من (قَرَنَ)، وهذا يدل على متانة هذه الأصفاد

٣. قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ الزخرف / ٤٢ ، فمقتدر أبلغ من

قادر، وجيء به للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ.

ومن فوائد هذا الأسلوب زيادة على ما تقدم انه يستفاد من هذا في معرفة الزيادة

والنقصان في الأفعال من موضع إلى موضع في كتاب الله تعالى مثل (تتوفاهم - توفاهم

(و (تنزل - تنزل)، و (تذكرون - تتذكرون)، و (تبدل - تتبدل).

حيث يمكن على هذا ان يفهم ان الحذف من الفعل للدلالة على الاقتطاع من

الفعل

الأمثلة

مثال: "استطاعوا" و "استطاعوا": جاءت هاتان الكلمتان في سورة الكهف في

الحديث عن السد الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج وأنه بعد أن بناه عليهم

¹ الزركشي البرهان ٢ / ٨٧.

كي يمنع فسادهم أرادوا الخروج فحاولوا تسلق السد فلم يفلحوا ثم حاولوا أن ينقبوه
أو يخرّبوه فلم يستطيعوا كذلك، قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ

نَبَأٌ﴾ [الكهف: ٩٧]. فلماذا حذف التاء في الأولى وأثبتته في الثانية ٢.

قال شيخنا وأستاذنا د. فضل حسن عباس: (ذلك ليتناسب مع السياق فتسلق
السد شيء لطيف يحتاج إلى لطف وخفة فناسب حذف التاء والنقب والخراب شيء
ثقل يحتاج إلى جهد وقوة ومعدات ثقيلة فناسب ذكر التاء ليكون ثقل الكلمة مناسب
لثقل الفعل وخفة الكلمة مناسب لخفة الفعل) ١.

عادة قرآنية ثابتة للحذف من الفعل.

جرت عادة القرآن بحذف بعض الحروف من الفعل في موضع وذكر تلك
الحروف للفعل في مواطن أخرى، وقد جرت سنته في أن يكون ذلك الذكر والحذف يتبع
طريقة هي أن الفاعل كثير أو قليل أو الفعل يحدث قليلا أو كثيرا فالكثير يناسبه الذكر
والقليل يناسبه الحذف.

الأمثلة:

١٠ قال تعالى في سورة فصلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ أَلَّا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ((٣٠))

وقال تعالى في سورة القدر: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا يَأْذِنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (٤)

^١ عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، دار البشير ص ٧٦١.

فلاحظ هنا ان القرآن استعمل نفس الفعل المضارع في الموضعين ولكن حذفت

الناء في الآية الثانية (تنزل) وكانت في الأولى.

وتوجيه ذلك ان الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم

تبشره بمآله إلى الجنة، أما الثانية فهي في ليلة القدر، وبما ان الموت يحدث في كل لحظة

استعمل معه القرآن الفعل بالحروف الزائدة، وبما ان النزول في ليلة القدر يحدث مرة

واحدة في العام جاء الفعل مقطوعا منه تلك الزيادة (تنزل).

٢٠ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

﴿ (٩٧) سورة النساء.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ سورة النحل (٢٨)).

لا شك ان آية النحل تتكلم عن جميع من ظلم نفسه ، ي وآية النساء تتكلم عن

طائفة منهم وهم المستضعفون ممن ظلموا أنفسهم. لذا جاءت زيادة الفعل مع الجماعة

الأزيد والفعل المحذوف منه الحرف مع الجماعة الأقل.

٣٠ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْتِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿ سورة الأحزاب (٥٢))

وقوله تعالى ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ

كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢) النساء.

نلاحظ ان الفاعل في آية سورة الأحزاب هو الرسول صلى الله عليه وسلم والفاعل في الآية الثانية هم المسلمون ممن كلفوا بإعطاء مال اليتيم، لذا جاءت صيغة (تبدل) في سياق الكلام عن النبي عليه الصلاة والسلام، وأعطى النص القرآني الزيادة مع كثرة الفاعلين (تتبدلوا).

٤٠ قال تعالى في سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ

إِلَى اللَّهِ يَخْتِبي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)

وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣)

ففي الآية الأولى جاء النهي عن التفرق فيها منسوبا لكل الأمم فكان النص يقول

ان النهي عن التفرق مذكور في شريعة نوح عليه السلام ومرورا بجميع الأنبياء وانتهاء

بشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام، بينما في الآية الأخرى جاء النهي عن التفرق لهذه

الامة مباشرة لذا ناسب في مقام تعدد النهي عن التفرق الزيادة في لفظ الفعل والحذف في

مقام صدور النهي عن التفرق لمرة واحدة.

أمور كثر حذفها في القرآن الكريم

عادة قرآنية في حذف (لا يحل) وذكرها:

أكثر المنهيات جاءت تلي حرف النهي مباشرة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ((٢٩)) النساء. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا

(٣٢) الإسراء. . الخ المنهيات.

ولكن نلاحظ على خلاف ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا

[النساء: ١٩].

ففي هذه الآية لم يقل لا ترثوا النساء كرهاً بل قال "لا يحل لكم..الخ".

وعند البحث عن نظائر هذه الآية كقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ

شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٢٩].

وعند البحث في سر ذلك لم أجد من أشار إليه إلا ما كان من شيخنا وأستاذنا

العلامة أ.د. فضل عباس مشافهة وشيخنا الدكتور صلاح الخالدي في كتابه إعجاز القرآن

البياني. وقد فدت منهما أن هذه الكلمة إنما تأتي بجانب قضايا كان الناس يزاولونها من

دون أن يروا بها بأساً أو حرجاً كالقضايا السابقة بل كانت عادات منتشرة بين العرب، أما

بقية المنهيات الأخرى كالقتل والزنا وأكل مال اليتيم وغيرها فهي أمور تنفر منها العقول

السليمة والطباع المستقيمة وتنكرها الأعراف السائدة لا يقرها عقل ولا شرع؛ لذلك كان النهي عنها مباشراً لما جبل في الفطرة على النفور منها بخلاف الأشياء السابقة المقررة عندهم فتحتاج لترسيخ التحريم ألفاظاً قوية حادة قاطعة. فانظر إلى جمال التعبير القرآني لهذه الأمور حتى لا يساورها شك في التحريم. فهذه فروق عجيبة في التعبير أعجزت أفصح البلغاء عن معارضته، سبحان العليم الخبير^١ جاء في قوله تعالى في حديثه عن الزوجين اللذين لا يستطيعان مواصلة الحياة الزوجية ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٣٠].

من عادة القرآن حذف أحد الشئينين لما بينهما من تلازم:

وهو أن يقتضى المقام ذكر شئينين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن

الأخر

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأْسَكُمْ﴾ النحل / ٨١. أي

والبرد.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) ﴿الآن عام. و المراد:﴾

وما تحرك أو إنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق.

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) ﴿آل عمران. تقدير: [والشر] إذ

مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله وإنما أثر ذكر الخير لأنه مطلوب العباد.

^١ الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص ٣٤ ١.

كثر في القرآن حذف مفعول الصبر:

نحو: قوله تعالى: ﴿ اٰصْلُوْهَا فَاٰصْبِرُوْا اَوْ لَا تَصْبِرُوْا سَوَآءٌ عَلٰیكُمْ اِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ

(١٦) الطور. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(٢٠٠) آل عمران.

وقد يذكر نحو: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَةً } الكهف / ٢٨.

كثر في القرآن حذف الباء من المنادى المضاف إلى باء المتكلم.

يا رب:

نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠) الفرقان

، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)

يا قوم:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَذُونُنِي وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ الصف /

٥. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢) نوح.

كثُر في القرآن حذف جواب لو، ولولا:

كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾ الأنعام. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا

﴿الأنعام / ٣٠ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُ رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)﴾ السجدة

كثُر في القرآن العظيم حذف القول:

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُعَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ الزمر / ٣،

أي يقولون: ما نعبدهم إلا للقربة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة / ٥٧. أي وقلنا كلوا أو قائلين.

المبحث السابع:

عُرف القرآن الكريم في الإطناب.

الإطناب يعني التوسع في استعمال الألفاظ والجمل ومن أمثلة ذلك الجملة
المعترضة والجملة التي تفسر ما قبلها ومن ذلك التوسع في معنى اللفظ كأن يرد اللفظ أو
التركيب ويفهم منه أكثر من معنى ومنه التكرار.

لذا سيتم في هذا المبحث دراسة عادات القرآن في ذلك كما يلي:

أولاً: الإطناب بالاعتراض.

مدخل:

الاعتراض لغة: - المنع، يقال: (اعترض الشيء، صار عارضاً، كالخشبة
المعترضة في النهر، يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه).^١
واصطلاحاً كما عُرفه الزركشي: [هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو كلامين
متصلين معنى، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلاً بين
الكلام أو الكلامين لنكتة. ^٢ قال ابن فارس: (إن من سنن العرب أن يعترض بين الكلام
وتمامه، كلام لا يكون إلا مفيداً)^٣.

^١ الرازي مختار الصحاح، (مادة عرض) ص ٤٢٥.

^٢ الزركشي، البرهان في علوم القرآن. ج ٣/ ص ٦٢.

^٣ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ص ٢٠٩

١- قوله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ سورة النحل:

آية / ٥٧.

فقوله: (سبحانه) : معترضة، للمبادرة إلى تنزيه الله عن اتخاذ البنات.

قال الألوسي: [وهم: خزاعة وكنانة، كانوا يقولون: الملائكة بنات الله تعالى، وكأنهم لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوتها. و (سبحانه) : تنزيه وتقديس له تعالى شأنه عن مضمون قولهم ذلك، أو تعجيب من جرأعتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة، وهو في المعنى الأول حقيقة، وفي الثاني مجاز]^١

وقال الزركشي: (فاعتراض [سبحانه] لغرض التنزيه والتعظيم وفيه الشناعة

على من جعل البنات لله).^٢ ووقوع التنزيه قبل تمام الكلام، فيه إشارة إلى شناعة هذا الكلام وفضاعته.

٢- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

- وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ - وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران: آية / ١٣٥

أفاد الاعتراض: التنبيه على أن الله سبحانه هو الغفور لعباده، فالمغفرة لا تكون إلا منه

^١ الألوسي: روح المعاني [١٤ / ١٦٧].

^٢ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٥٧.

سبحانه، وفي ذلك ترغيب للمذنبين وتنشيط لهم أن يقفوا في مواقف الخضوع والتذلل،
غير يائسين من عفوه تعالى، ورحمته الواسعة.^١

٣. قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ - قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾

أكثرهم لا يعلمون ﴿سورة النحل: آية / ١٠١.

قال الزركشي: (فاعترض بين [إذ] وجوابها بقوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ} فكانه
أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً).

قال الألويسي: (والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة، والتنبيه على فساد رأيهم،
وفي الالتفات إلى الغيبة، مع الإسناد إلى الاسم الجليل، ما لا يخفى من تربية المهابة،
وتحقيق معنى الاعتراض. أو حالية، كما قال أبو البقاء وغيره)^٢

قال طنطاوي: (فقله تعالى - والله أعلم بما ينزل - : جملة معترضة بين
الشرط وجوابه، للمسارعة إلى توبيخ المشركين، وتجهيلهم)^٣.

٤- قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ

يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾ سورة المنافقون: آية / ١.

^١ الزمخشري: الكشاف [٢١٧-٢١٨]، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، [٥٩ / ٣] .

^٢ الألويسي: روح المعاني ٢٣١ / ١٤

^٣ طنطاوي د. محمد السيد، التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية - بيروت ج ١٤ / ص ١٨٨

قوله تعالى: (والله يعلم إنك لرسوله) جملة معترضة. وفائدة الاعتراض: أنه لو اتصل التكذيب بقولهم، لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب، فأتبع بالاعتراض لدفع هذا الإيهام^١.

٥- قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون ﴾ سورة الواقعة: الآيات / ٧٥-٧٨.

قال الزركشي: (وذلك لقصد التأكيد) .

٦ - قوله تعالى: ﴿ فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون - ونحن أقرب إليه منكم -

ولكن لا تبصرون ﴾ (١٢٢).

قوله تعالى: - ونحن أقرب إليه منكم - جملة معترضة بين جملة (وأنتم حينئذ تنظرون) وجملة (ولكن لا تبصرون)، أفادت أن ثمة حضوراً أقرب من حضورهم عند المحتضر^٢.

٧ - قوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه - حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين - أن

اشكركي ولوالديك إلى المصير ﴾ سورة لقمان: آية / ١٤..

^١ انظر: الزمخشري: الكشاف، ٤ / ١٠٧. وابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٣٥، و الألويسي، روح المعاني ٢٨ / ١٠٨.

^٢ انظر: طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ٢٧ / ٢٤٠، وابن عاشور التحرير والتنوير ٢٧ / ٣٤٢.

فقله سبحانه: ﴿ حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾ ، اعتراض بين قوله:

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ وبين الموصى به ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ . وفي فائدة هذا

الاعتراض قال الزركشي: (وفائدة ذلك إظهار الولد بما كابדתه أمه من المشقة في حمله

وفصاله فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم لتحملها من المشاق والمتاعب في

حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد)^١ .

٨ - قوله تعالى: ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

أعدت للكافرين ﴾ سورة البقرة: الآيتان / ٢٣ ، ٢٤ . فقله تعالى: ﴿ ولن تفعلوا ﴾ جملة

معتريضة بين الشرط وهو قوله تعالى: ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ وبين جوابه، وهو قوله: ﴿ فاتقوا

النار ﴾ . وفي فائدة الاعتراض قال الألوسي: (والجملة _ ولن تفعلوا _ اعتراض بين

جزأي الشرطية، مقرر لمضمون مقدمها، ومؤكد لإيجاب العمل بتأليها، وهذه معجزة

باهرة، حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به سبحانه، وقد وقع الأمر كذلك، كيف لا، ولو

عارضوه بشيء يدانيه، لتناقلته الرواة، لتوفر الدواعي. وما أتى به مسيلمة لم يقصد به

المعارضة، وإنما ادعاه وحيا)^٢ .

١ الزركشي البرهان ٢ / ٨٧ .

٢ الألوسي، روح المعاني ١ / ١٩٨ .

ثانياً: الإطناب بالجملة التفسيرية.

الجملة التفسيرية: هي الجملة الفضلة الكاشفة والمفسرة لما قبلها.

ومن عادة القرآن تفسير ما هو بحاجة ماسة للتفسير.

الأمثلة:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

مَسْتَهْمِئِينَ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤)

سورة البقرة.

فجملة: (مَسْتَهْمِئِينَ وَالضَّرَاءُ) جملة تفسيرية لجملة: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾^١.

المثال الثاني: قول الله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

يَأْكُلُونَ ﴾ (٣٣) سورة يس.

فلما قال: (الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا) عرّفنا ما هي (الآية)^٢.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٢٥٥) سورة البقرة

^١ انظر الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٦.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

فقوله تعالى: {لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ}، تفسير للقيوم.^١

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ

مُنُوعًا﴾ (٢١) سورة المعارج.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مُنُوعًا﴾. تفسير للهلوع.^٢

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾ (٩) سورة المائدة. فإن هذا تفسير للوعد.^٣

المثال السادس: قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ﴾ (٥٩) سورة آل عمران، فخالقه تفسير للمثال.^٤

المثال السابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١٤١) سورة الأعراف. ، ف[يُذَبِّحُونَ] وما

بعده تفسير للسوم.^٥

وهو في القرآن كثير. لذا فهي عادة قرآنية.

^١ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

^٤ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

^٥ المصدر نفسه ٣ / ٣٦.

ثالثاً: الإطناب بالتكرار.

التكرار من الأساليب المعروفة عند العرب، بل هو من محاسن الفصاحة؛ ولذلك نجد أن التكرار ورد في القرآن كثيراً. ولكون هذه الظاهرة بارزة في القرآن، فقد تعرّض لها المفسرون والبلاغيون، وبيّنوا أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها، كما وحاولوا التعرف على أنماطها التي تمثّلت في تكرار حروف وكلمات و جمل وآيات، وتكرار قصص وأنباء...¹

أقسام التكرار في القرآن:

وقد قسّمه العلماء إلى نوعين:

أحدهما: تكرار المعنى دون اللفظ.

وهو ما يرد كثيراً في القصص، كما هو الحال في قصص الأنبياء، كقصة آدم، وقصة نوح، وقصة لوط عليهم السلام. أو العذاب والنعيم في الآخرة، أو إحياء الموتى يوم القيامة، وبعض الظواهر الكونية كخلق السموات والأرض.. فمع أن هذه القصص والظواهر المذكورة تتكرّر في السور القرآنية، إلا أنها تجيء في كل مرة بصيغة مختلفة، وبمفردات مختلفة، ومن ثمّ فهي تعرّض لأهداف مختلفة. فالألفاظ المستعملة في سياق هذه القصص تختلف من موضع لآخر، أما المعاني والعبر فتتكرّر من حين لآخر.

¹ ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم ٢٧٦هـ، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره: أحمد صقر المكتبة العلمية، ص ٢٣٢-٢٤١.

وفي هذا النوع من التكرار فوائد جمّة، يقول ابن قتيبة مبيّناً إحداها: (إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.. وكانت وفود العرب ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم. وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم. فأراد الله بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير)¹.

فتكرار المعاني دون الألفاظ يجيء في القرآن إذن للدلالة على تكرّر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبية عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاه الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

ثانياً: تكرار اللفظ.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ سورة المؤمنون: ٣٦/٢٣،

وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ

قَدَرُوها تَقْدِيرًا﴾ سورة الإنسان: ١٥/٧٦-١٦.

¹ المصدر نفسه ص ٢٣٢-٢٣٤.

و قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا

سورة الفجر: ٢١/٨٩-٢٢.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَّرَ سورة المدثر: ١٩/٧٤-

٢٠، وقوله عز وجل: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ سورة القيامة: ٣٤/٧٥-

٣٥، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ سورة النبا: ٤/٧٨-٥، وقوله

سبحانه: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ سورة الانفطار: ١٧/٨٢-

١٨، وقوله عز من قائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا سورة الشرح:

٥/٩٤-٦، وقوله سبحانه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ سورة التكاثر:

٤-٣/١٠٢.

وما أمكن حمله على عدم التكرار فلا يحمل على التكرار، مثل:

١. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فاعْبُدُوا مَا

شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ الزمر / ١١. فأعاد قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ وقوله: ﴿قُلْ

إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ لا لتقرير الأول بل لغرض آخر لأن معنى

الأول الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص.^١

٢٠ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة / ٤. فالنكرار هنا غير متجه لأن

هنا عاملين متغايرين (إياك) وكل منهما يقتضي معمولا.^٢

٣٠ قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾

آل عمران / ٤٢. فيحتمل أن يكون اصطفاءين. فلا داعي للحمل على التكرار^٣

٤٠ قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ البقرة /

١٩٨. فيحتمل أن يكون ذكرين.^٤

٥٠ قوله تعالى: ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصافات /

١٧٤. وقال بعدها: ﴿وَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصافات / ١٧٨. ف

[الحين] في الأولى يوم بدر، و[الحين] في الثانية يوم فتح مكة.^٥

فوائد التكرار:

ولقد ذكر المفسرون أن للتكرار فوائد كثيرة وفائدته العظمى التقرير وقد قيل

الكلام إذا تكرر تقرر.

^١ انظر الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ١٠.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ١٠.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ١٠.

^٤ المصدر نفسه ٣ / ١٠.

^٥ المصدر نفسه ٣ / ١٠.

وفيما يلي ذكر الأمثلة على التكرار في القرآن وبيان فوائد ذلك كل في

موضعه:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. تكررت هذه

الجملة في سورة الرحمن أكثر من ثلاثين مرة.

وفائدة هذا التكرار ان الله تعالى عدد على الإنس والجن نعمه التي خلقها لهم فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه.^١

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكررت في سورة

المرسلات عشر مرات

وسبب التكرار انه سبحانه ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول فصار كأنه قال عقب كل قصة ويلى للمكذبين بهذه القصة.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الكافرون / ١.

إلى آخر السورة.

وقد أجاب الزركشي عن سبب التكرار بما يلي:

أولا: أن القصد نفى عبادته لآلهتهم في الحال والاستقبال.

وثانيا: أن الجملة الأولى فعلية والثانية أسمية فالجملة الفعلية نفى لإمكان ان يعبد

آلهتهم والاسمية نفى لاتصافه ان يكون عابدا لآلهتهم.^٢

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ١٨.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ١٨.

المثال الرابع: تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من

سورة البقرة قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤) وقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ

خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(١٤٩) وقال تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ

وَأَخْشَوْنِي وَإِلَّائِي تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٠).

وجوابه: لان المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس

اليهود لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم وأهل النفاق أشد إنكارا له لأنه كان

أول نسخ نزل وكفار قريش قالوا ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع

إلى قبلتنا وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة

إبراهيم وإسماعيل وقد فارق قبلتهما وأثر عليها قبلة اليهود.^١

المثال الخامس: مواضع جاء فيها التكرار للتهويل. ومن أمثلة ذلك ما

يلي

^١ المصدر نفسه ٣ / ١٠

١. قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة / ١.

٢. قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ القارعة ١-٣.

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾. القدر ١-٢.

٤. قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الواقعة / ٤١..

٥. قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا

أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الواقعة / ٩.

٦. قال المفسرون فائدة التكرير في هذه المواضع لمقام التعظيم والتهويل.

المثال السادس: من عادة القرآن إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد

ثانياً تجديداً لعده.

وأمثلة ذلك ما يلي:

١. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ

رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩) سورة النحل. فإنه قال: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ) ثم قال فسي نفس

الآية: (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) ^١

^١ الزركشي البرهان في علوم القرآن ٣ / ١٤.

٢٠ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) سورة

البقرة فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم كرر فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا

عَرَفُوا﴾^١

٣٠ قوله تعالى: ﴿تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَمَّا

تَحَسَّبَتْهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨) سورة آل عمران فقد قال تعالى {لا

تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ} ثم كرر فقال: {فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ}.^٢

٤٠ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ

بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٣) سورة البقرة فإنه تعالى قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ﴾ ثم كرر فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا﴾.^٣

^١ المصدر نفسه ٣ / ١٤.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ١٤.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ١٤.

٥٥ . قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٤) سورة يوسف، حيث قال الله تعالى: ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ

عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ ثم كرر فقال: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي ﴾^١.

رابعاً: الإطناب لرفع الإيهام .

والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة للتأويل قد يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم والقرآن الكريم ليس فيه شيء من هذا بل يذكر القرآن الكريم قيّداً في اللفظ يبين فيه المراد ويرفع الوهم عن النص.

وقد أشار إلى هذه العادة القرآنية ابن قيم الجوزية حيث قال: (إذا تأمل من بصره الله طريقة القرآن والسنة وجدها متضمنة لرفع ما يوهمه الكلام من خلاف ظاهره وهذا موضع لطيف جداً في فهم القرآن)^٢.

وقد مثل ابن القيم بأمثلة على ذلك منها:

٥١ . قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ النساء ١٦٤:

حيث رفع سبحانه توهم المجاز في تكليمه لكليمه ب

فقوله تعالى: (تكليماً) رفع لتوهم أن يكون كلام الله تعالى لموسى مجازاً.^٣

^١ المصدر نفسه ٣ / ١٤.

^٢ انظر ابن القيم، الصواعق المرسلة ١ / ٣٨٩.

^٣ المصدر نفسه ١ / ٣٨٩.

٠٢ قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع

تجاوزكما إن الله سميع بصير﴾ المجادلة ١

فقوله تعالى: (والله يسمع تجاوزكما) رفع لتوهم أن يكون سمع الله تعالى مجازاً.^١

٠٣ قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب

الجنة هم فيها خالدون﴾ الأعراف ٤٢

فقوله تعالى: ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وعملوا الصالحات﴾

رفع لتوهم أن المكلفين عملوا جميع الصالحات المقدور والمعجوز عنها.^٢

٠٤ قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع

الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ الأحزاب ٣٢

فقوله تعالى: (وقلن قولا معروفا) رفع لتوهم الإذن في الكلام المنكر لما نهين عن

الخصوع بالقول.

٠٥ قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من

الفجر﴾ البقرة ١٨٧

فرفع النص القرآني توهم فهم الخيطين من الخيوط بقوله من الفجر.^١

^١ المصدر نفسه ١ / ٣٨٩.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٣٨٩.

خامسا: الإطناب في بعض المجالات.

من عادة القرآن التوسع والإطناب في بعض المجالات وهي.

١. التوسع في النظر في الملكوت، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾ البقرة / ١٦٤.

٢. التوسع في العقائد الإلهية: لتنمكّن في النفوس، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ

بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ القيامة / ٤٠. وذلك بعد ذكر النطفة ونقلها في مراتب الوجود

وتطورات الخلقة.^٣

٣. التوسع في ترادف الصفات، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ

مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِيرْهَا﴾، النور / ٤٠.

فإنه لو أراد اختصاره لاكتفى بقوله: (أَوْ كَلَّمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي).^٤

^١ المصدر نفسه ١ / ٣٨٩.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

^٤ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

٤٠ التوسع في الـذم، كقوله تعالى: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ

بَنَمِيمٍ (١١) مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا

تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سورة القلم^١

^١ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

المبحث الثامن:

عُرف القرآن الكريم في استعمال الأفعال والأسماء

للقرآن الكريم عادات انفرد بها عن الاستعمال اللغوي في طريقة استعمال الفعل

أو الاسم أو استعمال صيغة معينة من الفعل مع غرض ما ونحو ذلك سيتم دراسته في هذا المبحث كما يلي:

أولاً: عادة قرآنية في استعمال الاسم والفعل

الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على التجدد والحدوث، لذا جرت

عادة القرآن أن يفرق بينهما في الاستعمال.

والذي يدل أن هذه عادة قرآنية ما حكاه السيوطي عن ابن المنير حيث قال:

(طريقة العربية تلوين الكلام ومجيء الفعلية ثارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكره)^١

الأمثلة:

١٠ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِأَسْطِ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الكهف / ١٨.

قال السيوطي: (ولو قال يبسط لم يؤد الغرض لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط

وأنه يتجدد له شيئاً بعد شيء فبأسط أشعر بثبوت الصفة)^٢

٢٠ قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ فاطر / ٣.

^١ انظر السيوطي الإتيان في علوم القرآن ١ / ٥٨٠.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٥٧٨.

قال السيوطي: (لو قيل رازقكم لغات ما أفاده الفعل من تجدد الرزق شيئاً بعد

شيء)^١

٣٠ قوله تعالى: ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (١٦) ﴿ يوسف.

إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء وأنهم أخذون في ذلك وإن

بكاءهم يتجدد شيئاً بعد شيء.^٢

٤٠ وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٩٥) { فلما كان الاعتناء بشأن إخراج الحي من

الميت أشد أتى فيه بالمضارع ليدل على التجدد.^٣

ثانياً: عادات للقرآن في استعمال صيغة الماضي والمضارع في الفعل

من عادة القرآن أنه يستعمل صيغة الفعل المضارع إذا كان هذا مما يكثر

تكراره، ويستعمل صيغة الماضي إذا قل تكرار الفعل.

الأمثلة:

١٠ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فْتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ

^١ المصدر نفسه ١ / ٥٧٨.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٥٧٨.

^٣ المصدر نفسه ١ / ٥٧٨.

كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَنْتَهُمُ مِيثَاقَ فِدْيَةِ مُسْلِمَةٍ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

مُسْتَأْجَرَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ (النساء)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ

وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (النساء)

ومن الواضح جدا ان القتل الخطأ نادرا ما يحدث لذا استعمل القرآن معه لفظ

الماضي (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً)، بينما القتل العمد بإرادة المرء فهو كثيرا ما يحدث لذا

جاء الفعل بصيغة المضارع ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ .

٢٠ قال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

فالشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله لذا جاء بصيغة المضارع، أما قوله

تعالى (ومن كفر) جاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط.

٣٠ قال تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْلُوا﴾ (٣٧) (محمد)

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

عُذْرًا﴾ (٧٦) (الكهف)

أما سؤال الأموال فمتكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع، وأما السؤال في آية الكهف فهو سؤال من موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي.

ثالثاً: استعمال القرآن لصيغة الماضي في الحديث عن الآخرة

قال ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْنٌ﴾ قال قائل منهم إني كان لي قرن ﴿الصفافات ٥٠-٥١﴾ (جيء به ماضياً على عادة الله تعالى فسي أخباره) ^١

وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: (يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا، إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله تعالى في أخباره) ^٢.
فالأصل هنا أن يأتي الحديث بصيغة المستقبل لأن إخباره عن المستقبل، غير أن الصيغة جاءت بالماضي.

وهذا الأسلوب ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾. النمل / ٨٧.
وقوله تعالى في الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ الزمر / ٦٩.

^١ الزمخشري، الكشاف، ٤/٤٦

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/٨٣

وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾. إبراهيم / ٢١.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا﴾. الأعراف / ٤٨.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ آل عمران / ٥٥. أي يقول.

و الفائدة من استعمال القرآن لصيغة الماضي في الحديث عن الآخرة هو تأكيد

هذه الأخبار المستقبلية وإفادة التحقيق ووقوع ذلك حتى كأنه قد وقع.

ولقد أشار إلى هذه الفائدة ابن عاشور والبيضاوي. حيث قال ابن عاشور في

تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ

عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجُزْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾

إبراهيم ٢١ - ٢٣

قال: (وحيء في حكاية هذه الحالة بصيغة الفعل الماضي مع إنها مستقبلية

لإفادة التحقيق ووقوع ذلك حتى كأنه قد وقع على نحو قوله أتى أمر الله والقرينة هي

الفريق على الأخبار المتعلقة بأحوال الآخرة)^١.

رابعاً: عادة قرآنية في استعمال المصدر مرفوعاً أو منصوباً

يفرق القرآن في استعمال المصدر رفعا ونصبا، ذلك ان المصدر إذا قصد به

الواجب جاء مرفوعاً، وإذا قصد به المندوب جاء منصوباً.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢/٢٤٣

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة / ٢٢٩. على الرفع

في إمساك وفي تسريح لأنهما من الواجبات على الرجل فلا خيار له إلا الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ سورة محمد / ٤. على

النصب لأنه من المندوبات.

قال الثعالبي: (وقوله تعالى: (فإتباع) تقديره فالواجب والحكم إتباع وهذا سبيل

الواجبات كقوله تعالى فإمساك بمعروف وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى فضرب الرقاب)^١.

وقال السيوطي: (والأصل في هذه التفرقة في قوله تعالى فقالوا سلاما قال سلام

فإن الأول مندوب والثاني واجب والنكتة في ذلك أن الجملة الاسمية أثبت وأكد من الفعلية)^٢

خامسا: عادة قرآنية في عودة الضمير على الجمع.

من عادة القرآن ان الضمير إذا عاد على الجمع فينظر إلى الجمع فان

كان جمع العاقلات فالضمير يكون بصيغة الجمع غالبا بغض النظر عن كونه جمع

قلة أو جمع كثرة، وان كان الجمع المذكور لغير العاقلات فيفرق فيه بين القلة

والكثرة فالغالب في جمع الكثرة الإفراد وفي القلة الجمع.

^١ تفسير الثعالبي ١ / ١٣٤.

^٢ السيوطي الإتقان في علوم القرآن ١ / ٥٨٠.

قال السيوطي: (جمع العاقلات ^١ لا يعود عليه الضمير غالبا إلا بصيغة

الجمع سواء كان للقلة أو للكثرة. ... وأما غير العاقل فالغالب في جمع الكثرة الإفراد وفي القلة الجمع) ^٢.

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾ البقرة / ٢٣٣.

و قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة / ٢٢٨.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾ التوبة. وقال تعالى: { فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ }، فأعاده جمعا

على أربعة حرم وهي للقلة.

ومما شذ عن العادة قوله تعالى: (أزواج مطهرة) ولم يقل مطهرات.

سادسا: بناء الفعل المضاف إلى الله تعالى للمعلوم وللمجهول .

قال ابن القيم: (الطريقة المعهودة في القرآن الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة

^١ ورد عند السيوطي (العاقلات) والصواب ما ذكرت.

^٢ السيوطي الإتيان ١ / ٥٥٣.

والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبني الفعل معها للمفعول فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول^١ الأمثلة:

١٠ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ﴾ الشعراء ٧٨ ٨٠: (تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله وأسند المرض إلى نفسه إذ هو معنى نقص ومعابة وليس من جنس النعم المتقدمة.^٢

١١ قال تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الفاتحة / ٦.

ان الله تعالى ذكر النعمة فأضافها إليه ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول.^٣

١٢ ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا لَأَنْدَرِي أَشْرَأَ رِيدَ بَنِي فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ

بِهِمْ رَيْدَهُمْ رَشْدَ﴾ الجن / ١٠.

فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب وحذفوا فاعل إرادة الشر وبنوا الفعل للمفعول.^٤

^١ ابن القيم، بدائع الفوائد ٢ / ٢٥٦.

^٢ انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٧.

^٣ ابن القيم، بدائع الفوائد ٢ / ٢٥٦.

^٤ انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٧.

٥٤ . قول العبد الصالح في السفينة قال تعالى: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فأضاف العيب

إلى نفسه وقال في الغلامين: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ ٨٢ الكهف ١

٥٥ . ومنه قوله تعالى: ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة ١٨٧

فحذف الفاعل وبناءه للمفعول لأنه لا يحسن أن لا يقترب اسم الله بالرفث.^٢

٥٦ . وقال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة ٢٧٥.

فصرح بالاضافة عند تحليل البيع ولم يذكر ذلك عند الربا.^٣

نعم من عادة القرآن ان ينسب الخير إلى الله تعالى وكذلك النعم والتفضل ويزه نسبة

السوء اليه سبحانه فقد يقول تعالى: ﴿ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ

يَعْمَهُونَ ﴾ (النمل آية ٤) لكن لا يقول: زينا لهم سوء أعمالهم. وقال تعالى حيث لم ينسب

لنفسه: ﴿ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ ﴾ (التوبة آية ٣٧) وقوله تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ ﴾ (آل

عمران آية ١٤) وقوله تعالى: ﴿ وَزَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ ﴾ . (غافر آية ٣٧) وقوله تعالى:

﴿ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ﴾ (فاطر آية ٨) و قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾

(الانفال آية ٤٨)

^١ المصدر نفسه ١١ / ٣٧.

^٢ ابن القيم، بدائع الفوائد ٢ / ٢٥٦.

^٣ المصدر نفسه ٢ / ٢٥٦.

أما النعمة فينسبها الله تعالى إلى نفسه لأن النعمة كلها خير مثل:

قوله تعالى: ﴿رَبِّي بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ (القصص آية ١٧)

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ (الزخرف آية ٥٩)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْكَانَ يَتُوسَا﴾

(الأنعام آية ٨٣)

ولم ينسب سبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ امسْكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الأحزاب آية ٣٧) فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله

تعالى عليه.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيِّمِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ البقرة / ١٨٧. وقال

تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ النساء / ٢٤. فحذف الفاعل عند ذكر

الرفث وهو الجماع وصرح به عند إحلال العقد.

وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ المائدة / ٣.

فحذف الفاعل عند ذكر هذه الأمور وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ الْأَشْرَكَ

بِهِ شَيْئًا وَيَا لَوِ الدِّينَ إِحْسَانًا﴾ الأنعام / ١٥١. وقال تعالى: ﴿وَأَحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة /

٢٧٦. وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران، ولم يقل

والشر وإن كانا جميعا بيده، وقوله تعالى: { فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) } سورة يوف، فأضافه إلى نفسه حيث صرفه ولما ذكر السجن أضافه
إليهم فقال {لَيَسْجُنَنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ} وإن كان سبحانه هو الذي سبب السجن له وأضاف ما منه
الرحمة إليه وما منه الشدة إليهم.

المبحث التاسع:

عُرف القرآن الكريم في أسلوب الوعظ.

للقرآن الكريم عادات في أسلوب الوعظ منها:

١. عاداته في استعمال الترغيب والترهيب.

٢. عاداته في ان يقرن بين الكلام عن الطائفتين المؤمنين والكفار ويقابل بينهما

في كثير من مواضع القرآن.

٣. عاداته في انتهاز الفرصة للوعظ ففي كل موطن يجد القرآن الفرصة سانحة

لاصطياد النفوس فانه ينبري للوعظ.

وفي هذا المبحث سيتم دراسة هذه العادات.

أولاً: عادة القرآن ذكر التقابل بين المؤمنين وبين الكافرين.

من عادة القرآن الكريم المقابلة بين حال ومصير الفريقين المؤمنين و الكافرين.

الأمثلة:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ

وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتُ

بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِلِينَ ﴿ (١٢) سورة التحريم

لما ضرب المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة

فيتضح مقصود المثلين معا.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ

فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلِسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ

هُمْ لَأَمَانًا لَهُمْ وَعَهْدُهُمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ ۖ سورة المعارج.

قال ابن عاشور: (والكلام استئناف بياني لمقابلة أحوال المؤمنين بأحوال

الكافرين ووعدهم بوعيدهم على عادة القرآن في أمثال هذه المقابلة

وهذه صفات ثمان هي من أشعار المسلمين فعدل عن إحضارهم بوصف المسلمين

إلى تعداد خصال من خصالهم إطنابا في الثناء عليهم لأن مقام الثناء مقام إطناب وتنبيهها

على أن كل صلة من هذه الصلات الثمان هي من أسباب الكون في الجنات)^١.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٥٦٢

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَاتٍ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا

(٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿ (٣٦)

سورة النبأ

جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذرين بتبشير من هم

أهل للتبشير.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَيَعِيمٍ (١٧) فَأَكِينُ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ

وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ (١٩) سورة الطور

هذه الجملة معترضة بين ما قبلها وجملة (أم يقولون شاعر)، قال ابن عاشور:

(استئناف بياني بعد أن ذكر حال المكذبين وما يقال لهم فمن شأن السامع أن يتساءل عن

حال أصدادهم وهم الفريق الذين صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم.. وعادة القرآن

تعقيب الإنذار بالتبشير وعكسه) ^١.

المثال الخامس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)

يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ

أَمِينٍ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ (٥٧) سورة الدخان

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤١٦٦

قال ابن عاشور: (استئناف ابتدائي انتقل به الكلام من وصف عذاب الأثيم إلى

وصف نعيم المتقين لمناسبة التضاد على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والعكس)^١

ثانيا: عادة القرآن في الوعظ الجمع بين الترغيب والترهيب والشدة

واللين.

الشاطبي: (إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهب، في لواحقه أو

سوابقه أو قرائنه وبالعكس، وكذلك الترجية مع التخويف، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله،

ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار، وبالعكس؛ لأن في ذكر أهل الجنة بأعمالهم

ترجية، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفا، فهو راجع إلى الترجية والتخويف)^٢

الأمثلة:

١٠ من أمثلة ذكر الرحمة مقرونة مع العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة (١٦٣)

قال أبو حيان: (جاءت هذه الآية عقيب آية مختومة باللعنة والعذاب لمن مسات

غير موحد له تعالى إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة، وإذا

ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب)^٣.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٣٩٦٧

^٢ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ٧٩٠هـ، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (٤ / ١٦٧). واستفاد القاسمي من هذا المبحث في مقدمة تفسيره. انظر منه (٧٦/١).

^٣ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٤ / ٧٦٥.

٥٢. ومن أمثلة تعقيب الإنذار بالبشارة قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما

معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب

سيئة وأحاطت به خطيئة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * والذين آمنوا وعملوا الصالحات

أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ البقرة ٨٠-٨٣.

ذكر ابن عاشور أن قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب

الجنة هم فيها خالدون﴾ تذييل لتعقيب النذارة بالبشارة على عادة القرآن.^١

ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون

في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله

الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منة ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً

رحيماً ﴿ النساء ٩٥-٩٦

فلما لام الله بعض المجاهدين على ما صدر منهم من التعمق في الغاية من

الجهاد، عقب ذلك بيان فضل المجاهدين كي لا يكون ذلك اللوم موهماً انحطاط فضيلتهم

في بعض أحوالهم، على عادة القرآن الكريم في تعقيب النذارة بالبشارة دفعا لليأس من

الرحمة عن أنفس المسلمين.^٢

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥٦٣/١.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢٧/٤.

ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من

تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا﴾ النساء ١٢٢.

حيث عطف على جملة (أولئك مأواهم جنهم) جريا على عادة القرآن في

تعقيب الإنذار بالبشارة، والوعيد والوعد.^١

٢٠ ومن أمثلة تعقيب التهيب بالترغيب قوله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله

فأتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران ٣١.

حيث ذكر الإمام أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما

عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله

رءوف بالعباد﴾ آل عمران ٣٠، انتقل إلى الترغيب بعد التهيب على عادة القرآن.^٢

ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في

سبيله لعلكم تفلحون) المائدة ٣٥ فقد اعترض بين الآيات وعيد المحاربين وإحكام جزائهم وبين ما بعده من

قوله (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا﴾ المائدة ٣٦.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٥٩/٤

^٢ المصدر نفسه ٧٨/٣

خاطب المؤمنين بالترغيب بعد أن حذرهم من المفسد، على عادة القرآن الكريم في تخلل الأعراض بالموعظة والترغيب والترهيب، وهي طريقة من الخطابة لاصطياد النفوس.^١

وأيضاً قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ

أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)﴾ الكهف. قال ابن عاشور: (جملة مستأنفة استئنافاً بياناً

مراعي فيه حال السامعين من المؤمنين، فإنهم حين يسمعون ما أعد للمشركين تتشوف نفوسهم إلى معرفة ما أعد للذين آمنوا ونبذوا الشرك فأعلموا أن عملهم مرعي عند ربهم. وجرياً على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب)^٢.

وأيضاً: لما ذكر حال الكفرة الأشقياء ذكر حال المؤمنين السعداء على عادة القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

وَعِيمٍ (١٧) فَأَكْبَهْنَ بِمَا أَتَاهُنَّ رَبُّهُنَّ وَوَقَاهُنَّ رَبُّهُنَّ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (١٨).

٤٠ ومن أمثلة تعقيب اللوم بالعفو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ

تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا

وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل

عمران ١٥٢ وعقب الملام بقوله (وقد عفا عنكم) تسكيناً لخواطرهم، وفي ذلك تلطف

^١ المصدر نفسه ٩٦/٥

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩٦/٥.

معهم على عادة القرآن في تقريره المؤمنين، وأعظم من ذلك تقديم العفو على الملام في ملام الرسول عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ التوبة ٤٣، فتلك رتبة أشرف من رتبة تعقيب الملام بذكر العفو.^١

٥٠ ومن أمثلة تعقيب الشدة باللين قوله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا

تحشوهم واخشون﴾ المائدة ٣

فقد أعقب فرض بعض الأحكام تحريم بعض العادات الجاهلية بأن نكسهم بفوزهم على من يناوئهم، وبمحاسن دينهم وإكماله، فإن من إكمال الإصلاح إجراء الشدة عند الاقتضاء. وذكرهم بالنعمة، على عادة القرآن في تعقيب الشدة باللين. وكان المشركون زماناً، إذا سمعوا أحكام الإسلام رجوا أن تنقل على المسلمين فيرتدوا عن الدين، ويرجعوا إلى الشرك.^٢

تغليب احد جانبي الترغيب والترهيب على الآخر:

قال الشاطبي: (وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال، فيرد التخويف ويتسع مجاله، لكنه لا يخلو من الترجية. .. وترد الترجية أيضاً ويتسع مجالها، وذلك في مواطن القنوط ومظنته، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ سورة الزمر، الآية: ٥٣ فهذا موطن خوف يخاف منه القنوط، فجاء فيه بالترجية غالبية .. ولما كان جانب الإخلال

^١ المصدر نفسه ٢٥٣/٣ - ٢٥٤

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/٥

من العباد أغلب كان جانب التخويف أغلب، وذلك في مظانه الخاصة، لا على الإطلاق؛ فإنه إذا لم يكن هنالك مظنة هذا، ولا هذا أتى الأمر معتدلاً^١.^٢

خلاف العادة:

وهذه العادة التي ذكرها العلماء ليست على اطرادها، فيرد الترغيب من غير ترهيب والعكس أيضاً.

الأمثلة:

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ سورة الهمزة، الآية: ١ إلى آخرها فإنها كلها تخويف.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفٍ﴾ سورة العلق، الآية: ٦، ٧ إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ سورة الفيل، الآية: ١ إلى آخر السورة...

وفي الطرف الآخر قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ سورة الضحى، الآية: ١، ٢ إلى آخرها وكل السورة ترغيب لا ترهيب فيه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ سورة الشرح، الآية: ١ إلى آخرها^٣.

^١ الشاطبي، الموافقات (١٧٠/٤ - ١٧٢).

^٢ المصدر نفسه ١٧٠/٤

^٣ لنظر الشاطبي، الموافقات (١٧٢/٤).

وقد أجاب الشاطبي ان على ان هذه الآيات من حوادث العين التي لا تبطل

اطراد القاعدة فقال: (قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ سورة الهمزة، الآية: ١ قضية

عين في رجل معين من الكفار، بسبب أمر معين، من همزه النبي عليه الصلاة والسلام
وعيه إياه، فهو إخبار عن جزائه على ذلك العمل القبيح، لا أنه أجري مجرى التخويف،

فليس مما نحن فيه. وهذا الوجه جار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾

استغنى ﴿سورة العلق، الآية: ٦، ٧... وكذلك سورة الضحى، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

صَدْرَكَ﴾ سورة الشرح، الآية: ١ غير ما نحن فيه، بل هو أمر من الله للذي عليه الصلاة
والسلام بالشكر لأجل ما أعطاه من المنح)^١.

ثالثا: عادة القرآن تخير الفرصة للوعظ.

من عادة القرآن الكريم ان يستغل الوقت المناسب ويتخير الفرصة للوعظ

والإرشاد.

الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ

اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢١٢) سورة البقرة

الذين اتقوا هم المؤمنون الذين سخر منهم الذين كفروا ثم عدل الله تعالى عن قول

وهم فوقهم يوم القيامة إلى قوله والذين اتقوا فوقهم ؛ لأن أولئك المؤمنين كانوا متقين

^١ المصدر نفسه (١٧٥/٤)

وكان مقتضى الظاهر أن يقال وهم فوقهم، أو عدول آخر فكان بالإمكان أن يقال والذين آمنوا فوقهم يوم القيامة بدل والذين اتقوا.

أما العدول الأول وهو العدول من الضمير إلى الاسم الظاهر فحذرا من الالتباس فعندها قد يقال من فوق من المؤمنون أم الكافرون.

وأما العدول الثاني: فسببه تخير فرصة الوعظ للتذكير بأهمية التقوى الداعية إلى الصبر على ما يقول الكافرون.

قال ابن عاشور: (عدل عن الإضمار إلى اسم ظاهر لدفع أيهام أن يغتر الكافرون بأن الضمير عائد إليهم. فعدل لذلك عن الإضمار إلى الإظهار)

وقال: (لم يكن بالاسم الذي سبق أعني (الذين آمنوا) لقصد التنبيه على مزية التقوى وكونها سببا عظيما في هذه الفوقية على عادة القرآن في انتهاز فرص الهدى والإرشاد ليفيد فضل المؤمنين على الذين كفروا وينبه المؤمنين على وجوب التقوى لتكون سبب تفوقهم على الذين كفروا يوم القيامة)¹

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٥) سورة المائدة.

هذه الآية اعترضت بين وعيد المحاربين وبين قوله تعالى: ﴿ إِن الَّذِينَ كَفَرُوا

لَأَن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الآية.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٥٨٤

والسبب في هذا الاعتراض انتهاز لفرصة وعظهم لثلا يفعلوا هذا الفعل.^١

المثال الثالث: قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

(٥٥) سورة الاعراف

هذه الجملة جملة اعتراضية بين جملة (يغشي الليل النهار) وجملة (وهو

الذي يرسل الرياح) وهي آيات تتكلم عن دلائل وحدانية الله تعالى.

والسبب في اعتراضها أنها جاءت في وقت مناسب بعد ان تطلعت النفوس لقدرة

الله ورعايته لأمر خلقه وتدبيره لمملكته لتستغل هذا العلم وهذا الذكر ان يدعوا ربهم

ويطلبوا حوائجهم.

قال ابن عاشور: (جرى هذا الاعتراض على عادة القرآن في انتهاز فرص تهيو

القلوب للذكرى)^٢.

المثال الرابع: قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ

الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) سورة الإسراء

هذا الكلام جاء بعد وعظ الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركين ونهيهم عن

شركهم، لذا جاء الخطاب بعد ذلك للمؤمنين استغلالا لعظهم بعد ان وعظ المشركون.

قال ابن عاشور: (لما أعقب ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه إلى

المشركين من أقوال تعظم وتنهاتهم من قوله تعالى: (قل لو كان معه آلهة كما تقولون)

¹ المصدر نفسه ١ / ١١٣٢.

² المصدر نفسه ١ / ١٥٥٤.

وقوله (قل كونوا حجارة) وقوله (قل عسى أن يكون قريبا) نثي العنان إلى إبلاغ المؤمنين تأديبا ينفعهم في هذا المقام على عادة القرآن في تلوين الأغراض وتعقيب بعضها ببعض أضعافها استقصاء لأصناف الهدى ومختلف أساليبه ونفع مختلف الناس ولما كان ما سبق من حكاية أقوال المشركين تنبئ عن ضلال اعتقاد نقل الكلام إلى أمر المؤمنين بأن يقولوا أقوالا تعرب عن حسن النية وعن نفوس زكية. وأوتوا في ذلك كلمة جامعة وهي (يقولوا التي هي أحسن) ^١

المثال الخامس: قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْبِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة فصلت اهتزت وربت) (ومن آياته أن ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر...) فلماذا جاء التعقيب بالكلام عن البعث؟

السبب في ذلك أن هذا المقام فرصة جيدة للتذكير بيوم القيامة خاصة بعد نظرت النفوس ببصيرتها إلى عظيم قدرة الله تعالى في الخلق.

قال ابن عاشور في تفسير الآية: (إمّا لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرد الله تعالى بالخلق والتدبير ووقوعه على عادة القرآن في التفتن وانتهاز فرص الهدى إلى الحق) ^١

^١ المصدر نفسه ١ / ٢٤٦٩

المثال السادس: قال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)) سورة القمر

انشقاق القمر معجزة نبوية حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم. فما

هو السر في هذا الاقتران بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر ؟

قد يكون السبب ان هذه المعجزة تجعل من تخير الفرصة للوعظ والتذكير

بالساعة لذا اقترنت بها.

قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: (من عادة القرآن أن ينتهز الفرصة لإعادة

الموعظة والتفكير حين يتضائل تعلق النفوس بالدنيا وتفكر فيما بعد الموت وتغير اذانها

لداعي الهدى. فتنتهياً لقبول الحق في مضان ذلك على تفاوت في استعدادها وكم كان مثل

هذا الانتهاز سبباً في أيمان قلوب قاسي فإذا أظهر الله الآيات على يد رسول الله صلى الله

عليه وسلم لتأييد صدقه شفع ذلك بإعادة التذكير كما قال تعالى (وما نرسل بالآيات إلا

تخويفاً) (٢)

المثال السابع: قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ (٢٧) سورة الرحمن.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٣٨٢٤

2 عن أنس بن مالك قال: (سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يرهم آية فأراهم انشقاق القمر) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يرهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر وجامع الترمذي (٥ / ٣٢١٢). زاد الترمذي عنه: (فانشق القمر بمكة فرقتين فلزلت) اقتربت الساعة وانشق القمر) إلى قوله تعالى: (سحر مستمر).

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٢١٧

ما هو السر في هذا الارتباط بين موت كل من على الأرض وبقاء الله تعالى مع الآية التي قبل هذا وهي تتكلم عن نعم الله تعالى على عبادة وخاصة نعمة حمل السفن في البحار ؟

الذي يوضح ذلك عادة القرآن في تخير الفرصة المناسبة للوعظ، ذلك ان تعداد النعم على بني ادم وخاصة نعمة حمل السفن في البحار التي فيها نجاة العباد من الغرق والموت، كانت هنا الفرصة سانحة ان يذكرهم بأنهم وان نجوا من الغرق فإنهم لا نجاة لهم من الموت أبدا.

لما كان قوله: (وله الجوازي المنشآت في البحر كالأعلام) مؤذنا بنعمة أيجاد

أسباب النجاة من الهلاك وأسباب السعي لتحصيل ما به إقامة العيش إذ يسر للناس السفن عوناً للناس على الأسفار وقضاء الأوطار مع السلامة من طغيان ماء البحار وكان وصف السفن بأنها كالأعلام توسعة في هذه النعمة أتبعه بالموعظة بأن هذا لا يحول بين الناس وبين ما قدره الله لهم من الفناء على عادة القرآن في الفرص للموعظة والتذكير. وقائدة هذا أن لا ينسوا الاستعداد للحياة الباقية بفعل الصالحات وأن يفكروا في عظيم قدرة الله تعالى ويقبلوا على توحيده وطلب مرضاته^١

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٢٥١

المبحث العاشر:

عُرف القرآن الكريم في تناول القصص

القصص: بالفتح الخبر المقصوص والقِصص، بكسر القاف: جمع

القصة التي تكتب^١.

ولم يُعرف العرب أسلوب القصة إلا نزرًا، ولما جاءهم القرآن بهذا الأسلوب بهرهم، قال ابن عاشور: (كان فن القصص مفقودا من أدب العربية إلا نادرا كان في بعض الشعر كآيات النابعة في الحية التي قتلت الرجل وعاهدت أخاه وغدر بها فلما جاء القرآن بالأوصاف همت به العرب كما في سورة الأعراف من وصف أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف)^٢.

و القصة القرآنية لها خصائص تميزها عن غيرها، وقد جرى في القرآن الكريم

عادات في القصة منها:

أولاً: من عادة القرآن حكاية أقوال المحكي عنهم:

يصوغ القرآن القصة على ما يقتضيه أسلوبه هو لا على الصيغة التي صدرت

من أصحابها، ويدل على هذا أيراد القصة بصيغ مختلفة والقصة واحدة، وأيضاً أصحاب

القصة لا يملكون بلاغة اللفظ القرآني وجاء اللفظ القرآني بالبلاغة.

فقوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ

امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) سورة القصص.

^١ الرازي، مختار الصحاح مادة قصص ١ / ٥٦٠.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١ / ٦٧.

يختلف عن قوله تعالى: (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ

عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) سورة طه.

فهو قال موسى عليه السلام لأهله جذوة أم قال قبس، والقصة واحدة ؟

والجواب ان الكلام كلام الله تعالى يتكلم بالألفاظ المناسبة لكل مقام.

ثانيا: عادة القرآن في رد حكاية الآخرين أو إقرارهم.

قال الشاطبي: (كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها -

وهو الأكثر - رد لها، أو لا، فإن وقع رد فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن

لم يقع معها رد فذلك دليل على صحة المحكي وصدقه)^١.

أمثلة الأول:

وقد مثل على الأول بأمثلة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ سورة الأنعام، الآية: ٩١.

فأعقب بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ سورة الأنعام، الآية: ٩١.

^١ الشاطبي الموافقات ٣ / ٣٥٣. قال شيخنا الدكتور ياسر الشمالي: (هذا ليس على إطلاقه، فقد جاء في سورة الكهف: (وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَنْهُمْ لِيَمْلَمُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بَيْنَهُمْ أَمْزَهِمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَظْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْزِهِمْ لِنَتَّخِذُنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١)) ولم يرد القرآن الكريم ولا يعد هذا إقرارا للفعل ويدل على بطلانه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ١ / ١٦٥ ، أخرجه مسلم في المسجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم ١٥٢٩ / ٣٦٧

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾

سورة الفرقان، الآية: ٤. فرد عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَرُوءًا﴾ سورة الفرقان،

الآية: ٤.

وقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَكْدًا﴾ سورة البقرة، الآية: ١١٦ ثم رد عليهم بأوجه

كثيرة ثبتت في اثناء القرآن كقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ سورة الأنبياء، الآية: ٢٦،

وقوله: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة البقرة، الآية: ١١٦، وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ

الْغَنِيُّ﴾ سورة يونس، الآية: ٦٨ الآية، وقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ

الْأَرْضُ﴾ سورة مريم، الآية: ٩٠

وقال الشاطبي: (وأما الثاني فظاهر أيضا، ولكن الدليل على صحته من نفس

الحكاية وإقرارها، فإن القرآن سُمي فرقانا، وهدى، وبرهانا، وبيانا، وتبينانا لكل شئ،

وهو حجة على الخلق على الجملة والتفصيل والإطلاق والعموم، وهذا المعنى يَأْبَى أَنْ

يحكى فيه ما ليس بحق ثم لا ينبه عليه)^١.

ومن أمثلة هذا القسم: جميع ما حكى عن المتقدمين من الأمم السالفة مما كان

حقا، كحكايته عن الأنبياء والأولياء، ومنه قصة ذي القرنين، وقصة الخضر مع موسى

عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف، وأشباه ذلك..^٢

^١ الشاطبي الموافقات ٣ / ٣٥٣.

^٢ المصدر نفسه (٣/ ٣٥٣)

قال الشاطبي مبينا بعض فوائد هذا الاسلوب: (استنبط جماعة من الأصوليين أن الكفار مخاطبون بالفروع من قوله تعالى: (قالوا لمنك من المصلين ولمنك نطعم المسكين) [المذثر: ٤٣، ٤٤] ^١

ثالثا: تكرار القصص.

جرت عادة القرآن الكريم بتكرير القصة في مواطن عديدة، بقصد العظة والاعتبار ولكن بإيجاز دون توسع، لاستكمال جميع حلقات القصة، وللتشويق إلى سماع الأخبار دون سآمة أو ملل.

و تكرار القصص في القرآن كثير كقصة إبليس في السجود لأدم وقصة موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء.

قال القرطبي: (ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن، وكررها بمعنى واحد، وفي وجوه مختلفة، وبألفاظ متباينة، على درجات البلاغة والبيان) ^٢ وفوائد ذلك كثيرة منها ^٣:

١٠ إذا كرر القصة زاد فيها شيئا لم يذكر من قبل.

^١ المصدر نفسه ٣/ ٣٥٣

^٢ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٠١.

^٣ ذكر الزركشي في البرهان (٢٧١٣)، و (٢٥/٣ - ٢٨) أكثر من عشر فوائد للتكرار القصصي، وهي قريبة أو داخلية فيما أشرت إليه، فاخترت الإيجاز على التفصيل.

٢٠. لولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى

آخرين وكذلك سائر القصص فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة القوم.

٣٠. تثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: ﴿ وكلا نقص عليك من

أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ سورة هود: ١٢٠، ١١١، وفي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم

تسليية وتصبير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين من بعده - على ما يلقاه

من أذى المشركين وتكذيبهم ، كما قال تعالى: ﴿ ولقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى

مَا كُذِّبُوا وَأَوْدَوْا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾

الأنعام: ٣٣ - ٣٤.

٤٠. إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى

ما فيه من الفصاحة.

ذلك أن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلونة وصور بيانية

متنوعة، دون أن يختل نظمه، أو يضعف مستواه، لهو مما يعجز عنه أبلغ

الفصحاء.. وفي هذا المعنى يقول الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: (إن إعادة القصة

الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً.. من الأمر الصعب الذي تظهر فيه
الفصاحة وتبيين البلاغة^١.

٥ . لدواعي الإعجاز وبيان عدم القدرة على المعارضة.

ذلك أن القرآن كما تحدّاهم بتتوع أساليبه الكثيرة.. تحداهم كذلك بمحاكاة
أسلوب واحد من أساليبه الكثيرة، يقول الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن: (ونبهوا
بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكرراً^٢).

و لا نجد القصة تعاد كما هي في القرآن، و إنما يذكر الجزء المناسب للغرض
و المقصد الذي اقتضى الاستشهاد بالقصة باستعراض سريع .
أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادراً و لاستنباط دروس و عبر جديدة منه مما يجعله على
الحقيقة غير مكرر وفي كل موضع عبرة و عظة و حكمة و دروس.
و إذا كرر القرآن القصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلست
منها المواضع الأخرى^٣.

ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي سورة طه: ٢٠ وصفها
الحق سبحانه بأنها ﴿حِيتٌ تَسْمَى﴾ وفي سورة الأعراف: ١٠٧: ﴿ثَبَانٌ مُبِينٌ﴾ وفي
سورة النمل: ١٠ ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ﴾.

^١ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار
المعارف - القاهرة ج ١ / ٦١.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٦١.

^٣ انظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن: (٢٥/٣-٢٧).

(فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخفة والنشاط وسرعة الحركة،

وهي كأنها جان لكونها مرعبة)

خلاف العادة:

على غير عادة القرآن في تكرار القصص، لم تتكرر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في القرآن، وقد ذكرت في موضع واحد دون غيرها من القصص. وذلك إشارة إلى عجز العرب كأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم إن كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت فسي قصص سائر الأنبياء. ولما في هذه السورة من تشبيب النسوة بيوسف عليه الصلاة والسلام، فناسب عدم تكرارها لأجل السستر.¹

رابعاً: الاختصار في سوق القصص والاكتفاء بما يؤدي القصد

المثال الأول: قوله تعالى: (إنا بلونا همك ما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين [١٧] ولا يستنون [١٨] سورة القلم

قال ابن عاشور: (وأجمل ذلك اعتماداً على ما هو معلوم للسامعين من تفصيل

هذه القصة على عادة القرآن في أيجاز حكاية القصص بالاختصار على موضع العبارة

منها²

¹ المصدر نفسه ٢٩ / ٣.

² ابن عاشور، التحرير والتوير ١ / ٤٥٢٣

المثال الثاني: قوله تعالى: (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما

وقال ما نهاكما ربكما هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني

لكما لمن الناصحين) الأعراف ٢٠-٢١.

فقد حكا ابتداء وسوسة الشيطان لأدم، فابتدأ الوسوسة بالإجمال فلم يعين لأدم

الشجرة المنهي عن الأكل منها استنزالا لطاعته، واستنزالا لقدمه، ثم اخذ في تأويل نهى

الله إياهما عن الأكل منها فقال ما حكي عنه في سورة الأعراف: (ما نهاكما ربكما عن

هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين) الأعراف ٢٠ الآية فأشار إلى الشجرة بعد أن صارت

معروفة لهما زيادة في أغرائهما بالمعصية بالأكل من الشجرة، فقد وزعت الوسوسة

وتذليلها على الصورتين على عادة القرآن في الاختصار في سوق القصص اكتفاء

بالمقصود من مغزى القصة لئلا يصير القصص مقصدا أصليا للتزليل.^١

سادسا: ترتيب حكاية أحوال الأمم على حسب ترتيبهم في الوجود

قال ابن عاشور في قوله تعالى: (وقوم نوح من قبل أنهم كانوا قوما فاسقين) الذاريات

٤٦: (كان قوله: (من قبل) تنبيها على وجه مخالفة عادة القرآن في ترتيب حكاية أحوال

الأمم على حسب ترتيبهم في الوجود)^٢

ومن هذا عادة القرآن ان يقرن بين قصة عاد وقصة ثمود:

^١ المصدر نفسه ٤٥/٨-٤٦

^٢ المصدر نفسه ، ٣٥/٢٧

قال ابن عاشور في قوله تعالى: (وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم ونرين لهم

الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين [٣٨]) : (لما جرى ذكر أهل مدين

وقوم لوط أكملت القصص بالإشارة إلى عاد وثمود إذ قد عُرف القرآن اقتران هذه الأمم

في نسق القصص)^١.

وقال في تفسير قوله تعالى: (وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين [٤٣] فعتوا عن أمر

ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون [٤٤] فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين [٤٥])

الذاريات: (أتبع قصة عاد بقصة ثمود لتقارنهما غالبا في القرآن من أجل أن ثمود

عاصرت عادا وخلفتها في عظمة الأمم قال تعالى: (وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ

الأعراف / ٧٤. ولاشتهارهما بين العرب)^٢.

سابعاً: افتتاح القصص بإذ على إضمار اذكر

قال ابن عاشور: (وقد جاء قوله تعالى: (وَأَذْأَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)) الاحزاب. جاريا على أسلوب

ابتداء كثير من قصص القرآن في افتتاحها ب (إذ) على إضمار (اذكر))^٣

فالتقدير: اذكر وقت أخذنا ميثاقا على النبيين.

^١ ابن عاشور ٢٠ / ٢٨٤.

^٢ المصدر نفسه ٢٧ / ١٢

^٣ المصدر نفسه ٢١ / ٢٧.

وقال في تفسير قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني) الصف / ٥: (و)

إذ (متعلقة بفعل محذوف تقديره: اذكر وله نظائر كثيرة في القرآن أي اذكر لهم أيضا وقت قول موسى لقومه أو اذكر لهم مع هذا النهي)^١

عاشرا: إجمال ما ليس بمحل الحاجة

ومثاله قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما

قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) البقرة ١٢٤

ذكر ابن عاشور أن الكلمات هي الكلام الذي أوحى الله به إلى إبراهيم عليه السلام وأجملها هنا إذ ليس الغرض تفصيل شريعة إبراهيم، ولا بسط القصة والحكاية وإنما الغرض بيان فضل إبراهيم عليه السلام ببيان ظهور عزمه وامتناله لتكاليف فأتى بها كاملة فجوزي بعظيم الجزاء، وهذه عادة القرآن الكريم في إجمال ما ليس بمحل الحاجة.^٢

ومثاله كذلك: قوله تعالى (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من

الثمار من آمن مهاب الله واليوم الآخر) البقرة ١٢٦

ذكر ابن عاشور أنه عدل عن بيان المشار إليه اكتفاء عنه بما هو واقع عند الدعاء. فإن إبراهيم عليه السلام دعا دعوته وهو في الموضع الذي بني فيه الكعبة، لأن الغرض ليس تفصيل حالة الدعاء إنما هو بيان استجابة دعائه وفضيلة محل الدعوة وجعل

^١ المصدر نفسه / ١٧٨

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦٨٤/١

مكة بلداً آمناً ورزق أهله من الثمرات، وتلك عادة القرآن في الإعراض عما لا يتعلق به المقصود^١

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ اقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)) المائدة: و (إحدى الأمم) أمة من الأمم ذات الدين فإن عنوا بها أمة معروفة: إما الأمة النصرانية وإما الأمة اليهودية أو الصابئة كان التعبير عنها ب (إحدى الأمم) إبهاماً لها يحتمل أن يكون إبهاماً من كلام المقسمين تجنباً لمجابهة تلك الأمة بصريح التفضيل عليها ويحتمل أن يكون إبهاماً من كلام القرآن على عادة القرآن في الترفع عما لا فائدة في تعيينه إذ المقصود أنهم أشهدوا الله على أنهم إن جاءهم رسول يكونوا أسبق من غيرهم اهتداء فإذا هم لم يشموا رائحة الاهتداء^٢ ()

الحادي عشر: من عادة القرآن تذييل ختم القصة وتعقيبها بالتنبيه على مغايرتها

المثال الأول: قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) مريم

قال ابن عاشور في تفسير الآية: (تذييل لختم القصة على عادة القرآن في تذييل

الأغراض عند الانتقال منها إلى غيرها)^٣.

المثال الثاني: قوله تعالى: (لمثل هذا فليعمل العالمون) [الصافات ٦١]

^١ المصدر نفسه ٦٩٤/١

^٢ المصدر نفسه ٢٣ / ٣٣٢

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦ / ١١٠.

قال ابن عاشور: (هذا تذييل لحكاية حال عباد الله المخلصين فهو كلام من جانب الله تعالى للتنويه بما فيه عباد الله المخلصون وللتحريض على العمل بمثل ما عملوه مما أوجب لهم إخلاص الله تعالى إياهم فالإشارة في قوله (لمثل هذا) إلى ما تضمنه قوله (أولئك لهم رزق معلوم) الآيات أي لمثل نعيمهم وأنسهم ومسرتهم ولذاتهم وبهجتهم وخلود ذلك كله)^١

المثال الثالث: قوله تعالى: (أَذِلَّكَ خَيْرٌ نَزَرًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَبَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالَتْونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرِجَهُمْ لَبَالِي الْجَحِيمِ (٦٨) (الصافات ٦٢-٦٨)

قال ابن عاشور: (فقولته تعالى: (أذللك خير) استئناف بعد تمام قصة المؤمن ورفاقه قصد منه التنبيه إلى البون بين حال المؤمن والكافر وجرى على عادة القرآن في تعقيب القصص والأمثال بالتنبيه إلى مغازيها ومواعظها)^٢

المثال الرابع: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أُنْرُوجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١٤) (سورة التغابن)

قال ابن عاشور: (الآية ابتداء إقبال على تخصيص المؤمنين بالخطاب بعد قضاء حق الغرض الذي ابتدأت به السورة على عادة القرآن في تعقيب الأغراض بأضدادها من

^١ المصدر نفسه ١ / ٣٥٥٦.

^٢ المصدر نفسه ٢٣/٣٨-٣٩

ترغيب أو ترهيب وثناء أو ملام أو نحو ذلك ليوفى الطرفان حقيهما وكانت تنبيهها
للمسلمين لأحوال في عائلاتهم قد تخفى عليهم ليأخذوا حذرهم ^١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

^١ المصدر نفسه ١ / ٤٤٤٥

المبحث الحادي عشر:

غُرف القرآن الكريم في عرض الأحكام الفقهية

هذا الغرض القرآني مما لا يُعرفه العرب إلا قليلا فأحكامهم قليلة والقرآن جاء بمنهج فقهي متعدد الأحكام يشمل أحكام كل شيء والأحكام الفقهية التي جاء بها القرآن لو أردنا من البشر أن ينظموها ما وصلت إليها عقول ألبابهم جميعا فضلا عن أن ينظموها نظما صالحا للعالم والجاهل كل يرتشف منها، ولقد ظهر في القرآن عادات في إيراد الأحكام الفقهية وهذا المبحث يعالج طرفا منها، وليس المقصود هنا بيان الأحكام الفقهية في القرآن بل المقصود بيان عادات أسلوبية تكررت في القرآن بشأن الأحكام الفقهية.

وذلك كما يلي.

أولا: تخلل التشريع بالوعظ وذكر الإلهيات.

جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها أو وسطها وعدا ووعيدا ليكون باعنا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي. يقول الإمام الرازي: (اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم انه إذا ذكر أنواعا كثيرة من الشرائع أو التكاليف والأحكام اتبعها إما الإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال يوم القيامة ليصير ذلك مؤكدا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع)¹

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢/١٢٩

المثال الأول: قوله تعالى: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت

عالم الغيوب) المائدة ١٠٩.

قال الفخر الرازي: (فلا جرم لما ذكر فيما تقدم أنواعا كثيرة من الشرائع اتبعها

بوصف أحوال يوم القيامة ثم ذكر أحوال عيسى عليه السلام أما وصف يوم القيامة فهو

قوله تعالى: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت عالم الغيوب) المائدة

١٠٩)¹.

المثال الثاني: قوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم):

قال سيد قطب في تفسير الآية: (عادة القرآن في أيقاظ الضمير واستجاشة

الشعور كلما هم بالتكليف ليستمد التكليف دفعته من داخل النفس لا من مجرد ضغط النص

يدعو المؤمنين إلى تقوى الله في النهاية ; ويذكرهم بأن الله هو المتفضل عليهم وهو الذي

يعلمهم ويرشدهم وأن تقواه تفتح قلوبهم للمعرفة وتهيئ أرواحهم للتعليم ليقوموا بحق هذا

الإنعام بالطاعة والرضى والإذعان)².

المثال الرابع: قوله تعالى: (إن تجنّبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم

سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً) النساء / ٣١. جاءت هذه الآية بعد ذكر نذيرين

كبيرين: هما قتل النفس وأكل المال بالباطل، وسبب مجيء هذه الآية هنا هو عادة القرآن

في التنفّن من أسلوب إلى أسلوب، وفي انتهاز الفرص في إلقاء المواعظ بعد التشريع.³

¹ المصدر نفسه ١٢/١٢٩

² سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة الخامسة عشرة ١٩٨٨ م (٢ / ٧٦١).

³ انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠٢/٤.

المثال الخامس: قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) البقرة (١٨٦)

جاءت الآيات في بيان أحكام الصيام، ثم توسطتها آية (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ) ثم جاء بعد ذلك آيات ترتبط بأحكام الصيام ثانية.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَا مَا مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِي أَنزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ

مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ

عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ

وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخَانُونُ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا

كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى

اللَّيْلِ وَلَا تَبَاشَرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (سورة البقرة

فما هو سر مجيء هذه الآية متوسطة لأحكام الصيام وليست منه ؟

ومن الممكن أيضا ان نجعل من أسباب ذلك ان من عادة القرآن تخلل الأحكام

بالمواعظ.

ثانيا: ترك التفاصيل في سن التشريعات

من عادة القرآن وبلاغته انه عندما يعرض لقضية من القضايا ان يهتم بالكليات

دون التفات للفروع والتفاصيل لأنه بمثابة الدستور تاركا تفاصيل الأحداث للسنة النبوية

واجتهادات الفقهاء تبينها.

المثال الأول: قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا

من الله والله عليم حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ' ان الله غفور رحيم)

المائدة ٣٨-٣٩

فلم يفصل في تحقيق معنى السرقة ونصاب المقدار المسروق الموجب للحد

وكيفية القطع، وليس من عادة القرآن تحديد المعاني الشرعية وتفصيلها ولكنه يؤصل

تأصيلها ويحل ما وراء ذلك إلى متعارف أهل اللسان من معرفة حقائقها وتميزها عما

يشابهها.^١

المثال الثاني: قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما

كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة (١٨٣).

لقد جاءت أحكام الصيام في القرآن مجملة وجاء التفصيل في السنة النبوية.

ويمكن ان يقال ذلك في الصلاة وغير ذلك من الأحكام التي يطول ذكرها.

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠٠/٥

ثالثاً: من عادة القرآن تعليل الأحكام الفقهية.

ولو نظرنا إلى القرآن لوجدنا أن تعليل الأحكام فيه كثير جداً، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

٠١ تعليل تحريم القتل:

ذكر الله تبارك وتعالى قصة ابني آدم إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، ثم ذكر في آخر هذه القصة حكم القتل معللاً، فقال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [المائدة: ٣٢]، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى العلة في الحكم بأداة التعليل (من أجل ذلك)، لكيلا يقع القتل، ولكيلا تتكرر هذه الجريمة، وليعلم الناس بشاعة هذه الفعل القبيحة.

٠٢ تعليل تحريم الزنا:

قال تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوَاجَ إِنَّمَا كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢]، فعلى الله سبحانه وتعالى تحريم الزنا بأنه فاحشة، وبين لماذا قال: ولا تقربوا الزنا؛ لأنه فاحشة، ولأنه يفسد السبيل لقضاء الوطر.

٠٣ علة تحريم نكاح أزواج الآباء:

قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) [النساء: ٢٢]، فقد علل الله سبحانه وتعالى تحريمه أن يتزوج الإنسان زوجة أبيه كما كانت العرب تفعله في الجاهلية.

٥٤ . تعليل تحريم الكلام مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن

إلا من وراء حجاب:

قال تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)

[الأحزاب: ٥٣]، فالعلة هنا الطهارة؛ فمن أجل طهارة القلب؛ اسألوهن من وراء حجاب.

٥٥ . تعليل تحريم الطيبات على بني إسرائيل:

قوله -جل وعلا-: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ) للنساء:

[١٦٠]؛ فالباء هنا سببية تعليلية؛ أي: بسبب ظلمهم حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم.

٥٦ . تعليل توزيع الفياء على الفقراء والمساكين:

قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَأُولَئِكَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر / ٦ . فنجد القرآن يعطّل

قسمة الفياء والمغانم في قوله: ؟ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ؟ [الحشر: ٧]. أي

لكي لا يكون المال متداولاً بين الأغنياء فقط.

٥٧ . تعليل شرعة الكعبة واتجاه القبلة وتحويلها:

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكعبةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ

لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة (٩٧) .

وتعليل تحويل القبلة قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ البقرة (١٤٣) .

٨٠ . تعليل تسهيل أحكام الشرع على العموم:

قوله تعالى:- (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ

نِعْمَتَهُ) [المائدة: ٦] ، وقوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة: ١٨٥] .

وقوله تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

* يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) [النساء: ٢٧-٢٨] ، فعمل الله سبحانه

وتعالى ما ذكره من أحكام بأنه يريد بنا اليسر ويريد أن يتوب علينا، وأن يخفف عنا.

وهكذا جاءت كثير من الأحكام في القرآن معللة.

ولا تقتصر عادة تعليل الأحكام في القرآن الكريم على تعليل الأحكام الفقهية بل

تتجاوز ذلك إلى تعليل أفعال الله تعالى عموماً، وبحسن هنا ان اتبع ببعض الأمثلة لمناسبة

المقام.

٠١ تعليل الحكمة من خلق الإنسان:

قال الله تبارك وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦]،

فأكد الله سبحانه وتعالى أن هناك علة من خلقهم، فالحكمة التي من أجلها خلق الثقلان هي العبادة، فالعبادة إذا علة مرادة يريد بها الله سبحانه وتعالى.

٠٢ تعليل الحكمة من خلق السموات والأرض:

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْثَرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴿الطلاق﴾ (١٢)

فالحكمة من خلق السموات والأرض للتعرف الله تعالى بعلمه وحكمته وجميع

أسمائه وصفاته ثم عبادته وحمده.

٠٣ تعليل إنزال القرآن الكريم:

قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ) [النساء: ١٠٥]، وفي هذا تعليل لإنزال الكتاب.

٠٣ تعليل كون القرآن عربي لأنزل للعرب: وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ فصلت/ ٤٤.

٠٥ تعليل إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام:

قال الله تعالى: (مُرْسَلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)

[النساء: ١٦٥]. والمقصود لكي لا يكون للناس عذر بعد إرسال الرسل عليهم السلام.

٦. تعليل أخبارنا بأن كل شيء بقدر:

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ

قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

[الحديد: ٢٣]،

وذلك لئلا يحزن عباده على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم فإنهم إذا علموا

أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفاتت فلم يأسوا

عليه ولم يفرحوا بما آتاهم .

٧. تعليل عدم بسط الرزق وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ

وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) الشورى. ٨. تعليل عدم إنزال ما اقترح

الكفار: ﴿وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ الإسراء / ٥٩، أي آيات

الاقتراح لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي تأتي منه سبحانه ابتداء.

ومن طلباتهم إنزال الملائكة فعليه تعالى بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكُلُوا

أَنْزَلْنَا مَلَكَاً فَقَضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾ (٨) الأنعام.

٩. تعليل إنزال المطر في غزوة بدر قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً

لِيُطَهِّرَ كُذِّبَهُ﴾ الانفال / ١١. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَنَ قُلُوبِكُمْ كُذِّبَهُ﴾.

رابعاً: من عادة القرآن الكريم ان يقرن بين الأحكام المتشابهة أو

المتناسبة.

من عادة القرآن الكريم إذا كان يعرض لأحكام فقهية وكان لهذه الأحكام مناسبة وتشابه مع أحكام أخرى فإن القرآن الكريم يعرض لها ثم يعود إلى ما كان يعرض له أولاً.

المثال الأول: قوله تعالى: لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِّن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ

أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا

إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ

فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا

حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ

تَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) سورة البقرة

ان الناظر من أول وهلة إلى هذه الآيات الثلاث بإمكانه ان يقول ان الآية الثالثة وهي قوله تعالى: (الطلاق مرتان) كان من الأولى ان تسبق آية (والمطلقات يتربصن) لان الكلام في انواع الطلاق مقدم على الكلام على عدة الطلاق. أما السبب في الترتيب الذي جاء في القرآن الكريم هو ان آية (والمطلقات يتربصن) فيها شبه مع الآية التي قبلها ومناسبة بينهما وهو التربص.

قال ابن عاشور: (عطف على الجملة قبلها لشدة المناسبة وللاتحاد في الحكم وهو التربص إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة ولذلك لم يقدم قوله (الطلاق مرتان) على قوله (والمطلقات يتربصن) لأن هذه الآية جاءت متناسقة منتظمة على حسب مناسبات الانتقال على عادة القرآن في إيداع الأحكام وإلقائها بأسلوب سهل لا تسام له النفس ولا يجيء على صورة التعليم والدرس)^١.

المثال الثاني: وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكُمْ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٦٣٥

إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا

مُهِينًا (١٠٢) سورة النساء

نلاحظ ان آية صلاة الخوف ذكرت في هذا الموضع وسياق الآيات يتكلم عن الهجرة فهو انتقال إلى تشريع آخر، ولكن ثمة ارتباط بين الأمرين وهو ان الهجرة فيها السفر وفيها خوف أيضا فلما ذكر السفر في الآيات ناسب هنا ان يتكلم النص القرآني عن أحكام الصلاة في السفر مع الخوف لأنه لا غنى للمسلمين عن صلاتهم لذا ناسب ان يتكلم النص عنها هنا.

قال ابن عاشور في تفسيرها: (انتقال إلى تشريع آخر بمناسبة ذكر السفر للخروج من سلطة الكفر على عادة القرآن في تقنين أغراضه والتماس مناسباتها)^١

المثال الثالث: قوله تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقائمين والقائمات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما [٣٥]) سورة الاحزاب

قال ابن عاشور: (ويجوز أن تكون هذه الجملة استئنفا بيانيا لأن قوله (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) بعد قوله (لستن كأحد من النساء) يثير في نفوس المسلمات أن يسألن: أهن مأجورات على ما يعملن من الحسنات

^١ المصدر نفسه ١ / ١٠١٦

وأهن مأمورات بمثل ما أمرت به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أم تلك خصائص
لنساء النبي عليه لصلاة والسلام فكان في هذه الآية ما هو جواب لهذا السؤال على عادة
القرآن إذا ما ذكر مأمورات يعقبها بالتذكير بحال أمثالها أو بحال أضدادها ^١.

خامسا: من عادة القرآن الإعراض عن الأحكام التي لا تفيد العمل

والتكليف.

ولقد أبدع الشاطبي في تأصيل هذه العادة القرآنية في المقدمة الخامسة في
كتابه الموافقات، فقال في تقريرها: (كل مسألة لا ينبغي عليها عمل فالخوض فيها خوض
فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي وأعنى بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من
حيث هو مطلوب شرعا) ^٢.

ثم بين دليل هذه القاعدة فقال: (والدليل على ذلك استقراء الشريعة فإننا رأينا
الشارع يعرض عما لا يفيد عملا مكلفا به ففي القرآن الكريم: (يسألونك عن الأهلة قل هي
مواقيت للناس والحج) البقرة / ١٨٩. فوقع الجواب بما يتعلق به العمل إعراضا عما قصده
السائل من السؤال عن الهلال لم يبدو في أول الشهر دقيقا كالخيط ثم يمتلئ حتى يصير
بدرا ثم يعود إلى حالته الأولى) ^٣.

ولقد فسر الآية التي بعدها (وَكَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) على هذا المعنى، ثم
ساق الأمثلة من الشريعة على هذا الأمر من الكتاب والسنة وفعل السلف. انكر منها على
سبيل التمثيل ما يلي:

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٣٣٥٤

^٢ الشاطبي، الموافقات، ١ / ٤٦.

^٣ المصدر نفسه ١ / ٤٦.

فمن القرآن ساق قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم

تسؤلكم) المائدة / ١٠١ فقال: (نزلت في رجل سأل من أبي فقد روى أنه عليه السلام

قام يوما بعرف الغضب في وجهه فقال لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم فقام رجل فقال

يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة فنزلت (١).

ثم بين الأسباب في هذا الأمر وذكر أمورا كثيرة اذكر منها واحدا دالا على

المطلوب وهو: (أنه شغل عما يعنى من أمر التكليف الذي طوقه المكلف بما لا يعنى إذ

لا ينبني على ذلك فائدة لا في الدنيا ولا في الآخرة أما في الآخرة فإنه يسأل عما أمر به

أو نهى عنه وأما في الدنيا فإن عمله بما علم من ذلك لا يزيده في تدبير رزقه ولا

ينقصه) ٢

سادسا: من عادة القرآن ذكر التقييدات والأوصاف في الأحكام لا للتقييد

ولكن لمجبتها على المعهود الغالب فلا مفهوم لها.

الأمثلة: لقرآن ان يذكر وصفا أو ما ظاهره القيد ولا يريد به التقييد وإنما لخروجه

مخرج الغالب وهي قاعدة مقررة في علم الأصول أن النص من الكتاب والسنة إذا جاء

مبيهاً لحقيقة واقعة فإنه ليس له مفهوم مخالفة.

^١ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعمد من الفتن رقم ٦٦٧٨، ٦ / ٢٥٩٧. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو

ذلك رقم ١٨٣٢ / ٤٥٩٢٣

^٢ المصدر نفسه ١ / ٤٦.

الأمثلة:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَابِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَاتٍ يَقْرِبَتْهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنِ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^{١٢}) [المتحنة].

والخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم في امر النساء اللواتي بايعنه صلى الله عليه وسلم ولفظ الآية عام أي أنهن لا يعصينه في معروف، ومعصيته لا تكون إلا في معروف، فانه لا يأمر بمنكر، وفائدة اللفظ فيه دلالة على أن طاعة أولى الأمر إنما تلزم في المعروف

و قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ^{٢٤})) سورة الأنفال، وهو لا يدعو إلا إلى ذلك والتقيد هنا لا مفهوم له.

وقال تعالى: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصِنَ لَبِئْسَ مَا كَفَرْنَا بِهِ إِنَّ اللَّهَ يَكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ^{٣٣})) سورة النور، فإلهن إذا لم يردن تحصن امتنع الإكراه.

ومنه قوله تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ^{١١٧})) سورة المؤمنون، فالآلهة دون الله لا برهان بها أبداً.

وقوله تعالى: (لِإِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ

بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (٢١) سورة آل عمران، فلا يقل نبي إلا بغير حق.

وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ

وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ

مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) ﴾ سورة النساء، فإن الحجر ليس بقيد

عند العلماء.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْزِلُ نَحْنُ نُزْرُهُمْ وَايَاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئًا

كَبِيرًا (٣١) ﴾ سورة الإسراء. ولا يجوز قتلهم بأي حال. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ

تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ سورة البقرة

٢٨٣، والرهان لا يختص بالسفر لكن ذكر لأن فقد الكاتب يكون فيه غالباً.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١) ﴾ سورة النساء، والقصر جائز مع أمن السفر

لأن ذلك خرج مخرج الغالب لا الشرط. وكقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا

وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ سورة النور، والمكاتبة مطلوبة متى طلبها العبد وقدر عليها.

فالتقييد في جميع هذا للبيان والإيضاح لا لإخراج في وصف آخر.

سابعا: توجيه الخطاب للنبي في التحذيرات الخطيرة والمهمة.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (الحق من ربك فلا تكونن من المترين) البقرة

١٤٧: فقال (إن التحذير في الآية جاء خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم على عادة

القرآن في كل تحذير مهم). وعلى ذلك: (بأن خطاب النبي يمثل ذلك وهو أقرب الخلق

إلى الله تعالى وأولاهم بكرامته. دليل على هذا أن من وقع في مثل ذلك من الأمة قد حقت

عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب) ^١.

وهذه العادة متكررة في القرآن الكريم ومن أمثلتها:

المثال الأول: قال تبارك وتعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَافَةً

مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَافَةً أُخْرَى لَعَلَّكُمْ يَصَلُّونَ

فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحِكُمْ

وَأَمْتِعِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ

كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)

[النساء: ١٠٢].

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤١/٢

جاء في تفسير الجلالين: (وإذا كنت يا محمد حاضرا فيهم وانتم تخافون العدو فأقمت لهم الصلاة وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له، أي: ليس حضوره صلى الله عليه وسلم شرطاً لإقامة صلاة الخوف)^١.

المثال الثاني: قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)

[التوبة: ١٠٣].

فوجود النبي صلى الله عليه وسلم ليس شرطاً في دفع الزكاة خلاف لما فهم المغرضون بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وقاتلهم خليفته الصديق رضي الله عنه، فهذا ليس خاصاً بالنبي عليه الصلاة والسلام وإنما بابه أنه توجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في التحذيرات الخطيرة.

المثال الثالث: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ

حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) سورة الطلاق الآية (١) فهذه الآية

من أوضح الأمثلة على أن الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو خطاب للأمة

ووجه الخطاب له صلى الله عليه وسلم كون ذلك من التحذيرات الخطيرة. ومما يجعله من

أوضح الأدلة قوله تعالى: (إذا طلقتم) بلفظ العموم بعد أن كان الخطاب خاصاً (يا أيها

النبي).

^١ السيوطي، تفسير الجلالين ١ / ١١٩

المبحث الثاني عشر:

عُرف القرآن الكريم في تناول العلوم الكونية

مدخل:

العلوم الكونية أو ما تسمى العلوم الطبيعية هي العلوم القائمة على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية.

وتفسير القرآن في ضوء العلوم الحديثة منهج جديد لإظهار ما في القرآن من إعجاز علمي لم يعرفه المفسرون القدامى المعرفة التامة، فعندما تقدم العلم واتسعت آفاقه أخذت أنظار العلماء تتجه إلى ما جاء به القرآن من حقائق علمية سبقت نهضة الإنسان العلمية بعدة قرون.

ومن المعلوم أنه لا يجوز أن نخضع القرآن للتفسير العلمي لأن من نظريات العلم ما يتغير ويتطور ولا يثبت على حال، وإذا اختلفت النظرة العلمية في وقت من الأوقات مع الآية القرآنية فيرجع ذلك إلى أن العلم الذي يتطور من وقت لآخر لم يصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية.

ثم اختلف علماء الإسلام في جواز تفسير القرآن الكريم بالتفسير العلمي والقطع بأنه مراد الآيات الكريّمات، فمنهم من يمنع ذلك وأول من اشتهر عنه هذا الأمر الشاطبي حيث قرر لهذا القول في كتابه الموافقات. ثم تبعه عدد من العلماء وإلى عصرنا هذا.

ولقد قرر الشاطبي بطلان تفسير القرآن بالتفسير العلمي في كتابه الموافقات وذلك أن أسس للقاعدة التي نقول بامية الشريعة الإسلامية ثم بنى على ذلك بطلان التفسير

العلمي. فقال: (ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب
ينبني عليه قواعد

منها أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فأضافوا إليه كل
علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف
وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم
يصح)^١

والفريق الآخر يجيز ذلك ونصر مذهب التفسير العلمي وأول من اشتهر عنه هذا
الأمر ونصره الغزالي أبو حامد في كتابه جواهر القرآن ثم تبعه عدد من العلماء والى
عصرنا هذا.

فالفصل الخامس من الكتاب عقده أبو حامد لهذا الغرض. وقد عنوانه بقوله: (
في انشعاب سائر العلوم من القرآن) وقال فيه: (ولعلك تقول ان العلوم وراء هذه كثيرة
كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشریح أعضائه وعلم السحر
والطلسمات وغير ذلك. .. فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود
أصلها في العالم)^٢

وقال أيضا: (ثم هذه العلوم ما عدناها وما لم نعدنا ليست أوائلها خارجة عن
القرآن فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال
وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد

^١ الموافقات ج ٢ ص ٧٩.

^٢ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، جواهر القرآن، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القبانى، دار إحياء العلوم -
بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ج ١ ص ٤٤.

فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال مثلاً الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: وإذا مرضت فهو يشفين^١

قلت: وما جاء عن أبي حامد هو نصرة هذا المذهب ولم يستخرج لنا دلالة الآيات القرآنية على العلوم، وإنما أشار إلى أن القرآن يرشد إليها أما الذي أراه فإن القول بالتفسير العلمي إذا كان بالشرائط الصحيحة وهي الاعتماد على الحقائق لا النظريات وعدم الجزم بمراد الآية على التفسير العلمي لهو من باب بيان إعجاز القرآن الذي لا تتقضي عجائبه.

وفوق ذلك فإن من عادة القرآن الإشارة إلى القضايا العلمية. قال زغلول النجار: (من عادة القرآن الكريم أنه يشير إلى الحقائق الكونية بصياغة يفهم منها أهل كل عصر معنىً محدداً تحكمه كمية العلوم المتاحة لأهل ذلك العصر، وتظل هذه المعاني للآية الواحدة تتسع باتساع المعرفة الإنسانية دون أن تتضاد مع المعاني الأولى، وهذا من أبلغ آيات الإعجاز العلمي في كتاب الله).^٢

وليس المقام هنا مقام بسط لهذا الباب وإنما المقصود الإشارة إلى عادة القرآن في هذا الباب، وذلك بالأمثلة التالية.

المثال الأول: قال الله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا

السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) في سورة فصلت آية ١١ - ١٢.

^١ المصدر نفسه ج ١ ص ٤٤.

^٢ زغلول النجار، موسوعة الإعجاز العلمي، دار الكتب العلمية ببيروت ص ٣٤٥.

جاء في التفاسير انه سبحانه عمد إلى خلق السماء وهى على هيئة دخان فوجدت، ثم إن خلقه للسموات والأرض هين عليه بمنزلة ما يقال للشئ كن فيكون، وأتم خلق السموات سبعا في يومين آخرين.^١

النظرة العلمية:

يرى العلم الحديث أن المقصود بكلمه دخان في الآية السديم وهو السحب الكونية أو المجرات التي نشأت فيها السماء والأرض، . . . وأن اليومين المذكورين في الآية هما في رأى الجيولوجيا الزمنين الذين استغرق كل منهما ملايين السنين لتكوين هذه السموات، وأحد هذين الزمنين انقضى وقت أن كانت الأرض مرتوقة أي متصلد بالسديم، والآخر بعد أن انفثقت الأرض أي انفصلت عن السديم.^٢

قلت: وعادة القرآن في ذكر الأمور العلمية الإشارة وليس التصريح، ويدل على ذلك اختلاف التفسير الحديث عن التفسير القديم.

ومما يؤيد ان اليوم يقصد به على حقيقته على الأرجح لا القطع ورود اليوم في القرآن يراد به يوم من أيام الدنيا.

المثال الثاني: قال تعالى: (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا

ففتقناهما). سورة الأنبياء آية - ٣٠

جاء في التفاسير أن السموات والأرض كانتا رتقا لم تنزل منها قطرة من مطر، ولم ينبت على الأرض شئ من النبات ملتزقا بعضها على بعض ففرقناهما عن بعض

^١ انظر الطبري جامع البيان ١١ / ٩٢ وتفسير ابن كثير ٤ / ١١٢.

^٢ انظر محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي ودار الثقافة العربية للطباعة. ص ٤٥.

بالمطر والنبات. ويقول تفسير آخر: أن السماوات والأرض كننا في بدء خلقهما ملتصقتين بقدرتنا ثم فصلنا كلا منهما عن الأخرى.^١

النظرة العلمية:

أحدث النظريات في نشأة الأرض والسماوات أنهما كانتا في أول أمرهما ملتصقتين داخل السديم الذي يحتويهما، ثم إنهما انفصلتا نتيجة انفجارات شديدة حدثت داخل السديم وتم الانفتاح المذكور في الآية بعد أن كانتا مرتوقيتين أي متصلتين ببعضها ببعض وفي ذلك إشارة لما حدث في الكون من انفجارات انتشرت بسببها مادة الكون فيما حولها من فضاء وفراغ انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة .^٢

المثال الثالث: قال تعالى: (والسماوات ذات الارجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو

بالمزمل). سورة الطارق آية - ١١ : ١٢

فالمعنى في كتب التفسير ان الله تعالى أقسم بالسماء ذات المطر الذي يعود ويتكرر عل الأرض ذات الانشقاق عن النبات الذي يخرج منها.^٣

النظرة العلمية:

يرى العلم الحديث ان السماء ترجع وتعيد للأرض ما يصعد من بحارها ومحيطاتها من بخار الماء الذي يتجمع مكونا سحباً ثم يتكاثف ويسقط الأمطار الغزيرة على الأرض. وان الأرض تتصدع وهي مكامن تتفجر منها مواد الغاز الطبيعي والبترو

^١ انظر الطبري جامع البيان ٩ / ٥١٠ والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٣٠٩.

^٢ انظر محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي ص ٤٥.

^٣ انظر الطبري جامع البيان ١٢ / ٥٣٩.

وينابيع المياه الكبريتية وكأنها تعيد لنا ما انطوى في باطنها من النبات بعد تحوله وتحلله إلى مواد أخرى.^١

٤٠ قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا) النازعات/ ٣٠

قال زغلول النجار: (فهم سلفنا الأوائل من هاتين الآيتين الكريمتين ان الأرض تتفجر منها عيون الماء ، ويرون الأرض تُكسى بالعشب بمجرد سقوط المطر. ثم نأتي نحن اليوم فنرى في نفس الآيتين رؤية جديدة مفادها أن الله — تعالى — يخرج من الأرض أغلفتها الصخرية والمائية والغازية من جوفها، حيث تصل درجات الحرارة إلى آلاف الدرجات المئوية، وقد أثبتت الدراسات الحديثة ان كل ماء الأرض ، وكل هواء الأرض قد أخرجه ربنا — تبارك وتعالى — من داخل الأرض ، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان (إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين) ^٢.

^١ انظر محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي ص ٥٢.

^٢ المصدر نفسه ص ٦٠.

المبحث الثالث عشر:

عُرف القرآن الكريم في الجدل والمناظرة وطرق الاستدلال

القرآن الكريم استعمل أسلوب المناظرة والحوار والاستدلال وفيما يلي عادات

عُرفت عن القرآن الكريم في هذا الأسلوب:

أولاً: من عادة القرآن في المناظرة عدم المفاجأة بالرد والتمهيد والملاينة

لِتَقْبَلَ الْكَلَامَ.

قال الشاطبي مبيناً عادة القرآن: (الأدب في المناظرة أن لا يفاجئ بالرد

كفاحاً دون التفاضلي بالمجاملة والمسامحة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوْلَىٰ بِكُمْ لَعَلَىٰ

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ / ٢٤، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدُّ فَآَنًا أَوَّلُ

الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]. لأن ذلك أدعى إلى القبول وترك العناد وإطفاء نثار

العصبية)^١

ومنه قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ

نُعَوِّدَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ الأعراف / ٨٩. فقوله عليه الصلاة والسلام من باب

المسامحة مع الخصم ليلين لأنه من المعلوم بالقطع ان الله لا يشاء الشرك وهذا

يعلمه جهلة المسلمين فكيف بالنبي الكريم.

^١ الشاطبي، الموافقات ٢ / ١٠٦.

ومن ذلك قول سليمان عليه الصلاة والسلام للهدد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ

سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) النمل . فقدم سليمان عليه السلام الصدق ولم يقدم

الكذب لأنه متى أمكن حمل الخبر على الصدق لا يعدل عنه، ثم لم يواجهه بالكذب لنلا يدخله في جملة الكذابين أدبا في الخطاب.

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ

قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يوسف / ٢٥ . فقدم القرآن القد من القبل وقدم صدقها

على كذبها مسامحة معها لتقبل التقاضي و القاضي من قومها أيضا فيهمه ما ينفعها وهو البراءة والذي قدمه يشهد لبراءتها.

ومن ذلك قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ يَكْذِبُ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا

يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ ﴾ يوسف / ٢٨ . ففي هذا المقام في تقديم كونه كاذبا من يستدعيهم

إلى قبول كلام المتكلم وهذا من فقهه رحمه الله تعالى ان كان القرآن حكاة على ما صدر منه وإلا كان الأمر عائد إلى فضل القرآن.

ثانيا: وضوح الاستدلال في المناظرة وإيجازه.

عادة القرآن الكريم في المجادلة أن الاستدلال يكون واضحا جليا بديهيا يقنع

الأمي الجاهل كما يقنع العالم المتبحر . والاحتجاج على الخصم بحجة عقلية تقطع المعاند.

المثال الأول: وضوح أدلة التوحيد واختصارها.

يقول تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {

الأنبياء / ٢٢.

ويقول تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ! عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) المؤمنون / ٩٢

وفي بيانه قال الغزالي: (أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثاني إن كان

مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وإن كان قادرا

على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا)^١.

المثال الثاني: وضوح الرد على منكري النبوة:

ومع منكري النبوة يقول عز وجل: { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا

أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا مَرْسُولا! قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُنْشِرُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

مَلَكَامَ رَسُولا { الإسراء / ٩٥. ويقول عز وجل: { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ

بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِي نَكْفُرُ بِهِ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ! وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَامَ تَقْضِي

الْأَمْرُ لَمْ يَنْتَظِرُوا! وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَامَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُونَ } . الأنعام / ٧.

فمن أكثر حجج المنكرين للنبوة بشرية الرسل ولقد كان الكفار يطلبون ان

يكون الرسل من الملائكة. فكان الرد عليهم في القرآن ردا مختصرا واضحا مفحما وهو

كما جاء في الآيات ان لو كان الرسول ملكا لكان من المناسب ان يأتي بصورة رجل

^١ أبو حامد الغزالي قواعد العقائد مع الكتاب: تخريج الحافظ العراقي، من كتاب إحياء علوم الدين ج ١ ص ٤٧.

ليعوا عنه ويستطيعوا التواصل معه ولو كان كذلك رجع الأمر إلى الصورة البشرية ثانية
وللتبس عليهم الأمر من جديد فلا داعي لأن يكون مطلبهم حقاً.

المثال الثالث: وضوح الرد على المشركين.

ومن أصرح الأدلة على بطلان آلهة المشركين أنها لا تسمع ولا تبصر ولا
تغني عن صاحبها.

وقال عز وجل: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة / ٢٥٨ وجادل إبراهيم عليه

السلام أباه وقومه فقال عز وجل يحكي عنه:

وقال عز وجل: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) مرسله / ٤٢.

المثال الرابع: وضوح الرد على إلهوية عيسى عليه السلام.

قوله عز وجل: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ آل عمران / ٥٩.

وقوله عز وجل: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ

كَأَنَّا بَالُكُلَانِ الطَّعَامِ } النساء / ١٧١.

فبشرية عيسى عليه السلام من أقوى الأدلة على بطلان الاهيته فمن أخصر وأوضح الرد على النصارى ان يذكروا ببشرية عيسى عليه السلام والبشر من عوارضه النقص فلا يمكن ان يكون إلهاً .

المثال الخامس: وضح الرد على منكري البعث واختصاره وقوة حجته.

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يس /

٨٣.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم / ٢٧.

فما أوضح هذا الرد على منكر البعث وأوجزه وهو ان الذي خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم لأنه إذا كان على الأصعب قادر فكيف بالأسهل. وأيضا الذي خلق الإنسان مرة أسهل عليه ان يعيده.

ثالثا: عادة الهدم في المناظرة.

ولقد قرر الزركشي هذه العادة القرآنية في كتابه البرهان في علوم القرآن.

أما معنى هذه القاعدة والعادة القرآنية فهو أن يأتي الغير بكلام يتضمن معنى

فتأتي بضده فإنك قد هدمت ما بناء المتكلم الأول.

الأمثلة:

١٠ قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ

بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) سورة

النساء

فقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، هدمه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَ

يَعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، تقديره إن كنتم صادقين فسي دعواكم.^١

٢٠ ومنه قوله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزُّنَا ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ

يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (سورة التوبة

هدم الله تعالى قولهم بقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ

مِنْ وَكِدٍ﴾.^٢

٣٠ ومنه قوله تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (سورة (المنافقون)

هدمه الله تعالى قولهم بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في دعواهم

الشهادة.^٣

^١ انظر الزركشي البرهان ٣ / ٤١٣.

^٢ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ٤١٣.

رابعاً: الترقى من العالي إلى الأعلى في سوق الحجج

ذكر هذه العادة التي هي من عادات القرآن الكريم الإمام البقاعي في تفسيره

نظم الدرر عند تفسير قوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم

يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) سورة البقرة [٢٨]

حيث قال: (لما أجمل سبحانه في أول هذه الآية أول أمرهم وأوسطه وآخره

على الوجه الذي تقدم أنه منبه على أن الكفر ينبغي أن يكون من قبيل الممتنع لما عليه من

باهر الأدلة. شرع يفصله على وجه داع لهم إلى جنبه بالامتثال بأنواع الإحسان بسأمر

أعلى في إفادة المقصود مما قبله على عادة القرآن في الترقى من العالي إلى الأعلى فساق

سبحانه ابتداء الخلق الذي هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما

فيه من منافعهم ليكون داعياً إلى توحيده من وجهين:

-كونه دالاً على عظمة مؤثرة وكمال قدرته، سكونه إحساناً إلى عباده ولطفاً بهم،

وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها)^١.

خامساً: الاستدلال على الوحدانية بدلائل من الآفاق بعقبتها دلائل من الأنفس

ولقد حرر هذه العادة القرآنية وفصلها وأطال فيها ابن الوزير القاسمي في كتابه

أيثار الحق على الخلق.

وقد جمع الله تعالى ذكر دلالاتي النفوس والآفاق في قوله تعالى: (سنبههم آياتنا في

الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت/ ٥٣.

^١ البقاعي، نظم الدرر (٣٠/١-٣١)

ثم ذكر الآيات في دلالة الأنفس منها:

قال الله تعالى: (قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره... الآيات

(النازعات / ١٧.

وقال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢١.

وقال تعالى: (٩. أيها الإنسان ما غر بك ربك الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء

مركبك) . الانطاس / ٦ - ٩.

وقوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سائل من طين (١٢) ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (١٣) ثم

خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر

فبارك الله أحسن الخالقين (١٤) سورة المؤمن

وفي تقرير هذه الدلالة قال: (وذلك أنا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين

عالمين ناطقين سامعين مبصرين مدركين بعد أن لم نكن شيئا وأن أول وجودنا كان نطفة

فترة مستوية الأجزاء والطبيعة غاية الاستواء بحيث يتمتع في عقل كل عاقل أن يكون

منها بغير صانع حكيم ما يختلف أجناسا وأنواعا وأشخاصا)^١.

وأما دلالة الأفاق فقد قررهما فقال: (فما يحدث ويتجدد في العالم في طلوع

القمرين والكواكب وغروبها عند دوران الأفلاك الدائرات والسفن الجارية والرياح

1 ابن الوزير القاسمي، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، (

١٩٨٧ / ١ / ٤٦) وما بعدها.

الذاريات والنجوم الثوابت منها والمعالن والروران والاستدلال بالروران جرد لدلالته الواضحة على الفاعل المختار كما يدل على ذلك حركة القمرين الدائمة وسائر النجوم والأفلاك وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم والصواعق والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم النقال الحاملة للماء الكثير المطفى بطبعه للنار المضادة له. ¹

ولو أوردت آيات على ذلك لخرجت عن مقصدي، ولكن أقول هذه عادة قرآنية كثرت في القرآن بما لا يحصى.

سادسا : التذليل على توحيد الإلهية بإقرار الكفار للربوبية

جرت عادة القرآن الكريم أن يلزم المشركين بما أقرؤا به من توحيد الربوبية فيجعله برهانا واضحا على وجوب إفراده سبحانه بالإلهية ، فإن الذي يستحق من العباد أن يعبدوه هو من كان ربا خالقا ومالكا و مدبرا، وأما من لا شأن له في خلق ولا في تدبير لا يصلح أن يكون إلها معبودا إذ لم يصلح أن يكون ربا مقصودا.

ولهذا تراه يسوق الآيات والدلائل الشاهدة بربوبيته تعالى لكل شيء، ثم ينتقل منها

إلى الدعوة لعبادته وحده.

الأمثلة:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) البقرة.

1 المصدر نفسه ١ / ٤٦ وما بعدها.

وقال جل شأنه من نفس السورة: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤).

البقرة.

وقال سبحانه: (أَمْ نَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ

ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْ

خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمْ نَجْعَلُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ نَهْدِيكُمْ

فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمْ ن

يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)

سورة النمل .

المبحث الرابع عشر:

عُرف القرآن الكريم في أساليب الخطاب

معنى الخطاب في اللغة:

قال الراغب في مفرداته: (المراجعة في الكلام، والخطب (بفتح الخاء): الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب)^١.

وعليه فالخطاب يشمل المراجعة والمحاورة والمواجهة فقوله سبحانه: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) الفرقان/ ٦ فهنا يعني المواجهة. وقال سبحانه: (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) هود ٣٧ والخطاب هنا المراجعة والمحاورة.

وفي القرآن عادات اختص بها في استعمال أساليب التفنن في الخطاب كما يلي:

أولاً: عادة القرآن الاستطراد والتفنن في الخطاب:

عادة القرآن أن يتحدث عن قضية بعينها، ثم يستطرد منها إلى قضية أخرى لمناسبة بين القضيتين أو الموضوعين، ثم يعود إلى الحديث عن القضية الأولى، وقد جرت عادة القرآن الحكيم بعدم تطويل أمر واحد حتى لا يمل السامع فهو إذا أراد التطويل ذكّر في الأثناء ما يلطف الجو ويرفع الكلاله من السامع ببيان حكم جديد.

وفيما يلي بعض الأمثلة الموضحة:

1 الراغب المفردات (ص ١٥٠)

المثال الأول: ما ذكره أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا

تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ) النساء / ٨٤.

حيث قال: (ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر في الآيات قبلها تثبيطهم عن القتال

وأتبع ذلك بما أتبع من سوء خطاب المنافقين للرسول - عليه السلام - وفعلهم معه من

إظهار الطاعة بالقول وخلافها بالفعل، وبكثتهم في عدم تأملهم ما جاء به الرسول من

القرآن الذي فيه كتب عليهم القتال عاد إلى أمر القتال، وهكذا عادة العرب تكون في

شيء ثم تستطرد من ذلك إلى شيء آخر له به مناسبة وتعلق، ثم تعود إلى ذلك الأول)^١.

المثال الثاني: أكد أبو حيان على استعمال القرآن لهذا الأسلوب عند تفسير قوله

تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ) (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ

عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ

اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (١١٨) التوبة.

حيث قال: (لما تقدم الكلام في أحوال المنافقين من تخلفهم عن غزوة تبوك

واستطرد إلى تقسيم المنافقين إلى أعراب وغيرهم، وذكر ما فعلوا من مسجد الضرار،

وذكر مبايعة المؤمنين الله في الجهاد، وأثنى عليهم وأنه ينبغي أن يباينوا المشركين حتى

الذين ماتوا منهم؛ بترك الاستغفار لهم، عاد إلى ذكر ما بقي من أحوال غزوة تبوك،

^١ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٢ / ٤٥٣.

وهذه شئنة كلام العرب بشرعون في شيء ثم يذكرون بعده أشياء مناسبة ويطيلون فيها ثم يعودن إلى ذلك الشيء الذي كانوا شرعوا فيه^١.

المثال الثالث: قوله تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس

وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة / ٢١٩.

فقد ذكر ابن عاشور عند أن هذه الآية استئناف لإبطال عملين غالبين على الناس في الجاهلية، وهما شرب الخمر والميسر وهذا من عداد الإحكام التي بينها في هذه السورة مما يرجع إلى إصلاح الأحوال التي كان عليها الناس في الجاهلية، والمشروع في بيانها من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص) البقرة / ١٧٨ ، إلى آخر السورة، عدا ما تخلل ذلك من الآداب والزواجر والبشائر والمواعظ والأمثال والقصص، على عادة القرآن في تفنن أساليبه بتشيطاً للمخاطبين والسامعين والقارئین ومن بلغ، وقد تناسقت في هذه الآية.^٢

المثال الرابع: قوله تعالى: (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَنَا يَصْلُ رَبِّي وَلَئِنْ نَسِيَ (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) مِنْهَا

^١ المصدر نفسه ٢ / ٤٥٣.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتلويز، ٣٢١/٢

خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ آيَاتِنَا فَكَذَّبْتُمْ بِهَا (٥٦) سورة

طه

فقلوه تعالى: (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء

فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى [٥٣] كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى [٥٤] هذه

جمل ثلاث معترضة في أثناء قصة موسى عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عاشور: (فالجملة الأولى منها مستأنفة ابتدائية على عادة القرآن من تفنن

لأغراض لتجديد نشاط الأذهان. ولا يحتمل أن تكون من كلام موسى إذ لا يناسب ذلك

تفريع قوله (فأخرجنا به أزواجا) (١).

المثال الخامس: قال الشوكاني مبينا سر أيراد قصة نوح عليه السلام في سورة

هود: (لما أورد سبحانه على الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أنواع

الدلائل التي هي أوضح من الشمس أكد ذلك بذكر القصص على طريقة التفنن في الكلام

ونقله من أسلوب إلى أسلوب لتكون الموعظة أظهر والحجة أبين والقبول أتم فقال

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٢٦﴾ [سورة هود] ٢)

[المصدر نفسه ١ / ٢٦٤٦

2 الشوكاني، فتح القدير ٢ / ٤٩٣

المثال السادس: ذكر الشوكاني في تفسير قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَّمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. ﴿السخ الآية

{٢٣٣} من سورة البقرة: (لما ذكر الله سبحانه النكاح والطلاق ذكر الرضاع لأن

الزوجين قد يفترقان وبينهما ولد ولهذا قيل إن هذا خاص بالمطلقات وقيل هو عام).^١

ثانيا: من عادة القرآن استعمال أسلوب التغليب في الخطاب.

التغليب: هو أن يغلب على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط كالأبوين

في الأب والأم والمشرقيين والمغربيين والخافقين في المشرق والمغرب والقمرين في

الشمس والقمر والعمرين في أبي بكر وعمر والمروتين في الصفا والمروة.^٢

عادة القرآن تغليب الرجال على النساء

من عادة القرآن إذا خوطب الرجال والنساء بفعل لهما خوطبوا بلفظ المذكر.

وإذا خص النساء بالذكر فلا يبرز تعلق الحكم بالمرأة بنفس درجة تعلقه بالرجل ولإزالة

الالتباس.

الأمثلة:

ففي قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَبْصَارِ) (١٩٠) [آل عمران] فهي تشمل كذلك أولات الأبواب.

1 المصدر نفسه ١ / ٢٤٤.

2 الكفوي، الكليات، ص ٤٢٠.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة/ ٢٧٨] فهي تشمل كذلك اللائي آمن:

أما التنصيص على ذكر النساء فمن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْثَى﴾

[آل عمران/ ١٩٥]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب/ ٣٥] الآية

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد/ ١٨]

الآية...

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة/ ٦٨]

وقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح/ ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ

يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات/ ١١].

ومن فوائد هذه العادة القرآنية الوقوف والتريث عند ذكر خصوص النساء في

النص القرآني والنظر والتأمل في فوائد هذا الذكر.

عادة القرآن في تغليب خطاب العاقل على غير العاقل والعكس

من عادة القرآن إذا خوطب العقلاء وغير العقلاء ان يغلب خطاب العاقل على

غير العاقل وهذا هو الأصل.

ومثال ذلك: ان (من) تستعمل لخطاب العاقل و (ما) لغير العاقل

فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا ﴾ [الإسراء/٦٧]

غلب فيه العاقل وهم كانوا يدعون أصناما عقلاء وغير عقلاء.

وقد دل على ذلك استعمال (من) للعاقل.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الإسراء/٥٥] في

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ العاقل وغير العاقل واستعمل { من } التي هي للعاقل.

ومن فوائد هذه العادة النظر والتأمل في استعمال التغليب فإذا غلب غير العاقل

على العاقل فهي لأسباب اقتضت ذلك وجب النظر فيها والتدبر.

فإذا كان وجود العاقل مع غير العقلاء غير مؤثر في الحكم أي كان كأنه غير

موجود معهم فلا تغليب للعاقل بل الخطاب لغير العقلاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء/٩٨]

غلب الخطاب هنا غير العقلاء باستعمال { ما }، مع أنهم كانوا يعبدون الأصنام

وكذلك يعبد بعضهم عيسى بن مريم - عليهما السلام - (دون رضا طبعاً).

ولذلك فإن (الزبيري) لما احتج على رسول الله أن هذا يشمل عيسى كذلك فكيف

يكون في النار نزلت الآية باستثنائه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾

(١٠١) [الأنبياء]^١

والجواب المستقيم هنا ان يقال ان ذلك كان من باب التغليب.

ونكتته البلاغية هنا ان المستثنى ممن عبد وهو عيسى عليه السلام لا يذكر

مقارنة مع آلهتهم التي عبدوها وهي معهم في النار.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران/١٠٩] فاستعملت { ما

{ وهي لغير العاقل لأن المقصود أن مخلوقات الله غير العاقلة الخاضعة لله تعالى كثيرة

جداً بالنسبة إلى العقلاء. ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة/١]

أي أن الذين يسبحون الله ويلزهونه ويخضعون له من مخلوقات الله غير العاقلة في

ملكوته هم كثرة كأثرة بالنسبة للعقلاء.

ويتبع ذلك عادات قرآنية منها:

١٠ من عادة القرآن تغليب غير العاقل في السؤال عن صفة المجهول.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان/٦٠].

^١ الزبيري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجها الطبراني في الكبير (١٢ / ١٥٣) برقم (١٢٧٣٩) وصححه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠ / ٣٢٩) وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (١ / ١٩٧).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَ مَا

خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [البقرة/٢٢٨].

و قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ [البقرة/١٣٣].

٢٠ من عادة القرآن تغليب غير العاقل في الخطاب بالحل والحرمة مثل:

قوله تعالى: ﴿ فَانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ [النساء/٣].

و قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء/٢٤].

و قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء/٢٢].

باستعمال { ما } التي هي لغير العاقل.

٣. من عادة القرآن إذا وصف غير العاقل بصفة العقلاء فإن خطاب العاقل هو

المستعمل، قال تعالى: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) ﴾

[يوسف]. فقد استعملت { رأيتهم } للعقلاء بدلاً من (رأيتها) وهي لغير العقلاء، و قال

تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ (٦٣) ﴾ [الأنبياء] فجاء في الآية

الكريمة { كبيرهم } للعاقل وليس (كبيرها) لغير العاقل، وكذلك { فاسألوهم } بدل

(فاسألوها).

ثالثاً: من عادة القرآن الكناية في الخطاب فيما يقبح ذكره من الألفاظ

من عادة القرآن أن أن يكني عما يفحش ذكره في السمع.

قال الشاطبي: (أتى فيه - أي القرآن الكريم - الكناية في الأمور التي يستحيا

من التصريح بها؛ كما كنى عن الجماع باللباس والمباشرة، وعن قضاء الحاجة بالمجيء من الغائط... فاستقر ذلك أدباً لنا استنبطناه من هذه المواضع ^١).

الأمثلة:

قال الله تعالى: (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِمْ وَأَكْرَامًا) [الفرقان: ٧٢] ومما قيل في

تفسيرها: أي: كنوا عن لفظه ولم يوردوه على صيغته.

و قال تعالى: (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا) [البقرة: ٢٣٥] فكنى عن الجماع بالسر.

وقال تعالى: (فَالْيَنَ بَاشِرُوهُمْ) [البقرة: ١٨٧] فكنى عن الجماع بالمباشرة لما فيها

من التقاء البشريتين.

وقال تعالى: (أَوَلَا مَسْنَمُ النِّسَاءِ) [النساء: ٤٣] بدلاً من الجماع، إذ لا يخلو

الجماع من ملامسة.

وكنى كذلك بقوله تعالى: (مَنْ لَبَسَ لَكُمُ وَاسْتَدْبَسَ لَهِنَّ) [البقرة: ١٨٧] واللباس

من الملابس وهي الاختلاط الحاصل عند الجماع.

و قال تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: ٢٢٣]

فكنى عنها بالحرث.

^١ الشاطبي، الموافقات ٢ / ١٠٥.

وقال تعالى في قصة امرأة العزيز: (وَمَرَاوَدُهَا أَتَتْهُ أَلْفِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ)

[يوسف: ٢٣] فطلبت منه ما تطلب المرأة من الرجل، فعبر عن ذلك بالمرادوة.

وقال تعالى كذلك في الجماع: (فَلَمَّا تَخَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ)

[الأعراف: ١٨٩].

وكنى عما يخرج من الإنسان من الفضلة في قصة مريم وابنها (كَأَنَّا يَأْكُلَانِ

الطَّعَامَ) [المائدة: ٧٥] أراد أن يقول: إن مريم وابنها يأكلان الطعام ويخرجان الفضلات،

ولا يمكن لأحدهما أن يكون إلهًا، فإن الله تعالى منزّه عن ذلك.

وقال عز وجل: (أَوْجَاءُ أَحَدُهُمْ مِّنَ الْغَائِطِ) [المائدة: ٦] والمقصود بالغائط

قسيم البول، ما يخرج من الإنسان من الفضلة، ولكن قال: الغائط، وهو المكان المنخفض

من الأرض، لأن العرب كانوا إذا أرادوا قضاء حاجاتهم أبعدوا عن العيون إلى مكان

منخفض من الأرض، حتى إذا نزل أحدهم فيه ليقضي حاجته لا يرى، فكنى عنه بالغائط.

وقال تعالى: (وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا نَايِفَةٌ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَأَمْرُجُلَيْهِ) [المتحنة: ١٢] ومعلوم ماذا

يوجد بين أرجلهم، فالكناية عن الزنا.

وكنى عن الإست بالدبر، فقال تعالى: (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)

[الأنفال: ٥٠].

أولاً: عادة القرآن تقديم الوسيلة قبل الطلب

تقديم الوسيلة قبل الطلب من عادات القرآن. يقول الإمام الشاطبي: (تقديم الوسيلة بين يدي الطلب كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .) الفاتحة [٥-٦]، وفي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا آمِنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ) آل عمران [١٦] وقال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ثَمَرَاتٍ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَسْرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) يونس [٨٨]، وقال في حق نوح عليه السلام: (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُمْ آلَهُ وَوَكَّدَهُ إِلَّا حَسَامًا" إلى قوله تعالى: "وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢١-٢٨) (وَأَذِ بَرَفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)) البقرة. ... ومن فوائد هذه العادة القرآنية تعليم الأمة آداب التعامل مع ربها، خاصة عند دعائه.)^١ قلت: ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) . آل عمران [٥٣] وقال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) آل عمران [١٩١].

^١ الشاطبي، الموافقات ٣ / ٣٧٩ .

ثانيا: عادة القرآن في نداء النبي صلى الله عليه وسلم

قال السيوطي: (ولم يقع في القرآن الخطاب ب يا محمد بل يأياها النبي يأياها الرسول تعظيما له وتشريفا وتخصيصا بذلك عما سواه وتعلينا للمؤمنين ألا ينادوه باسمه)^١.

وقال القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال تعالى: يا نوح... ؛ يا إبراهيم... ؛ يا موسى... ؛ يا عيسى... ؛ يا داود... ؛ يا زكريا... ؛ يا يحيى...، ولم يخاطب محمدا إلا بقوله عز وجل يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمّل يا أيها المنذر.. وقال بعضهم: ومن فضله، أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم، و خاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه، فقال: يا أيها النبي...، يا أيها الرسول...)^٢. وقال القرطبي: (إذا أراد الله بالخطاب المؤمنين لطفه (أي نبيه) بقول: (يا أيها النبي). فإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له (قال: "يا أيها الرسول")^٣. ونداءات رب العالمين للنبي خاتم المرسلين (بقوله تعالى: (يا أيها النبي..)) وردت في الذكر الحكيم في ١٣ آية ؛ وبقوله جل جلاله: (يا أيها الرسول..) في آيتين ٢.

ثالثا: عادة القرآن في نداء المؤمنين ونداء الكفار

حيثما ورد نداء المؤمنين في القرآن الكريم ضمن لفظ الألوهية، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ البقرة / ٢٧٨. وذلك لأن المؤمن مقرر بتوحيد الألوهية.

^١ السيوطي الإفتان ٢ / ٨٩.

^٢ القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى تحقيق علي محمد البجاوي ط الباب الحلبي ١٩٧٧ م (١ / ٢٨).

^٣ القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٣٢.

وحيثما ورد نداء الناس في القرآن الكريم فالغالب تضمينه لفظ الربوبية، كقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ البقرة / ٢١. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ النساء / ١.

وذلك لأن لفظ (الناس) عام يدخل فيه المؤمن والكافر، والكفار أغلبهم مقرر بتوحيد الربوبية دون الألوهية.

رابعاً: من عادة القرآن أن أكثر الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة

وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة.

الخطاب بـ (يا أيها الذين كفروا) و (يا أيها الكافرون) هو من نوع المواجهة بالكفر

وهو من أشد ما يكون على المخاطبين لذا قل ذكره في القرآن ولم يرد إلا مرتين.

قال السيوطي: (وأكثر الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) على المواجهة وفي جانب

الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضاً عنهم كقوله تعالى: (إن الذين كفروا) وقوله تعالى: (قل

للذين كفروا)¹

خامساً: من عادة القرآن التعريض في الخطاب

التعريض مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (ما بال أقوام يفعلون كذا)²،

ومنه الحديث (إن في المعارض لمندوحة عن الكذب) أي سعة.

¹ السيوطي، الإتيان ، ٢ / ٨٩. وانظر الزركشي البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٣٠.

² ومثال ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت

:أنتها بريرة تسألها في كتابتها فقالت إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرته ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (ابتاعها فأعتقها وإنما الولاء لمن أعتق). ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة شرط) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، ٢، ٩٨١.

أما التعريض في اللغة: فهو ضد التصريح يقال عَرَضَ لفلان وبفلان إذا قال

قولا وهو يعنيه ومنه المَعَارِضُ في الكلام وهي التورية بالشيء عن الشيء.^٢

وفي حده الاصطلاحي قال السيوطي في تعريفه: (وأما التعريض فهو لفظ

استعمل في معناه للتلويح بغيره)^٣

وعلى هذا فالتعريض يمكن ان يقال فيه انه ضد التصريح أو هو أن تضمن

كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وغير المقصود، إلا أن إشعاره بجانب المقصود

أرجح كقول السائل للغني، جئتكَ لأسلم عليك، يريد به الإشارة إلى طلب شيء منه،

وكقول القائل للبخيل: ما أقبح البخل ! يعرض أن المخاطب بخيل.

كثر التعريض في القرآن في دعاء الأنبياء أدبا مع الله تعالى

الأمثلة:

١. قال تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ

{٤٥} هود.

١ رواه البخاري في الأدب المفرد عن مطرف بن عبد الله قال صحبت عمران بن حصين في الكوفة إلى البصرة

فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه شعرا وقال إن في معاريض - الحديث

ورواه ابن السني عن عمران بن حصين وأبو نعيم عن علي بلفظ إن في المعاريض لمنذوحة عن الكذب

وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير والطبري في التهذيب.

وقال البيهقي رواه دلود بن الزبرقان عن عمران مرفوعا وموقوفا والصحيح الموقوف [صفحة ٢٧٠]

وهو المرفوع ابن عدي وروى من وجه آخر ضعيف جدا عن علي رفعه وكذا عند أبي نعيم عن علي رفعه: إن

في المعاريض ما يكتفي للرجل العاقل عن الكذب.

قال العجلوني في كشف الخفاء: (بالجملة فالحديث حسن كما قاله العراقي ولذا رد على الصغاني حكمه عليه

بالوضع) ١ / ٢٦٩.

وقال الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٩٠٤ في ضعيف الجامع.

^٢ الرازي، مختار الصحاح مادة عرض ١ / ٤٦٧.

^٣ السيوطي الإتيان ٢ / ١٣٢.

يقول الزمخشري في ذلك عند تفسير قوله عز وجل: (وإن وعدك الحق): (إن كل

وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي

فما بال ولدي وأنت أحكم الحاكمين)^١

ويقول ابن كثير عن تفسير قوله سبحانه وتعالى: (قال رب إن ابني من أهلي): (أي

وقد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق الذي لا يخلف فكيف غرق ولدي وأنت أحكم

الحاكمين؟)^٢

لذا فإن نوح عليه السلام عدل عن السؤال الذي هو كيف غرق ولدي وأنت

أحكم الحاكمين؟ ألم تعدني أن تنجي أهلي؟ تأدبا مع الخالق جل وعلا فعرض في

مطلوبه.

٢. قال تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أنه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا

له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤)) الآية

والتعريض في قول أيوب عليه السلام (أنني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فانه

عليه السلام حياء وتأدبا مع الله تعالى لم يصرح بمطلوبه بل عرض به عن طريق ذكر

ربه بغاية الرحمة وذكر نفسه بما يوجبها فكأنه من خلال هذا يقول: أنت أهل لأن ترحم

وأيوب أهل لأن يرحم.

^١ الزمخشري الكشاف ١ / ٥٤٧.

^٢ تفسير ابن كثير ٢ / ٥٨٨.

٣. قال تعالى: (قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِاللَّهِتَاتِ يَا إِبْرَاهِيمُ) (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا

فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) سورة الأنبياء

والتعريض هنا في قوله تعالى: (بل فعله كبيرهم).

قال الزمخشري في تفسيره: (هذا من معاريض الكلام فإن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الضم إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط: أنت كتبت هذا؟^١

٦. قال تعالى: (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٢٢) أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ

الرَّحْمَنُ بَضْرًا تَغْنِ عَنِّي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنْ يَإِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) سورة يس

والتعريض في قول الرجل رضي الله عنه (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي)، فهو لم يوجه لهم الخطأ مباشرة حتى لا يستثير غضبهم ولكنه عرض بهم تعريضاً فوجه الكلام إلى نفسه (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي)، وهذا هو الكلام الظاهر ومعناه تعريضاً وما لكم لا تعبدون الذي فطركم.

^١ الزمخشري، الكشاف ١٥/٣

المثال الأول: قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

(الحديد / ١٦ .

قال ابن عاشور: (فالمقصود من (للذين آمنوا) : إما بعض ملهم ربما كانوا

مقصرين عن جمهور المؤمنين يومئذ فأراد الله أيقاظ قلوبهم بهذا الكلام المجمل على عادة

القرآن)^١

المثال الثاني: قوله تعالى: (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (سورة الزمر

قال ابن عاشور: (أعقب أمر التسوية في شأنهم بشيء من الموعظة حرصاً

على إصلاحهم على عادة القرآن ولوحظ في إبلاغهم هذه الموعظة مقام ما سبق من

التخلية بينهم وبين شأنهم جمعاً بين الإرشاد وبين التوبيخ فجاء بالموعظة على طريق

التعريض والحديث عن الغائب والمراد المخاطبون)^٢

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٥١/٢٧

^٢ المصدر نفسه ١ / ٣٦٧٤

المثال الثالث: قوله تعالى: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا

بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)} سورة إبراهيم. وقوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً

مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ (١٣)} فصلت، وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعِدَ لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتِ ثُمُودُ (٩٥)﴾ مود

وواضح ان ذكر مساكن الذين ظلموا للمؤمنين من التعريض لهم حذرا

ان يصنعوا صديعهم. وإنذار المؤمنين بصاعقة عاد وثمود من التعريض لهم،

وأیضا تبعيد مدین كما بعدت ثمود يشعر بالتعريض لهم ووجهه ان الله تعالى يعامل

المثيل كما يعامل مثيله.

المبحث الخامس عشر:

عادات قرآنية متفرقة

أولاً: تعقيب الحديث عن الموت والبعث بالحديث عن الإنفاق في سبيل الله.

ومن عادة القرآن أنه يعقب الحديث عن الموت والبعث بالحديث عن الإنفاق في

سبيل الله.

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أُتْبِتْ سَعْيَ سَنَائِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١) البقرة:

مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر قصة المارء علي قرية وقصة إبراهيم وكانا من

أدل دليل علي البعث ذكر ما ينفع به يوم البعث وما يجد جدواه هناك وهو الإنفاق في

سبيل الله، كما أعقب قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت بقوله تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)، وكما أعقب قتل داود جالوت وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

مَا أَقْتَلُوا) بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ، فكَذَلِكَ أَتُوبُ هُنَا

ذكر الإحياء والإماتة بذكر النفقة في سبيل الله وذكر بالبعث وحض علي اعتقاده؛ لأنه لو

لم يعتقد وجوده لما كان ينفق في سبيل الله).^١

^١ د. حيدر مختار محمود، المناسبات القرآنية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر بيروت ص

ثانيا: إذا ذكر كتاب الأعمال في الآخرة ذكر كتاب الأعمال في الدنيا (القرآن)

قال السيوطي: (عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركها)^١

الأمثلة:

قال تعالى: (وَوَضَعَ الْكِتَابُ قَرْنَ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا الْكَهْفِ)
(٤٩) إلى ان قال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدًّا)
(٥٤)

وقال سبحانه: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا) (الإسراء) (٧١) إلى ان قال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (٨٩) .

ثالثا: افتتران تنزيل الكتاب مع أسماء الله الحسنى

قال الشنقيطي: (قد دل استقراء الكتاب العظيم على ان الله تعالى إذا ذكر تنزيله لكتابه اتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى والمتضمنة صفاته العليا)^٢

^١ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٢٤٠ .

^٢ الشنقيطي، أضواء البيان ٧ / ٢٦ .

وقال ابن عاشور: (وهذا اصطلاح القرآن في الغالب أن يقرن الإيمان بالعمل

الصالح كما في قوله تعالى قبل هذه الآية: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ

يُحِبُّونَ) (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) الروم.

حتى توهمت المعتزلة والخوارج أن العمل الصالح شرط في قبول الإيمان)^١.

رابعاً: عادة القرآن أن يخص المنتفع بالذكرى دون غيره باسم الذاكر

الذاكرون اسم فاعل، جمع الذاكر، وهو متعد، مفعوله محذوف أي الذاكرين لله.

وقد جرت عادة القرآن أن يخص المنتفع به دون غيره، غالباً، لأن الذي لم يستفد ينزل

منزلة من لم يذكر ولم يوعظ. كما قال تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ

بِالْغَيْبِ قَبْشِرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) [يس: ١١]. وقال تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنِ خَشَاهَا)

النازعات/ ٤٥ . وقال تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) ق/ ٤٥

مع أن الله تعالى صرح بعموم نذارته كما قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) الفرقان: ١.

وإنما يخص المتقين كما مضى، لأنهم هم الذين ينتفعون به، فهو لهم رحمة

وحجة، وعلى غيرهم وبال لإعراضهم عنه، فهو مفتاح الجنة للعاملين ومفتاح النار

^١ المصدر نفسه ٣ / ٤٥٦.

للمعرضين. كما قال تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُوهُ عَلَيْهِمْ عَمًى) فصلت: ٤٤ .

وقال تعالى: (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَمَرْحَمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا نُنزِلُهَا إِلَّا خَسَارًا) الإسراء: ٢٨.

وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ نَزَّلَتْ هَذِهِ آيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَنَزَّلَتْهُمْ آيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) ١٢٤ وقال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَنَزَّلَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) التوبة: ١٢٤-١٢٥. واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين

خامسا: عادة للقرآن في استعمال { يغفر لكم ذنوبكم } و { يغفر لكم من ذنوبكم }.

والفرق بين الاستعمالين في القرآن: أنه حيثما كان الخطاب في الآية من المؤمنين أو للمؤمنين؛ فإن التعبير يكون بلفظ ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ لأن المؤمن إذا استغفر الله غفرت له جميع ذنوبه.

وحيثما كان الخطاب في الآية للكافرين؛ فإن التعبير يكون بلفظ: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾، وذلك لأن الكافر لا تغفر جميع ذنوبه وهو متلبس بكفره.^١

ومن أمثلة خطاب المؤمنين.

^١ ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ / ٥٣)

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) الاحزاب.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجْبِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُمْنُونَ

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)

الصف.

ومن أمثلة خطاب الكفار.

قال تعالى: (قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَتَيْنَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) سورة إبراهيم.

قال تعالى: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

(٣١) الاحقاف.

قال تعالى: (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) لُوح.

سادسا: عادة في الحروف المقطعة أوائل السور

قال السيوطي: (واعلم أن عادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن) .

وقال ابن كثير (كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة)^١.

الأمثلة:

كقوله تعالى: (ألم ذلك الكتاب الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق) وقوله تعالى: (المص كتاب أنزل إليك) الأعراف، و قوله تعالى: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) سورة طه / ١-٢. وقوله تعالى: (طسم تلك آيات الكتاب) وقوله تعالى: (يس والقرآن) وقوله تعالى: (ص والقرآن) وقوله تعالى: (الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الْبَقَرَة .

و قوله تعالى: (الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)) السجدة، و قوله تعالى: (ق والقرآن) . و قوله تعالى: (الر تلك آيات الكتاب الحكيم (١) يونس .

وخالفت عادة القرآن في ثلاث سور قال تعالى: (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)) العنكبوت قال تعالى: (الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ

^١ ابن كثير، تفسير ابن كثير (١/ ٣٩)

بَعْدَ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) سورة الروم، قال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)) وسورة ن،
فليس فيها ما يتعلق به.

وقد استفيد من هذه العادة في تفسير هذه الحروف. والمقصود ان هذه
الحروف للتحدي والإعجاز وكان القرآن يقول: القرآن من هذه الحروف فأتوا بمثله.

سابعاً: عادات القرآن الكريم في القسم

فيما يلي ذكر العادات التي تميز بها القرآن الكريم في أسلوب القسم.

١. لم يرد في القرآن كله كلمة (أقسم) أبداً وإنما استخدم لفظ (لا أقسم).

كثر في موارد عديدة من القسم القرآني، سبق (لا) على (أقسم)، ولم يرد في
القرآن كله كلمة (أقسم) أبداً وإنما استخدم لفظ (لا أقسم) بمعنى أقسم و(لا) لتأكيد القسم.
فقد يكون الشيء من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج لقسم وفي هذا تعظيم للشيء نفسه.
وقد تعني (لا أقسم) أحياناً أكثر من القسم (زيادة في القسم).

وقد ورد المقسم به مسبوقاً بأداة النفي (لا) في ثمانية مواضع من القرآن الكريم،
وهي: قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) سورة النساء: آية/٦٥. قوله

تعالى: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) سورة الحاقة: الآيتان /٣٨، ٣٩ قوله تعالى: (فلا أقسم برب

المشارك والمغرب إنا لقادرون) سورة المعارج: آية/٤٠. قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) سورة

الواقعة: آية /٧٥. قوله تعالى: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) سورة التكويد: الآيتان

/١٥، ١٦ قوله تعالى: (فلا أقسم بالشفق) سورة الانشقاق: آية /١٦. قوله تعالى: (لا أقسم

ببوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة) سورة القيامة: الآيتان ١/، ٢. قوله تعالى: (لا أقسم بهذا

البلد) سورة البلد: آية ١/.

٢. عادة القرآن في حذف جواب القسم.

إن القرآن قد يستعمل أسلوب القسم بغير مقسم به كما جرى في قوله تعالى:

(أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبك منه دلّامان جهنم مكرّ أجعين) سورة الأعراف: آية

١٨/ و قوله تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) سورة المجادلة آية ٢١/.

٣. عادة القرآن في العلاقة القائمة بين المقسم به والمقسم عليه

هناك علاقة قائمة بين المقسم به والمقسم عليه استدعت اقترانهما، وفي كل مورد

من موارد القسم نجد تناسبا بين الطرفين المذكورين، ولذلك فكل يراد إيصالها بقسم ما،

تستدعي مقسما به خاصا.

ومثال ذلك قوله تعالى: (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) الضحى/

٣-١. فقد ذكر المفسرون في سبب نزولها أنه احتبس الوحي عنه (صلى الله عليه وسلم)

لأيام فقال المشركون إن محمدا قد ودعه ربه وقلاه) .

أما المقسم به فهو الضحى أي صدر النهار وقت ارتفاع الشمس، والليل إذا سجى

وسكن .

أما المقسم عليه إن رب محمد لم يتركه ولم يبغضه ، ووجه العلاقة بين الأمرين واضح إذ أن نزول الوحي يناسب الضحى ، ونور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل يناسب نور الوحي نجومًا وبعد احتباس يتلاءم وتعاقب الليل والنهار . ومثال آخر قوله تعالى: (والبحر إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) .النجم ١/٢٠ .

فقد أقسم الله تعالى بالنجم أي الكوكب الطالع الذي يضئ في السماء ثم يسقط نحو الغروب. أما المقسم به فهو نفى الضلالة والغي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ووجه الصلة بينهما أن النجم عند الهوى والميل يهتدي به الساري كما أن النبي يهتدي به الناس لأنه لا ينطلق عن الهوى بل هو وحي يوحى .

٤. عادة القرآن أن القسم في القرآن الكريم بعدد من الأمور المتتابعة لا

يستلزم بالضرورة ترابطها

عادة القرآن أن القسم في القرآن الكريم بعدد من الأمور المتتابعة لا يستلزم بالضرورة ترابطها، كما هو وارد في سورة التكوين، وفي العديد غيرها من سور القرآن الكريم من مثل سور الذاريات، الطور، القيامة، الانشقاق، البروج، الفجر، البلد، الشمس، والعاديات، ومن هنا كانت ضرورة التنبيه علي عدم لزوم الربط بين القسم الأول في سورة التكوين.

ثامنا: عادة قرآنية في تساوي عدد مرات ذكر الألفاظ المتقابلة في

القرآن الكريم

لقد نفت انتباهي شيعي وأستاذي العلامة الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف الخرابشة إلى عادة قرآنية وهي تساوي عدد مرات ذكر الألفاظ المتقابلة في القرآن الكريم كالدنيا

والآخرة والحياة والموت وأمثال ذلك، حيث قال ان هذه الألفاظ لم ترد على هذا الشكل من قبيل الصدفة بل فيها مغزى يجب على متدبر القرآن ان يلحظه، ومن فوائده ان ذلك من دلائل الإعجاز القرآني فلا يفتن إلى مثل هذا الأمر إلا من لا تخفى عليه خافية جل جلاله.

ولما ذهبت اجمع هذه الكلمات وادخلها في البحث فلا تكون خارجة عنه لكون ذلك عادة من عادات القرآن الكريم وجدت ان الدكتور طارق سويدان قد جمعها في موقعه على الانترنت بعنوان (من الإعجاز العددي للقرآن الكريم) وفيما يلي القائمة بهذه الألفاظ.

الكلمة	عدد مرات الذكر في القرآن الكريم
الدنيا	١١٥ مرة
الآخرة	١١٥ مرة
الملائكة	٨٨ مرة
الشياطين	٨٨ مرة
الحياة	١٤٥ مرة
الموت	١٤٥ مرة
النفع	٥٠ مرة
الفساد	٥٠ مرة
إبليس	١١ مرة
الاستعاذة من إبليس	١١ مرة
الرغبة	٨ مرات
الرغبة	٨ مرات
الرجل	٢٤ مرة
المرأة	٢٤ مرة
الصلاة	٥ مرات
الشهر	١٢ مرة
اليوم	٣٦٥ مرة

الفصل الثالث:

أثر غرف القرآن في الترجيح بين أقوال المفسرين.

وفيما يلي الترجيح بعادة القرآن الكريم في الآيات:

١- قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ

فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمْنَ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي

عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

قال الشوكاني: (اختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقروء المذكورة في

الآية فقال أهل الكوفة: هي الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى

ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز: هي

الأنهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان

والشافعي)^١.

والطهر في الاستعمال اللغوي يصدق على الحيض ويصدق على الطهر .

ومن حجج من قال بالطهر: أن العدد مؤنث، فوجب أن يكون المعدود مذكرا،

والأنهار، جمع طهر، لفظ مذكر، فناسب أن يكون المعنى: والمطلقات يتربصن بأنفسهن

ثلاثة أطهار.

^١ الشوكاني فتح القدير ١ / ٣٥٧.

وهذا لا حجة فيه لأنه لا ينكر أن يكون القرء لفظاً مذكراً يعنى به المؤنث ويكون
تذكير ثلاثة حملاً على اللفظ دون المعنى كما نقول العرب جاءني ثلاثة أشخاص وهم
يعنون نساء.

و حجب من قال بالحيز كثيرة يهمنها منها دليل عادة القرآن وهو أن من عادة
القرآن أن يكنى عما لم يحسن ذكره صراحة، وهو هنا الحيز، لا الطهر، كما كنى عن
الجماع بالملامسة والغشيان والنكاح.

٢- قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة آل عمران الآية
(٧).

اختلف المفسرون في الواو في قوله تعالى والراسخون في العلم، هل هي واو
عاطفة أم استئنافية ؟^١

والمعنى على كونها عاطفة ان الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه. وعلى
كونها استئنافية فلا يعلم تأويل المتشابه إلا الله تعالى.

وأدلة الترجيح بين الطرفين كثيرة ليس هذا مجال ذكرها ويهمنها هو ما له علاقة
بمبحثنا وهو الترجيح من جهة عادة القرآن الكريم.

^١ انظر الطبري جامع البيان ٣ / ١٧٩. وابن كثير تفسير ابن كثير ١ / ٤٦٠ والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٢.

ولقد استفاد الشنقيطي من عادة القرآن في جعل ذلك وجها من وجوه الترجيح فقال: (ومما يؤيد ان الواو استئنافية لا عاطفة دلالة الاستقراء في القرآن انه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئا وأثبتته لنفسه انه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك) ^١.

أمثلة العادة:

قوله تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) النمل ٦٥

وقوله تعالى: (فلا يجليها لوقتها إلا هو) الأعراف ١٨٧

وقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) القصص ١٨.

٣- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُشْتَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) سورة آل عمران الآية

.(٧)

اختلف المفسرون في معنى تأويل القرآن: على قولين، الأول: المعنى تفسيره.

والقول الثاني: حقيقته. ^٢

ولقد رجع الشنقيطي من جهة عادة استعمال القرآن حيث قال: (والحقيقة هو

الاحتمال الغالب في القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ

^١ الشنقيطي أضواء البيان ٢ / ٣٤١.

^٢ انظر الطبري جامع البيان ٣ / ١٧٩، والشوكاني فتح القدير ١ / ٤٧٣ والسيوطي الدر المنثور ٢ / ١٤٨.

هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴿يوسف / ١٠٠﴾ ، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ ﴿الأعراف / ٥٣﴾ ، أي

حقيقته، وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)﴾ سورة يونس، وأحسن التفسير أن يفسر القرآن

بالقرآن، فيكون معنى ﴿وما يعلم تأويله﴾ أي حقيقته (١).

٤- قوله تعالى: (وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعَذَّ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴿النساء: ١٤﴾]

اختلف المفسرون فيها على قولين:

١. إنها في حق العصاة من المسلمين الذين اخلوا في توزيع الميراث.

٢. فيمن جحد الفرائض: وهو ترجيح الألوسي وابن تيمية.

قال الألوسي: (والمهين المنزل . فغير الكافرين إذا عذب فإنما يعذب للتطهير لا

للالهانة والإذلال ولذا لم يوصف عذاب غيرهم به في القرآن) (٢).

وقال: (فغير الكافرين إذا عذب فإنما يعذب للتطهير لا للالهانة والإذلال ولذا لم

يوصف عذاب غيرهم به في القرآن فلا تمسك للخوارج بأنه خص العذاب بـ الكافرين

فيكون الفاسق كافرا لأنه معذب ولا للمرجئة أيضا) (١).

^١ الشنقيطي أضواء البيان ٢ / ٣٤١.

^٢ الألوسي، روح المعاني ٤ / ٢٣٣.

قال ابن تيمية: (لم يجئ إعداد العذاب المهيين في القرآن إلا في حق الكفار، و

أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاِمًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [

النساء: ١٤] فهي والله أعلم فيمن جحد الفرائض)^٢.

٥- قوله تعالى: (إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَاِثْرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ

كَرِيْمًا) النساء (٣١).

للمفسرين في (مدخلا) قولان:

القول الأول: مصدر أي ندخلكم الجنة إدخالا.

والثاني: مكان منصوب على الظرف.

وقد رجح الألوسي الحمل على المكان واستدل على ذلك بعادة القرآن فقال: (

ورجح حملة على المكان لوصفه بقوله سبحانه وتعالى: كريما أي حسنا وقد جاء في

القرآن العظيم وصف المكان به فقد قال سبحانه ومقام كريم)^٣.

٦- قوله تعالى: (إِنْ أَلَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) سورة النساء الآية (٤٨).

اختلف المفسرون في الآية، هل المراد بالشرك الشرك الأكبر فقط؟ أم يشمل

الشركين (الأكبر والأصغر). وهما قولان:

القول الأول: أن الشرك عام للأكبر والأصغر.

^١ المصدر نفسه ٤ / ٢٣٣.

^٢ ابن تيمية دقائق التفسير ٢ / ٤٥٨.

^٣ الألوسي، روح المعاني ٥ / ١٥ و ٣٦ / ٣٦.

القول الثاني: أن الشرك هنا مخصوص بالأكبر فقط^١.

ويترتب على ترجيح القولين مسائل من أهمها:

من رجح أن المراد بالشرك هنا الأكبر فقط فإنه يجعل الشرك الأصغر داخلا

تحت المشيئة.

ومن رجح القول الأول أن الآية تشمل الشركين لزم منه عدم مغفرة الشرك الأصغر ولكن يكون الشرك الأصغر داخلا في الموازنة بين الحسنات والسيئات، وأن من رجحت حسناته على سيئاته لا يعذب على الشرك الأصغر.

والذي أميل إليه هو ترجيح أن المراد بالآية خصوص الشرك الأكبر فقط

دون الأصغر، فالشرك إذا أطلق في القرآن يراد به الشرك الأكبر غالباً، وهذه قرينة قوية في تخصيص الآية بالشرك الأكبر.

وعليه فإن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة في الآية.

٧- قوله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

الْخَاسِرِينَ) سورة المائدة الآية (٥).

اختلف المفسرون في المراد بالكتابي الذي تحل ذبيحته، وينطبق عليه هذا

الوصف على قولين:

^١ انظر القولين عند الطبري ٤ / ١٢٤.

الأول: أنه من تدين بدين اليهودية أو النصرانية.

وهو قول جماهير الأمة.

لقوله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا) (الأنعام: من الآية ١٥٦)،

فلو كانوا أكثر من طائفتين لما خصهم بذلك ونقل ابن عطية الإجماع على أن المراد بذلك اليهود والنصارى فقط^١.

وعلى هذا دل عُرف القرآن والسنة في أهل الكتاب وفهمه الصحابة ومن بعدهم.

الثاني: أنه كل من اعتقد ديناً سماوياً له كتاب منزل فيشمل إضافة لما سبق من آمن بصحف إبراهيم وزبور داود.

وبهذا قال الحنفية.

ورجح الجصاص قول الجمهور وقال: "الآية صريحة في أن أهل الكتاب في عُرف القرآن هم اليهود والنصارى دون غيرهم"^٢.

٨- قوله تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

الْخَاسِرِينَ) سورة المائدة (٥).

^١ ابن عطية، المحرر الوجيز (٤٠٤/٥).

^٢ الجصاص، أحكام القرآن (٣٢٧/٢).

اختلف العلماء في نكاح الكتابيات المتمسكات بغير التوراة والإنجيل كزبور داود

وصحف شِيث وإبراهيم على قولين: ^١

الأول: أنه يجوز مناكتهن .

والقول الثاني: لا تجوز مناكتهم.

وقد رجح ابن القيم قول الفريق الثاني مستدلاً على ذلك بعادة قرآنية في استعمال

لفظ أهل الكتاب فقال: (وأما قولهم: إن الكتاب عام في قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ) فعرف القرآن من أوله إلى آخره في الذين أوتوا الكتاب أنهم أهل الكتابين

خاصة وعليه إجماع المفسرين والفقهاء وأهل الحديث) ^٢.

٩- قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا

أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^٣ (٣٣) المائدة.

اختلف المفسرون في حكم من قتل من المحاربين على قولين: ^٤

القول الأول: من قتل منهم وأخذ المال قتل وصلب ومن قتل منهم ولم يأخذ المال

قتل ولم يصلب وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد.

قال بهذا ابن عباس وبه قال قتادة وحماد والليث والشافعي وإسحاق.

^١ انظر الطبري جامع البيان ٢ / ٣٨٨ وابن كثير تفسير ابن كثير ١ / ٣٤٧.

^٢ ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ٢ / ٨١٣.

^٣ انظر القولين عند الطبري الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٥٤٦ وما بعدها.

وذهبت طائفة إلى أن الإمام مخير فيهم بين القتل والصلب والقطع والنفى لأن (أو) تقتضي التخيير وهذا قول سعيد بن المسيب و عطاء و مجاهد و الحسن و الضحاك و النخعي و أبي الزناد و أبي ثور و داود وروي عن ابن عباس ما كان في القرآن (أو فصاحبه بالخيار .

وقد جاء في كتاب ابن قدامة المقدسي المغني في الفقه ما نصه: (عُرف القرآن فيما أريد به التخيير البداية بالأخف ككفارة اليمين، وما أريد به الترتيب بدئ فيه بالأغلظ فالأغلظ ككفارة القتل)^١.

وكفارة اليمين قوله تعالى: ﴿ فكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ المائدة / ٨٩. فان الإطعام اخف من الكسوة والكسوة اخف من عتق الرقبة.

١٠- قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) الْأَنْعَام.

اختلف المفسرون في قوله تعالى: (وكلناها قوما):

(القول الأول: إنهم الأنبياء أصلا والمؤمنون بهم تبعاً فيدخل كل من قام بحفظها والذنب عنها والدعوة إليها.

القول الثاني: إنهم الملائكة)^٢.

^١ ابن قدامة المقدسي، المغني ١٠ / ٢٩٩.

^٢ انظر الطبري، جامع البيان ٥ / ٢٦١ وابن كثير تفسير ابن كثير ٢ / ٢٠٨ والسيوطي الدر المنثور ٣ / ٣١٢.

قال ابن القيم عن هذا القول: (ضعيف جدا لا يدل عليه السياق وتأباه لفظه قوما إذ الغالب في القرآن بل المطرّد تخصيص القوم ببني آدم دون الملائكة وأما قول إبراهيم لهم قوم منكرون فإنما قاله لما ظنهم من الإنس)^١.

١١- قوله تعالى: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (سورة الأنعام

الآية ١٢٧).

للعلماء في تفسير السلام أو دار السلام ثلاثة أقوال:

القول الأول: السلام بمعنى التحية.

وهو ترجيح البغوي حيث قال: (وقيل: سميت بذلك لأن جميع حالاتها

مقرونة بالسلام يقال في الابتداء: قوله تعالى: ﴿ادخلوها بسلام آمين﴾ (الحجر ٤٦)

وقوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ (الرعد ٢٣) وقال

تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما﴾ إلا قبيلا سلاما سلاما ﴿(الواقعة ٢٦) وقال تعالى: ﴿

نحيهم فيها سلام﴾ (إبراهيم ٢٣) وقوله تعالى: ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ (يس ٥٨)^٢

القول الثاني: أي دار الله والسلام من أسماء الله تعالى.

وهو قول السدي^٣.

القول الثالث: والسلام صفة الدار دار السلام.^٤

وهو قول جماهير المفسرين كالقرطبي والشوكاني والبيضاوي والزمخشري وابن

عاشور وغيرهم^١

^١ ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ١٦١

^٢ تفسير البغوي ١/ ١٨٧

^٣ الطبري، جامع البيان ٥/ ٣٤٢.

^٤ تفسير ابن كثير ٢/ ٢٣٦

قال ابن القيم: (إذا جاء دار السلام حملت على المعهود وأيضاً فإن المعهود في القرآن إضافتها إلى صفتها أو إلى أهلها، أما الأول فنحو دار القرار دار المجدجنة المأوى جنات النعيم جنات الفردوس وأما الثاني فنحو دار المتقين)²

وقال: (ولم تعهد إضافتها إلى اسم من أسماء الله تعالى في القرآن فالأولى حمل الإضافة على المعهود في القرآن)

وقال: (وكذلك إضافتها إلى التحية ضعيف من وجهين: أحدهما: أن التحية بالسلام مشتركة بين دار الدنيا والآخرة وما يضاف إلى الجنة لا يكون إلا مختصاً بها كالخلد والقرار والبقاء

الثاني: أن من أوصافها غير التحية ما هو أكمل منها مثل كونها دائمة وباقية ودار الخلد والتحية فيها عارضة عند التلاقي والتزاور بخلاف السلامة من كل عيب ونقص وشر فإنها من أكمل أوصافها المقصودة على الدوام التي لا يتم النعيم فيها إلا به فإضافتها إليه أولى وهذا ظاهر)³.

١٢- قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَتُصَّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) قُلْ لَّوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) سورة الأنعام الآيات (٥٧ - ٥٨)

اختلف المفسرون في عودة ضمير (به) بعد كلمة تستعجلون:

القول الأول: عائد على ما والمراد بها الآيات المقترحة.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٧٤ والشوكاني، فتح القدير ٢ / ٢٣٤.

² ابن القيم، بدائع الفوائد ٢ / ٣٦٢.

³ المصدر نفسه ٢ / ٣٦٢.

والقول الثاني: ان المراد به العذاب.

وقد رجح الثعالبي القول الثاني من وجهين:

(أحدهما: من جهة المعنى وذلك أن قوله وكذبتم به يتضمن أنكم واقعتم ما

تستوجبون به العذاب إلا أنه ليس عندي.

والآخر: من جهة لفظ الاستعجال الذي لم يأت في القرآن إلا للعذاب حيث قال:

(لفظ الاستعجال الذي لم يأت في القرآن إلا للعذاب)^١

وقال الراغب: (العجلة مضمومة في عامة القرآن)^٢.

١٣ قوله تعالى: (قُلْ أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) سورة الأعراف (٢٩).

اختلف المفسرون في قوله تعالى: (كما بدأكم تعودون). فقال سعيد بن جبیر

و أبو العالية: كما كتب عليكم تكونون. وقال مجاهد: يبعث المسلم مسلماً والكافر كافراً.^٣

قال ابن القيم مرجحاً أنه البعث: (وكون هذا مراد الآية) أي قول ابن

جبیر وأبي العالية (غير متعين فإن الآية . أنه يعيدهم كما بدأهم على عادة القرآن في

الاستدلال على المعاد بالبداة)^٤.

^١ تفسير الثعالبي ١ / ٥٢٥

^٢ الراغب، المفردات ٥٤٨.

^٣ النظر الطبري جامع البيان ٥ / ٤٦٥ وابن كثير تفسير ابن كثير ٢ / ٢٧٩ والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧

/ ١٦٧.

^٤ ابن القيم، أحكام أهل الذمة ٢ / ١٠٣١

١٤- قوله تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (سورة التوبة الآيات (١٢١ - ١٢٢)

للمفسرين في النفير قولان: ¹

القول الأول: أن المعنى فهلا نفر من كل فرقة طائفة تتفقه وتتذر القاعدة فيكون

المعنى في طلب العلم. وهذا قول الشافعي.

والثاني: أن المعنى فلولا نفر من كل فرقة طائفة تجاهد لتتفقه القاعدة وتتذر

النافرة للجهاد إذا رجعوا إليهم ويخبرونهم بما نزل بعدهم من الوحي.

قال ابن القيم عن التفسير الثاني مرجحا: (وهو الصحيح لأن النفير إنما هو

الخروج للجهاد) ^٢.

قلت: والنفير في الجهاد هو عادة القرآن وليس في القرآن النفير للعلم.

١٥- قوله تعالى: (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) سورة النحل

الآية (١٠٠).

أما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله

على قولين: ³

¹ انظر الطبري جامع البيان ٦ / ٣٧٣ و ابن كثير تفسير ابن كثير ٦ / ٥١٢.

² ابن القيم، إعلام الموقعين ٢ / ٢٥٢.

³ الطبري، جامع البيان ١٤ / ١١٨.

القول الأول: ان المقصود: والذين هم بالله مشركون. وهو قول مجاهد و

الضحاك.

القول الثاني: ان المقصود: أشركوا الشيطان في أعمالهم. وهذا قول الربيع.

ولقد رجح الطبري القول الأول مستدلاً على ذلك بعادة القرآن وهو ان القرآن

يصف المشركين أنهم أشركوا بالله ولم يرد في القرآن من وصفهم أنهم يشركوا الله بشيء

فقال: (والقول الأول أعني قول مجاهد أولى القولين في ذلك بالصواب. .. وذلك أن الله

تعالى وصف المشركين في سائر القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً

وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك: لا تشركوا بالله شيئاً ولم نجد في شيء

من التنزيل: لا تشركوا الله بشيء ولا في شيء من القرآن خبراً من الله عنهم أنهم

أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله تعالى: ﴿والذين هم به مشركون﴾ إلى

والذين هم بالشيطان مشركو الله فبين إذا إذ كان ذلك كذلك أن الهاء في قوله: ﴿والذين

هم به﴾ عائدة على الرب)^١.

١٦- قال تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) سورة الإسراء الآية (١١٠)

في دعاء الرحمن قولان:^٢

الأول: بمعنى التسمية: وهو قول الزمخشري.

والثاني: بمعنى الدعاء والنداء وهو قول جمهور المفسرين.

^١ المصدر نفسه ١٤ / ١١٨.

^٢ انظر الطبري جامع البيان ١ / ٧٨ والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٢٧.

قال الزمخشري: (إن الدعاء ههنا بمعنى التسمية كقولهم دعوت ولدي سعيدا
 وادعه بعبد الله ونحوه والمعنى سموا الله أو سموا الرحمن فالدعاء ههنا بمعنى التسمية)^١
 وقال ابن القيم: (والذي حمّله على هذا قوله تعالى: (أَيُّهَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى))
 فإن المراد بتعدد معنَى أي وعمومها ههنا تعدد الأسماء ليس إلا والمعنى أي اسم
 سميتوه به من أسماء الله تعالى إما الله إما الرحمن فله الأسماء الحسنَى أي فللمسمى
 سبحانه الأسماء الحسنَى والضمير في له يعود إلى المسمى فهذا الذي أوجب له أن يحمل
 الدعاء في الداء في هذه الآية على التسمية)^٢.

وقال مفندا ذلك بعُرف القرآن: (المراد بالدعاء معناه المعهود المطرّد في القرآن
 وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء ولكنه متضمن معنى التسمية فليس المراد مجرد التسمية
 الخالية عن العبادة والطلب)^٣.

١٧- قوله تعالى: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) مريم (٦)

ذكر السيوطي في الدر المنثور: (عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي صالح
 أنهم قالوا في الآية: يرثني مالي. و عن الحسن أنه قال في الآية: يرحم الله تعالى أخي
 زكريا ما كان عليه من ورثة وفي رواية ما كان عليه ممن يرث ماله)^٤.

قال الألويسي رافضا ذلك: (ولا نسلم كونها حقيقة لغوية في وراثة المال بل هي
 حقيقة فيما يعم وراثة العلم والمنصب والمال) ثم ذكر استعمال القرآن المجيد للفظ
 الوراثَة)^١.

^١ الزمخشري الكشاف ١ / ٤٣٨.

^٢ ابن القيم، بدائع الفوائد ٣ / ٥١٣.

^٣ المصدر نفسه ٣ / ٥١٣.

^٤ السيوطي الدر المنثور ٥ / ٤٧٩.

كقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)) سورة فاطر.

وقوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ

سَيَغْفِرَ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ) الأعراف / ١٧٠.

وقوله تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)) الأعراف.

قلت: ومذهب أهل السنة أن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون مالا ولا يورثون

لما صح من الحديث: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)^١.

١٨- قوله تعالى: (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) سورة مريم (٣٤).

في تفسير (قول الحق) ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد هذا القول الذي ذكرناه قول الحق.

وقد ورد ذلك عن ابن مسعود ومجاهد وهو ترجيح الطبري.^٢ وقال أبو حاتم:

المعنى هو قول الحق وقيل التقدير: هذا لكلام قول الحق^٣

^١ الألويسي روح المعاني ١٦ / ٦٤

^٢ أخرجه البخاري كتاب الرصايا باب نفقة القيم للوقف (٣ / ١١٢٦) برقم (٢٩٢٦) وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا نورث ما تركنا صدقة" رقم ١٧٦٠. (٣ / ١٣٢٩) برقم (١٧٥٨).

^٣ انظر: الطبري، جامع البيان ٨ / ٣٤٠.

قال الطبري: (يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره لا خبر غيره الذي يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس هذا القول الذي أخبركم الله به عنه لا ما قالت اليهود الذين زعموا أنه لغير رثده وأنه كان ساحرا كذابا ولا ما قالت النصارى من أنه كان لله ولدا وإن الله لم يتخذ ولدا ولا ينبغي ذلك له)²

القول الثاني: ان المقصود كلام عيسى - صلى الله عليه وسلم - قول الحق ليس بباطل. قال به بن عباس³

قال القرطبي: (وأضيف القول إلى الحق كما قال تعالى: (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) [الأحقاف: ١٦] أي الوعد والصدق)⁴

والقول الثالث: أريد به عيسى فتسميته قول الحق كتسميته كلمة الله. قال به الكسائي⁵.

قال الزمخشري: (وإنما قيل لعيسى "كلمة الله" وقول الحق "لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله: "كن" من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى)⁶

وقد رجح ابن تيمية فقال: (والأظهر ان المراد به ان هذا القول الذي ذكرناه عن عيسى ابن مريم قول الحق إلا انه ابن عبد الله يدخل في هذا)¹.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩٨ والشوكاني، فتح القدير ٣ / ٤٧٦

² الطبري، جامع البيان ٨ / ٣٤٠.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩٨.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٩٨.

⁵ الشوكاني، فتح القدير ٣ / ٤٧٦.

⁶ الزمخشري، الكشاف ١ / ٧٣١.

وأبطل قول من قال ان الحق هو الله معتمدا على عادة القرآن فقال: (ومن قال المراد بالحق الله والمراد قول الله فهو وإن كان معنى صحيحا فعادة القرآن إذا أضيف القول إلى الله ان يقال قول الله لا يقال قول الحق إلا إذا كان المراد القول الحق كما في قوله: قوله الحق، وقوله: الله يقول الحق، وقوله: فالحق والحق أقول)^٢

١٩- قوله تعالى: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

هَدَى)سورة طه (الآيات ٤٩ - ٥٠)

ففي قوله تعالى: (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أقوال^٣:

القول الأول: أعطى كل شيء خلقه لم يعط الإنسان خلق البهائم ولا البهائم خلق الإنسان. وأقوال أكثر المفسرين تدور على هذا المعنى كمجاهد وعطية ومقاتل والحسن وقتادة

القول الثاني: أعطى كل شيء خلقه أعطى اليد البطش والرجل المشي واللسان النطق والعين البصر والأذن السمع ومعنى هذا القول أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له والخلق على هذا بمعنى المفعول أي أعطى كل عضو مخلوقه الذي خلقه له. وهو قول الضحاك.

القول الثالث: أعطى الرجل المرأة والبعير الناقة والذكر الأنثى من جنسه وهو

قول الكلبي والسدي واختيار ابن قتيبة والفراء.

^١ ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠ / ٤٨٠

^٢ المصدر نفسه ٢٠ / ٤٨٠

^٣ انظر جميع هذه الأقوال عند الطبري جامع البيان ٨ / ٤٢١ وفتح القدير الشوكاني ٢ / ٤٦٢.

ولقد رجح ابن القيم قول الجمهور وهو الأول وقال عن الثاني: انه وإن كان صحيحا في نفسه لكن معنى الآية أعم منه. ثم اعتمد على عادة القرآن في رد القول الثالث فقال: (أرباب هذا القول هضموا الآية معناها فإن معناها أجل وأعظم مما ذكره وقوله أعطى كل شيء يابى هذا التفسير فإن حمل كل شيء على ذكور الحيوان وإنثائه خاصة ممتنع لا وجه له وكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة والجن ومن لم يتزوج من بني آدم ومن لم يسافد من الحيوان وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقا له وأيّن نظير هذا في القرآن وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذي ذكره وذكره بادل عبارة عليه وأوضحها فقال وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى فحمل قوله أعطى كل شيء خلقه على هذا المعنى غير صحيح فتأمله)^١.

٢٠- قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)) سورة (المؤمنون) الآيات (١ - ٤).

المراد بالزكاة هنا وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم.^٢ أحدهما: أن المراد بها زكاة الأموال، وعزاه ابن كثير للأكثرين. الثاني: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك، والمعاصي بالإيمان بالله، وطاعته وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام.

قلت: ويشهد للقول الثاني عادة القرآن في الاستعمال، ذلك أن المعروف في

زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ وقوله تعالى:

^١ ابن قيم الجوزية، عبد الله محمد بن أبي بكر ٧٥١ هـ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ٣ [٧٨/١].

^٢ انظر القولين عند ابن كثير تفسير ابن كثير ٣ / ٣١٩ والشوكاني فتح القدير ٣ / ٦٧٨.

﴿وَأَيُّهَا الزَّكَّوَةُ﴾ ونحو ذلك. وهذه الزكاة المذكورة هنا، لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال

تعالى فيها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَّوَةِ فَعِلُونَ﴾ فدل على أن هذه الزكاة: أفعال المؤمنين

المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء مال.

وأيضاً: إن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل

بينهما كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَّوَةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

الزَّكَّوَةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَّوَةَ﴾ وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل

بين ذكرها، وبين ذكر الصلاة بجملة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

وعلى هذا فالمراد بالزكاة كالمراد بها في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩)

وقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) سورة الشمس، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) سورة

الأعلى. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) سورة النور، وغير ذلك من الآيات.

٢١- قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) سورة (

المؤمنون) الآية (٤٥).

اختلف المفسرون في معنى الآيات هنا:

القول الأول: ان المقصود الآيات الدينية. فعن الحسن {بآياتنا} أي بديننا.

والقول الثاني: هي المعجزات فعن ابن عباس أنها الآيات التسع. والسلطان هو

العصا لأنها كانت أم آياته وأقدمها فخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها.^١

ومن المعلوم ان قول ابن عباس هو الاوفق للعرف القرآني.

٢٢- قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَهَمُّ إِلَيْ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) سورة

المؤمنون (الآية ٦٠).

رجح ابن عاشور ان المراد بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) الزكاة.

حيث قال: ومعنى: ﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴾ يُعْطُونَ الأموال صدقات وصلات ونفقات في

سبيل الله... .. واستعمال الإيتاء في إعطاء المال شائع في القرآن متعين أنه المراد هنا)^٢.

وقال: (وإنما عُبر ب { ما آتوا } بون الصدقات أو الأموال ليعم كل أصناف

العطاء المطلوب شرعاً وليعم القليل والكثير، ففعل بعض المؤمنين ليس له من المال ما

تجب فيه الزكاة وهو يعطي مما يكسب)^٣.

٢٣- قوله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ

فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) سورة الإسراء الآية (٥).

^١ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ٧ / ١٠٧ وابن كثير ٤ / ٩٨.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير ٩ / ٣٧٧.

^٣ المصدر نفسه ٩ / ٣٧٧.

اختلف المفسرون في المراد بالعباد أصحاب البأس الذين يبعثهم الله تعالى على بني إسرائيل عقاباً لهم: فمن قائل أنها هزيمة اليهود هزيمة نكراء و طردهم من القدس على يد البابليين (جماعة بخت نصر عامل هراسف على بابل وجنوده)..... وقيل العمالقة

أو جالوت الخرزى البربرى، أو سنحاريب من أهل نينوى. ^١

ولكن يرد هذا التفسير قوله تعالى (عبادا لنا)، أي أن من يهزم اليهود في الوعد الأول هم عباد الله و هي كلمة معروفة في عُرف القرآن لوصف الصالحين من المؤمنين وهو عُرف غالب و قد كان البابليون و ثنيون لا يعبدون الله.

وان قال قائل: إنه فتح القدس على يد أبي عبيدة بن الجراح و عمرو بن العاص في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ... فيرد على هذا التفسير بأن من كان في القدس و قتها ليس اليهود بل النصارى مع تفرقة القرآن بين القومين.

ومن يقول إنها غزوة حطين حيث استرد المسلمون الأقصى ثانية. ولكن يرد على هذا التفسير بمثل السابق بأنه لم يكن اليهود هم من يحتلون الأقصى بل الصليبيين من النصارى.

٢٤- قوله تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) سورة طه: ٦٩.

اختلف العلماء في حكم تكفير الساحر في هذه الآية.

قال الشنقيطي: وفي هذه الآية الكريمة الاستدلال على كفر الساحر من أوجه

كثيرة:

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥ / ٢٠٢

١- نفي الكفر عن سليمان -عليه السلام- في معرض اتهامه بالسحر في قوله

-تعالى:- (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) .

٢- التصريح بكفر الشياطين منوطاً بتعليمهم الناس السحر.

٣- تحذير الملكين طالب تعلم السحر بأنه كفر.

٤- نفي النصيب عن متخذه، ونفي النصيب بالكلية لا يكون إلا للكافر.

ومن النصوص الواردة في ذلك قوله -تعالى:- (وَلَا يُلَاحِظُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)

طه:٦٩.

وفي هذه الآية نفي الفلاح عن الساحر في أي مكان كان، وهذا دليل على كفره.

وقد ذكر الشنقيطي أمرين يدلان على أن نفي الفلاح في الآية دال على كفره:

الأمر الأول: دلالة آية سورة البقرة السابق ذكرها على كفر الساحر.

الثاني: أنه عُرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظ لا يفلح يُراد به الكافر.^١

٢٥- قوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ

غَيْرِ أُولِي الإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا

يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) سورة النور الآية ٣١.

١ انظر الشنقيطي، أضواء البيان ٤/٤٤٢-٤٤٣.

اختلف المفسرون في المراد بالزينة في الآية على قولين^١:

القول الأول: أن المراد بالزينة ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها كالثياب والخضاب والكحل. وهذا قول ابن مسعود.

والقول الثاني: أن المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة الذي هو من أصل

خلقها، كالوجه والكفين. وهو قول ابن عباس.

ولقد رجح الشنقيطي في تفسيره: أن المراد بالزينة الزينة الظاهرة (). واحتج

بعادة القرآن في استعمال لفظ الزينة فقال: (إن لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم

مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء

المزين بها كقوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

وقوله: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) سورة الأعراف / ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) ﴾ الصافات.

وقوله: (وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) النور / ٣١..

فلفظ الزينة في هذه الآيات كلها يراد بها ما يزين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته

كما ترى، وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن يدل على أن لفظ الزينة

في محل النزاع يراد به هذا المعنى الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم. وبه تعلم أن

تفسير الزينة في الآية بالوجه والكفين فيه نظر (٢).

^١ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ٩ / ٣٠٢ وتفسير ابن كثير ٣ / ٣٧٨.

^٢ الشنقيطي، أضواء البيان ٦ / ١٣٥.

٢٦- قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا

عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ

بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ

طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (سورة النور الآية ٦١).

للمفسرين في تفسير قوله تعالى: (فسلموا على أنفسكم) قولان:

(الأول: سلام الداخل على البيت الخالي على نفسه.

والثاني: ليسلم بعضهم على بعض. فإذا دخل المسلم على المسلم سلم عليه. وهو

عن الحسن وابن زيد. قال الحسن: ليسلم بعضهم على بعض، وقال ابن زيد مثل قوله

تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) النساء الآية ٢٩ إنما هو لا تقتل أخاك المسلم. وقوله تعالى: (

ثُمَّ أَمَرَ هَؤُلَاءَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ) البقرة الآية ٨٥ قال: يقتل بعضهم بعضا. وقوله تعالى: (

جَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) الروم الآية ٢١، كيف يكون زوج الإنسان من نفسه ؟

إنما هي جعل لكم أزواجا من بني آدم ولم يجعل من الإبل والبقر وكل شيء في القرآن

على هذا)^١

^١ السيوطي الدر المنثور ٦ / ٢٢٨

ومن الواضح ان ترجيح الحسن وابن زيد اعتمادا على عادة القرآن وخاصة

ما ختم به ابن زيد يقوله: وكل شيء في القرآن على هذا.

٢٧- قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي

أَتَى كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) سورة النمل الآية (٨٨).

اختلف العلماء في تفسيرها على قولين:

القول الأول: ان ذلك في الدنيا: بحسبها رائتها جامدة: أي واقفة ساكنة غير

متحركة وهي تمر مرّ السحاب، وذلك دوران الأرض حول الشمس. وقد ورد ذلك عن

القاسمي.^١

القول الثاني: ان ذلك يوم القيامة: وقد ورد ذلك عن الشنقيطي.

وقد احتج من قال في الدنيا بأن هذا التفسير هو المتناسب مع الإتيان المذكور

بعده ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ وإلا فالقيامة تخريب للعالم لا يتناسب مع الإتيان.^٢

وقد رجح الشنقيطي ان ذلك يكون يوم القيامة معتمدا على عادة القرآن فقال:

(كون هذا المعنى هو الغالب في القرآن فواضح لان جميع الآيات التي في حركة كلها في

يوم القيامة كقوله تعالى: (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) (١٠) سورة الطور ،

وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) ((٤٧)) سورة

^١ القاسمي محاسن التأويل (٨٩/١٣-٩٢)

^٢ ينظر تقرير ذلك عند القاسمي محاسن التأويل (٨٩/١٣-٩٢)

الكهف، وقوله تعالى: ﴿وَسَيَرَتِ الْجِبَالُ كَانَتْ سرَّابًا﴾ (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)

﴿سورة النبا وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ

سَيِّرَتْ﴾ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) ﴿سورة التكويد﴾^١.

قال حسين الحربي: (فهذه الآيات ونحوها جاء الخبر فيها عن حركة الجبال في

يوم القيامة بهذه الآية هي كذلك، كما جاء مطرداً في القرآن - فضلاً عن كونه غالباً)^٢.

٢٨- قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَتَزْعُمُونَ مِنْ كُلِّ

أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥). سورة القصص

الآيات (٧٤ - ٧٥).

اختلف المفسرون في معنى الشهيد في هذه الآية:

القول الأول: الشهيد هو النبي صلى الله عليه وسلم من كل أمة. وهو قول

الطبري وجمهور المفسرين.^٣

القول الثاني: الشهيد هو إمامهم في الكفر. وهو قول الفراهي الهندي.^٤

^١ الشنقيطي، أضواء البيان ٦ / ٢٩٥.

^٢ الحربي، د. حسين علي، قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، الرياض، ط ١، ١٧٤١هـ / ١٩٩٦م. (١/١٨٣).

^٣ الطبري جامع البيان ١٠ / ٩٨. وانظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٢٧٤.

^٤ الفراهي، عبد الحميد الهندي، تفسير نظام القرآن و تاويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية سراتي مير اعظم كره الهند ط ١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م (ص ٧٢٢).

يقول الطبري في التفسير وقوله تعالى: (ونزعنا من كل أمة شهيدا): وأحضرنا من

كل جماعة شهيدا وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من

الرسالة. .

وقوله تعالى: (فقلنا هاتوا برهانكم) يقول: فقلنا لأمة كل نبي منهم التي ردت

نصيحته وكذبت بما جاءها به من عند ربهم، إذ شهد نبيها عليها بإبلاغه إياها رسالة الله

"هاتوا برهانكم" يقول فقال لهم: هاتوا حججكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون مع إعداء

الله إليكم بالرسول وإقامته عليكم بالحجج..)^١

قال الفراهي: (أما التفسير الذي ذهب إليه معظم المفسرين، فقد اضطروا إليه

اضطرارا، حيث ظنوا أن "الشهيد" في الآية هو كالشاهد في قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من

كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) . ولما كان قوله تعالى: (فقلنا هاتوا برهانكم) لا

يتناسب مع مقام الشهيد الذي هو النبي، جعلوا الخطاب للأمم بدلا من الأنبياء، غير أن

الأمم فيها المؤمن والكافر، وحتى يصح الخطاب لا بد من تخصيصه بالكفار، وكلها

تكلفات وتجاوزات)^٢.

^١ الطبري جامع البيان ١٠ / ٩٨.

^٢ الفراهي ، نظام القرآن و تاويل الفرقان بالفرقان (ص ٧٢٢) .

وقال أيضا: (ولو أنهم أخذوا (النزع) على أصل معناه لعلموا أنه لا يتناسب مع مقام الأنبياء ومن ثم بحثوا عن المعنى الآخر، والذي تكرر في عدد من الآيات ومنها قوله تعالى في سورة البقرة: (وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)^١.

ولقد استعمل الفراهي عادة القرآن في استعمال لفظ النزع وأيضا عادة القرآن في اللفظ (وضل عنهم ما كانوا يفترون) في ترجيح قوله فقال: ويؤيد هذا التفسير ما جاء في سورة مريم في قوله تعالى: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) .

حيث استعمل نفس فعل (النزع) واستعمل (الشيعة) بدل الأمة، وبين معنى الشهيد بأنه أشدهم على الرحمن عتيا.

وقال: (ولو أننا نتبعنا الآيات التي تنتهي بقوله تعالى: (وضل عنهم ما كانوا يفترون)

لرأيناها تؤيد هذا المعنى، مما لا يدع مجالا للشك في صحة هذا التفسير)^٢

٢٩- قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

سورة الروم الآية (٢٣).

في تفسير الآية قولان:

القول الأول: ان المراد ان المنام في الليل والابتغاء في النهار.

والآية من باب اللف والنشر وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاءكم من فضله

بالليل والنهار.

^١ المصدر نفسه (ص ٧٢٢).

^٢ المصدر نفسه (ص ٧٢٢).

والقول الثاني: منامكم في الزمانين وابتغاءكم فيهما.

قال الألويسي: (والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأسد المعاني ما دل عليه

القرآن)^١

ومقصوده رحمه الله ان جعل الليل للنمات والنهار للابتغاء الذي هو المعاش ينثر

في القرآن ان لم يكن المطرّد.

٣٠- قوله تعالى: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) سورة

الصافات الآيات (٧٨ - ٧٩) .

في تفسيرها للعلماء قولان:

الأول: المعنى أن السلام واقع من العالمين على نوح عليه السلام.

وعليه فان جملة (سلام على نوح) جملة واقعة في محل نصب مفعول به

والتقدير وتركنا عليه في الآخرين { سلام على نوح } .

قلنا قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا: أي تركنا عليه

ثناء حسنا)^٢ .

والثاني: المعنى أن السلام واقع من الله على نوح عليه السلام.

وقالوا هذا السلام من الله أمانة لنوح في العالمين أن يذكره أحد بشر.

وهو قول ابن عطية و الطبري^٣ .

وعليه فان الجملة جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

^١ الألويسي، روح المعاني ٣٢ / ٢١

^٢ الشوكاني، فتح القدير ٥٦٩ / ٤

^٣ الطبري، جامع البيان ٤٩٨ / ١٠ .

قال ابن القيم: وهذا القول (ويعني الثاني الذي هو رفع على الابتداء) ضعيف

لوجوه، وذكر منها:

انه لو كان المفعول محذوفا كما ذكره لذكره في موضع واحد ليدل على المراد منه حذفه ولم يطرد في جميع من اخبر انه ترك عليه في الآخرين الثناء الحسن وهذه طريقة القرآن بل وكان فصيح أن يذكر الشيء في موضع ثم يحذفه في موضع آخر لدلالة المذكور على المحذوف وأكثر ما تجده مذكورا وحذفه قليل وأما أن يحذف حذفاً مطرداً ولم يذكره في موضع واحد ولا في اللفظ ما يدل عليه فهذا لا يقع في القرآن ^١.

٣١- قوله تعالى: (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ

بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) سورة فاطر الآية (٣١).

في الآية قولان: الأول: أي القرآن مصدق لك. والثاني: أنه مصدق لما تقدم من

كتب الله تعالى.

قال ابن القيم: (وأما قوله إن المعنى مصدق لك فلا ريب أنه مصدق له

ولكن المراد من الآية أنه مصدق لما تقدم من كتب الله تعالى كما قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) المائدة ٤٨ وقال تعالى: (أَمْ لَكُمْ آلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) آل عمران ٣ وقال تعالى: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

مصدق الذي بين يديه) الأنعام ٩٢) ^٢.

^١ ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٣٦٣

^٢ المصدر نفسه ٢/ ٢٤٤

٣٢- قال تعالى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) سورة

الصافات الآية (١٥٨).

اختلف أهل التأويل في معنى (لمحضرون) :^١

القول الأول: معناه لمشهدون الحساب وهو عن مجاهد.

القول الثاني: معناه سيحضرون العذاب في النار وهو عن السدي.

قال الطبري: (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون

العذاب لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة إنما عني به الإحضار

في العذاب فكذلك في هذا الموضع)^٢

قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ سورة الزمر / (٥٣).

اختلف فيها المفسرون على قولين:^٣

الأول: إنهم عموم العباد مؤمنهم وكافرهم.

والثاني: إنهم المؤمنون.

قال أبو السعود: (وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عُرف القرآن

الكريم)^٤.

وقال البيضاوي: (وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عُرف القرآن)^١

^١ الطبري جامع للبيان ١٠ / ٥٣٥.

^٢ نفس المصدر ١٠ / ٥٣٥.

^٣ انظر القولين في نفس المصدر ١٠ / ٥٣٥.

^٤ أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٧ / ٢٥٩.

٣٣- قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيَّ

وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)) فصلت (٦ ، ٧) .

اختلف أهل التفسير في المراد بالزكاة هنا على قولين:^٢

الأول: المقصود بالزكاة الطاعة. ومعناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي

تطهرهم وتزكي أبدانهم ولا يوحدهونه. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والقول الثاني: أن المقصود الزكاة المفروضة. والمعنى الذين لا يقرون بزكاة

أموالهم التي فرضها الله فيها ولا يعطونها أهلها. وهو عن قتادة و السدي.

وقد رجح الطبري أنها زكاة الأموال واستدل على ذلك بأدلة كثيرة يهملها منها

وجه الترجيح بعادة القرآن فقال: (والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا:

معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة)^٣.

٣٤- قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ

الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) سورة الشورى الآية (٢٤)

في معنى (يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ) قولان:^٤

القول الأول: إن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على إذاهم حتى لا يشق عليك

وهو قول مجاهد ومقاتل.

والقول الثاني: إن يشأ الله ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي. وهو قول قتادة.

^١ تفسير البيضاوي ٧١ / ١

^٢ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ٨٦ / ١١.

^٣ المصدر نفسه ٨٦ / ١١.

^٤ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ١١ / ١٤٦ والسيوطي الدر المنثور ٧ / ٣٥٠.

قال ابن القيم: (ان الربط على قلب العبد لا يقال له ختم على قلبه ولا يُعرف هذا في عُرف المخاطب ولا لغة العرب ولا هو المعهود في القرآن بل المعهود استعمال الختم على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧) البقرة، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣) سورة الجاثية، ونظائره، وأما ربطه على قلب العبد بالصبر فكقوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١٤) الكهف، وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠) القصص، والإنسان يسوغ له في الدعاء أن يقول: اللهم اربط على قلبي ولا يحسن أن يقول: اللهم اختم على قلبي (١).

٣٥- قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) سورة الزخرف الآية ٨١

اختلف في معنى هذه الآية:

القول الأول: المعنى: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الأنفين من أن

يكون له ولد. ٢

^١ ابن القيم، التبيان في اقسام القرآن ١١١/١

^٢ الزمخشري، الكشاف ١ / ٤٨١.

القول الثاني: هذه إن النافية أي: ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحيد. وروي: أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال: إن الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني. فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له.^١

القول الثالث: إن هذه الشرطية ووجود الشرط لا يعني وجود المشروط. وهو ترجيح الزمخشري.^٢

هذا وقد بني القول الأول والثاني على كون الولدية لله مستحيلة مما أداهم إلى قولهم الذي سبق.

وعند الشنقيطي لا مانع أن يكون لله ولد عقلا ولكنه لم يكن، ومعنى الآية عنده أنه لو كان لكنت أول العابدين أي المعترفين بذلك، فعنده أن الشرط ليس بمستحيل عقلا.

وقد احتج لذلك بعادة القرآن، ذلك أن القرآن إذا أراد أن يفرض المستحيل علقه بالأداة المناسبة لذلك وهي (لو) وليس (أن) كما هو في الآية.

قال الشنقيطي وهو يرد على الزمخشري: (هو دلالة استقراء القرآن العظيم أن الله تعالى إذا أراد أن يفرض المستحيل بين الحق بفرضه، علقه أولا بالأداة التي تدل على عدم وجوده وهي لفظة (لو) ولم يعلق عليه البتة إلا محالا مثله، كقوله تعالى: (لَوْ كَانَ

فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) الأنبياء ٢٢ وقوله تعالى: (لَوْ أَرَادَ

^١ المصدر نفسه ١ / ٤٨٢.

^٢ المصدر نفسه ١ / ٤٨٢.

اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفِيَ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) الزمر ٤ وقوله تعالى:

(لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلَاتٍ خَدْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) الأنبياء ١٧ وأما تعليق ذلك بأداة لا

يفتضي عدم وجوده كلفظة (ان) مع كون الجزاء غير مستحيل فليس معهودا في القرآن^١.

٣٦- قوله تعالى: (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

(سورة الزخرف الآية ٨٦).

اختلف المفسرون في الاستثناء هل هو متصل أم منقطع ؟ ثم اختلف في تحديد

المستثنى في الآية على قولين:

أحدهما: أن المستثنى هو الشافع. وهذا مذهب قتادة.^٢

والثاني: أن المستثنى هو المشفوع له. وهذا مذهب مجاهد.^٣

وقد ذكر ابن تيمية أن تحديد المستثنى صحيح في القولين حيث قال: (كلا

القولين معناه صحيح)^٤.

ثم أيد أن الاستثناء على الانقطاع فقال: (لكن التحقيق في تفسير الآية أن

الاستثناء منقطع و لا يملك أحد من دون الله الشفاعة مطلقا لا يستثنى من ذلك أحد عند

الله فإنه لم يقل و لا يشفع أحد و لا قال لا يشفع لأحد بل قال و لا يملك الذين يدعون من

^١ الشنقيطي، أضواء البيان ٧ / ٢٠٠.

^٢ البغوي، معالم التنزيل ١ / ٢٢٤.

^٣ ابن الجوزي، زاد المسير ٢٥ / ١٠٧.

^٤ ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٤ / ٤٠٤.

دونه الشفاعة و كل من دعا من دون الله لا يملك الشفاعة ألبيته والشفاعة بإذن ليست
مختصة بمن عبد من دون الله)^١

واحتج بوجوه كثيرة ومنها احتجاجه بعادة القرآن.

ووجه ذلك ان حمل الاستثناء على الاتصال يجعل المعنى لا يملك الذين يدعونهم
الشفاعة من دونه، وحمل الاستثناء على الانقطاع يجعل المعنى لا يملك الذين يدعونهم
من دونه أن يشفعوا. ثم قال وهذا هو مقصود القرآن وعادة القرآن إذا أراد هذا المعنى
قدم من دونه.

والأمثلة على ذلك كما يلي:

وعادة القرآن إذا أراد المعنى الأول قال لا يملك الذين يدعون الشفاعة إلا بأذنه
أو لمن ارتضى و نحو ذلك.

يدعون من دون الله

كقوله ويعبدون من دون الله مالا يضرهم و لا ينفعهم

و قوله و لا تدع من دون الله مالا ينفعك و لا يضرك

وهذا نصه بتمامه حيث قال: (وأيضاً فإن في القرآن إذا نفى الشفاعة من دونه

نفاهاً مطلقاً فإن قوله: (من دونه) إما أن يكون متصلاً بقوله: (يملكون) أو بقوله: (

يدعون) أو بهما، فالتقدير لا يملك الذين يدعونهم الشفاعة من دونه، أو لا يملك الذين

يدعونهم من دونه أن يشفعوا، و هذا أظهر، لأنه قال: ولا يملك الذين يدعون من دونه

الشفاعة، فأخر الشفاعة و قدم من دونه، ومثل هذا كثير في القرآن. .. بخلاف ما إذا قيل

لا يملك الذين يدعون الشفاعة من دونه، فإن هذا لا نظير له في القرآن، و اللفظ

^١ المصدر نفسه ١٤ / ٤٠٤

المستعمل في مثل هذا أن يقال: لا يملك الذين يدعون الشفاعة إلا بإذنه، أو لمن ارتضى،
و نحو ذلك ^١

٣٧- قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ) ق: ١٦

اختلف المفسرون في قوله تعالى: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) على قولين ^٢:

القول الأول: أن القريب هو الله تعالى وإن قربه هو علمه بعبده وما في ضمير
عبده لا يحجبه شيء عن الله تعالى.

والقول الثاني: أن المقصود قرب الملائكة الذين يصلون إلى قلبه فيكون أقرب
إليه من ذلك العرق. وهذا اختيار ابن تيمية. ^٣

وقد ذكر ابن القيم وجهة شيخه وسبب ترجيحه فقال: (سمعتة يقول: هذا مثل

قوله تعالى: (نحن نعلم ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)

القيامة: ١٨ فإن جبريل عليه السلام هو الذي قصه عليه بأمر الله فنسب تعليمه إليه إذ هو

بأمره وكذلك جبريل هو الذي قرأه عليه كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي

الله عنهما في تفسير هذه الآية: فإذا قرأه رسولنا فأنصت لقراءته حتى يقضيها، وكذلك

^١ المصدر نفسه ١٤ / ٤٠٤

^٢ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ٦ / ٢١١، وتفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٥.

^٣ ابن تيمية مجموع الفتاوى ٤ / ٢٥٣.

خلقه للإنسان إنما هو بالأسباب وتخليق الملائكة^١ فهو سبحانه الخالق وحده ولا ينافي ذلك استعمال الملائكة بأذنه ومشيتته وقدرته في التخليق فإن أفعالهم وتخليقهم خلق له سبحانه فما ثم خالق على الحقيقة غيره^٢.

ثم قال ابن القيم معقبا على كلام ابن تيمية: (أول الآية يأبى ذلك فإنه قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) ق: ١٦)^٣

ومعنى كلام ابن القيم ان قوله تعالى ونحن اقرب إليه معطوفة على قوله تعالى خلقنا الإنسان وعلى نعلم ما توسوس به نفسه. ولما اختص الله بالخلق والعلم كان المقصود قرب الله تعالى لا ملائكته.

ولا مانع عندي من ان ينسب الله التخليق والعلم للملائكة كونهم سبب ذلك أو ان يطلع الله بعض ملائكته أو حتى بعض خلقه كالشياطين والقرين على وسوسة نفس الإنسان، وبذلك يستقيم كلام ابن تيمية.

٣٨- قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) سورة النجم الآية (٥٥)

جوز المفسرون أن يكون الخطاب في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾ لغير معين من الناس، أي المكذبين، أي باعتبار أنه لا يخلو شيء مما عدد سابقاً من نعمة لبعض الناس،

^١ وهذا في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في تخليق النطفة: حدثني محمد بن أحمد بن أبي خلف حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا زهير أبو خيثمة حدثني عبدالله بن عطاء أن عكرمة بن خالد حدثه أن أبسا الطفيل حدثه قال دخلت على أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنني هاتين يقول إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك قال زهير حسبته قال الذي يخلقها فيقول يا رب أنكر أم أنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى ثم يقول يا رب أسوي أو غير سوي؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي ثم يقول يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته. رقم (٢٦٤٥).

^٢ ابن القيم، مدارج السالكين ٢ / ٢٩٠.

^٣ المصدر نفسه ٢ / ٢٩٠.

أو باعتبار عدم تخصيص الآلاء بما سبق ذكره بل المراد جنس الآلاء كما في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ كَذِبَان﴾ [الرحمن: ١٦].^١

والأظهر أنه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو المناسب لذكر الآلاء والموافق

لإضافة (رب) إلى ضمير المفرد المخاطب في عُرِف القرآن.^٢

٣٩- قوله تعالى: (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْنَا) الرحمن (٤٦)

في الآية قولان:

الأول: مقام الله على عبده في الدنيا وإطلاعه عليه وقدرته عليه.

والثاني: مقام العبد بين يدي ربه في الآخرة.^٣

قال ابن القيم مرجحاً الأول: (أن طريقة القرآن في التخويف أن يخوفهم بالله

وباليوم الآخر فإذا خوفهم به علق الخوف به لا بقيامه عليهم كقوله تعالى: (فلا تخافوهم

وخافون) وقوله تعالى: (ذلك لمن خشي ربه) وقوله تعالى: (يخافونهم من فوقهم) وقوله

تعالى: (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) ففي هذا كله لم يذكر خشية مقامه

عليهم وإنما مدحهم بخوفه).^٤

٤٠- قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦))

سورة الواقعة.

^١ ابن عاشور التحرير والتلويز ٢١٤ / ١٤

^٢ المصدر نفسه ٢١٤ / ١٤

^٣ انظر القولين عند الطبري ١١ / ٦٠٥ وتفسير ابن كثير ٤ / ٣٥٣.

^٤ ابن القيم، طريق الهجرتين ١ / ٩٢٦

اختلف المفسرون في المراد بالنجم في الآيتين: وهما قولان:

الأول: ان المراد الكواكب.

والثاني: ان المراد نجوم القرآن.

ولقد اعتمد الشنقيطي على ترجيح نجوم القرآن في الآيتين بأمرين:

١. ان الاقسام بالقرآن على صدق القرآن مناسب وجاء موضحا في آيات آخر

مثل قوله تعالى: (وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ) (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) يس، وقوله تعالى: (وَالْكِتَابِ

الْمُبِينِ) (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) الزخرف .

٢. كون المقسم به القرآن انسب لما بعده: (وَأَنَّهُ لَنَتَّخِذَنَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمًا) فالعظمة

انسب للقرآن من نجوم السماء.

ورجح ابن القيم ان المراد بالنجوم في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) ان

المراد الكواكب بأمر منها: ^١

١. ان اسم النجوم عند الإطلاق إنما ينصرف إليها.

٢. وأيضا فإنه لم تجر عادته سبحانه باستعمال النجوم في آيات القرآن ولا في

موضع واحد من كتابه حتى تحمل عليه هذه الآية وجرت عادته باستعمال النجوم في

الكواكب في جميع القرآن

٣. وأيضا فإن نظير الاقسام بمواقعها هنا إقسامه بهوى النجم في قوله والنجم إذا

هوى

^١ ابن القيم، التبيان في اقسام القرآن ١٥٠/ ١

٥٤. وأيضاً فإن هذا قول جمهور أهل التفسير

٥٥. وأيضاً فإنه سبحانه يقسم بالقرآن نفسه لا بوصوله إلى عباده هذه طريقة

القرآن قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر يس والقرآن الحكيم ق والقرآن المجيد حم

والكتاب المبين ونظائره.

قال ابن القيم: (وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى، ولا تسمية نزوله هوياء، ولا عهد في القرآن ذلك فيحمل هذا اللفظ عليه)، وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت وليس بالبين أيضاً القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمخاطبين لاسيما منكرو البعث فإنه سبحانه إنما استدل بما لا يمكن جرده ولا المكابرة فيه فأظهر الأقوال قول الحسن والله أعلم^١

قال ابن القيم: النجوم التي أقسم بمواقعها فقيل:

٥١. هي آيات القرآن ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء وهذا قول ابن عباس رضي

الله عنهما في رواية عطاء وقول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة.

٥٢. وقيل: النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها هذا قول أبي

عبيدة وغيره وقيل: مواقعها انتشارها و انكدارها و انتشارها يوم القيامة وهذا قول الحسن.

^١ المصدر نفسه ١/ ١٥٠

ويرجح هذا القول (أي الأول بمعنى الكواكب) أيضا أن النجوم حيث وقعت في

القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَّ النَّجْمُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ﴾^١

٤١- قول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ مَرْبُّهُ وَنَفَاخُهَا يَكْبُ

وتكائس في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ الحديد: من الآية ٢٠

اختلف المفسرون بالمراد بالكفار في هذه الآية:

القول الأول: المراد الزراع. لأنهم يغطون البذر في التراب ستر الكفار حق الله

تعالى بدلالة قوله: ﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح / ٢٩] ولأن الكافر لا

اختصاص له بذلك. وهذا قول الشوكاني^٢ والبغوي^٣ وأبي السعود^٤ وابن عاشور^٥.

والقول الثاني: الكفار بالله سبحانه. لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا

رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس

به فيستغرق فيه إعجابا. وهو قول النسفي^٦ والبيضاوي^٧ وصاحب الكشاف^٨.

^١ المصدر نفسه ١ / ١٣٦.

^٢ الشوكاني، فتح القدير ٥ / ٢٤٧

^٣ البغوي، معالم التنزيل ١ / ٣٩

^٤ أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٨ / ٢١٠

^٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير ١ / ٤٣٠٩

^٦ النسفي، مدارك التنزيل، ٤ / ٢١٨

^٧ تفسير البيضاوي ١ / ٣٠٢

^٨ الزمخشري، الكشاف ١ / ١٢٢٨

وجعل ابن القيم معتمده في الترجيح عادة القرآن فقال: (والصحيح - إن شاء الله - أن الكفار هم الكفار بالله، وذلك عُرف القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزراع لذكرهم باسمهم الذي يعرفون به، كما ذكرهم به في قوله: "يعجب الزراع". وإنما خص الكفار به، لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا، فإنها دارهم التي لها يعلمون ويكدحون، فهم أشد إعجاباً بزيفتها وما فيها - من المؤمنين.)¹

٤٢- قوله تعالى: ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ سورة المرسلات الآية ١

فُسرَت المرسلات بالملائكة وهو قول أبي هريرة وابن عباس. وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود و قتادة. وفسرت بالسحاب وهو قول الحسن. وفسرت بالأنبياء وهو رواية عطاء عن ابن عباس.²

وضعف ابن القيم ان المقصود الأنبياء فقال: (وأما إرسال الأنبياء فلو أُريد لقال: والمرسلين وليس بالفصيح تسمية الأنبياء مرسلات وتكلف الجماعات المرسلات خلاف المعهود من استعمال اللفظ فلم يطلق في القرآن جمع ذلك إلا جمع تنكير لا جمع تأنيث

وأيضاً فإن الرسل مقسم عليهم في القرآن لا مقسم بهم كقوله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ

أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَكُفُّهُمْ أَلِيَمٌ (٦٣) ﴾ سورة

النحل، وقوله تعالى: ﴿ يس، والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين ﴾ يس ١- ٣ ()¹

¹ ابن القيم، عدة الصابرين ص ٢٨١

² انظر جميع هذه الأقوال عند الطبري جامع البيان ١٢/ ٣٧٧ والسيوطي الدر المنثور ٨ / ٣٨١ وتفسير البغوي ٣٠٣ / ١

٤٣- قوله تعالى: (وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْعَسَ) سورة التكويد الآفة (١٧)

اختلف المفسرون في عسعة الليل هل هي إقباله أم إدباره ؟

القول الأول: أن عسعس بمعنى ولى وذهب وأدبر. وهذا قول علي وابن عباس

و الحسن.

والقول الثاني: بمعنى الإقبال.²

وقد احتج من قال بالإدبار بعادة القرآن، ذلك أن عادة القرآن أن يقسم بإدبار

الليل وإقبال النهار كقوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤)﴾

سورة المدثر، فأقسم بإدبار الليل وإسفار الصبح وذلك نظير عسعة الليل وتنفس الصبح.

وقالوا أنه لم يعرف في القرآن القسم بإقبال الليل وإقبال النهار.

يبقى أن يقال ماذا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى

(٢)﴾ سورة الليل، أليس هذا إقبال الليل وإقبال النهار.

فاجاب بانه ليس ذلك بالصريح في الإقبال والإدبار كما هو صريح في التجلية

والغشيان³.

٤٤- قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ

الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) [الطارق: ٥-٨].

¹ ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن ١٠٩/١

² النظر القولين عند الطبري جامع البيان ١٢ / ٤٦٩. والشوكاني فتح القدير ٥ / ٥٥١.

³ ابن القيم، التبيان ٧٥/١

في مرجع الضمير في (رجعه) قولان:

١ - أنه يعود إلى الإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رده للحياة بعد موته. وهو

قول الضحاك واختاره ابن جرير.

٢ - أنه يعود إلى الماء، والمعنى: أن الله قادر على رد الماء إلى الصلب أو

الإحليل. وهو قول مجاهد وعكرمة وغيرهما.^١

قال ابن كثير: (والصواب أن يعود إلى الإنسان؛ لأن المعهود في

القرآن الاستدلال بالمبدأ على المعاد. وأما القول الثاني فلم يأت لهذا المعنى نظير

في موضع من القرآن) ^٢.

قال ابن القيم: (وقوله ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الصحيح أن الضمير يرجع على

الإنسان، أي أن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر،

ومن قال أن الضمير يرجع على الماء؛ أي إن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر

أو حبسه عن الخروج لقادر فقد أبعد، وإن كان الله سبحانه قادراً على ذلك، ولكن السياق

يأباه، وطريقة القرآن وهي الاستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه) ^٣.

٥٤- قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) سورة الأعلى الآية

(١٥)

اختلف المفسرون في معنى تزكى في هذه الآية:

^١ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ١٢ / ٥٣٦ وتفسير ابن كثير ٤ / ٦٤١.

^٢ تفسير ابن كثير ٤ / ٦٤١.

^٣ ابن القيم التبيان في اقسام القرآن ١ / ٦٤.

القول الأول: ان تزكى بمعنى تطهر والتطهر يكون من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة.

والقول الثاني:.. ان تزكى من زكاة المال، وهي أما الزكاة الواجبة أو زكاة الفطر.^١

قلت: ومن عادة القرآن ان الزكاة إذا اقترنت بالصلاة فهي زكاة المال، ولكن يعكس هذا الصفو ان الزكاة تقترن بالصلاة ويكون معناها زكاة المال ولكن ذلك عند لفظ (الزكاة) لا احد مشتقاتها وهو تزكى في الآية.

وأبضا من عادة القرآن في اقتران الزكاة والصلاة إذا كانت الزكاة بمعنى المال ان تقدم الصلاة على الزكاة فلما كان غير ذلك قدمت الزكاة على الصلاة.

وعليه فالذي أرجحه أنها ليست زكاة المال بل زكاة النفس دل على ذلك عادة

القرآن.

٤٦- قوله تعالى: (هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا

حامية تسقى من عين آنية) سورة الغاشية (١ - ٤)

فيها للمفسرين قولان:

أحدهما: أن المعنى و جوه في الدنيا خاشعة عاملة ناصبة تصلى يوم القيامة نارا حامية و يعنى بها عباد الكفار كالرهبان و ربما تؤولت في أهل البدع كالخوارج. والمقصود أن قوله خاشعة عاملة ناصبة صفة لهم في الدنيا.

^١ انظر القولين عند الزمخشري، الكشاف ١ / ١٣٥٧

والقول الثاني: أن المعنى أنها يوم القيامة تخشع أي تذل و تعمل و تنصب.

والمقصود أن قوله خاشعة عاملة ناصبة صفة لهم في الآخرة .^١

وقد استعمل ابن تيمية عادة القرآن في ترجيح المعنى الثاني على الأول فقال:

(هذا هو الحق (ويعني الثاني) لوجوه (وذكر منها):

- أن وصف الوجوه بالأعمال ليس في القرآن و إنما في القرآن ذكر العلامة

كقوله تعالى: (سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) سورة الفتح (٢٩)

و قوله تعالى: (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَيَمَاهُمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) (٣٠) سورة

محمد، و قوله تعالى: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) سورة الحج (٧٢)

و ذلك لأن العمل و النصب ليس قائما بالوجوه فقط بخلاف السیما و العلامة

وأن قوله خاشعة عاملة ناصبة لو جعل صفة لهم في الدنيا لم يكن في هذا اللفظ ذم فإن

هذا إلى المدح أقرب و غايته أنه و صف مشترك بين عباد المؤمنين و عباد الكفار و الذم

لا يكون بالوصف المشترك و لو أريد المختص لقل خاشعة للكوثران مثلا عاملة لغير الله

ناصبة في طاعة الشيطان و ليس في الكلام ما يقتضي كون هذا الوصف مختصا بالكفار

و لا كونه مذموما و ليس في القرآن ذم لهذا الوصف مطلقا و لا و عید عليه فحملة على

هذا المعنى خروج عن الخطاب المعروف في القرآن)^٢.

^١ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ١٢ / ٥٥١ والقرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٥٩.

^٢ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٦ / ٢١٧.

وأزيد على ما قال ابن تيمية دلالة من عادة القرآن وهي ان لفظ يومئذ لم يرد في القرآن (إلا في يوم القيامة وعلى تفسير من جعل الخشوع والنصب والعمل في الدنيا يكون قد جعل عود لفظ يومئذ على الدنيا وهذا ليس من عادة القرآن.

٤٧- قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) سورة الشمس الآية (٩)

اختلف المفسرون في عودة الضمير في { زكاهها } وفي { دساها } على قولين:
الأول: عائد على (من) وكذلك هو في { دساها } المعنى قد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دساها. وهو قول الحسن و قتادة و ابن قتيبة.
والثاني: الضمير يرجع إلى الله سبحانه وهذا عن ابن عباس في رواية عطاء و قول مجاهد وعكرمة والكلبي وسعيد بن جبير ومقاتل.^١

قال ابن القيم مرجحا: (المعنى قد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دساها. هذا القول هو الصحيح وهو نظير قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ الأعلى / ١٤، وهو سبحانه إذا ذكر الفلاح علقه بفعل المفلح كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) ﴿ سورة (المؤمنون)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴿ سورة البقرة، وقوله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

^١ انظر القولين عند الطبري جامع البيان ١٢ / ٥١٢. وتفسير ابن كثير ٤ / ١١٧.

الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

﴿سورة النور﴾^١.

وقال: (القول الذي ذكرناه أرجح من جهة المعنى لوجوه:

(أحدها) أن فيه إشارة إلى ما تقدم من تعليق الفلاح على فعل العبد واختياره كما

هي طريقة القرآن)^٢.

٤٨- قوله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) سورة الضحى (٦)

اختلف المفسرون في معنى اليتيم في هذه الآية.

فذهب المفسرون إلى ان المقصود باليتيم فاقد الأب. وذهب الرازي إلى أنه من

قولهم: درة يتيمة وأن المعنى: ألم يجدك يا محمد (صلى الله عليه وسلم) واحدا في

قريش عديم النظير.^٣

وقال الزمخشري مفندا قول الرازي: (ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو

جنين قد أنت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكلفه عمه أبو طالب

وعطفه الله عليه فأحسن تربيته. ومن بدع التفاسير: أنه من قولهم: درة يتيمة وأن المعنى:

ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فأواك)^٤.

والذي يشهد لقول الجمهور ان المقصود باليتيم فقيد الأب عادة القرآن في

استعمال لفظ اليتيم فلم يرد في القرآن اليتيم إلا ويراد به فقيد الأب.

^١ ابن القيم، التبيان في اقسام القرآن ١٧ - ١٩.

^٢ المصدر نفسه ١٧ - ١٩.

^٣ الرازي، التفسير الكبير ٢٠ / ٤٥٣.

^٤ الزمخشري، الكشاف ١ / ١٣٧٠.

٤٩- قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) الثَّانِينَ

(٥، ٤)

اختلف في تفسير (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) على قولين^١:

الأول: أنه النار. وهو قول علي رضي الله عنه ومجاهد والحسن وأبو العالية.
والثاني: أنه أرذل العمر. وهو مروي عن ابن عباس و قتادة وعكرمة وعطاء
والكلبي.

قال ابن القيم: (والصواب القول الأول وذكر وجوها عديدة يهمنها منها ما له
علاقة بعادة القرآن وهو قوله:

- أن أرذل العمر لا يسمى أسفل سافلين لا في لغة ولا عرف وإنما أسفل سافلين
هو سجين الذي هو مكان الفجار كما أن عليين مكان الأبرار.
- وذكر منها أنه سبحانه ذكر حال الإنسان في مبداه ومعاده فمبدؤه خلقه في أحسن
تقويم ومعاده رده إلى أسفل سافلين أو إلى أجر غير ممنون وهذا موافق لطريقة القرآن
وعادته في ذكر مبدأ العبد ومعاده فما لأرذل العمر وهذا المعنى المطلوب المقصود إثباته
والاستدلال عليه ؟)^٢.

٥٠- قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) سورة البلد الآية (١٢)

^١ انظر الطبري، جامع البيان ١٢ / ٦٣٧ وابن كثير ٤ / ١٠ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٦٧.

^٢ ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن

اختلف في هذه العقبة هل هي عقبة حقيقية تكون في الآخرة أم أنها مثل

مضروب ؟^١

الأول: هي مثل ضربة الله تعالى لمجاهدة الناس والشيطان في أعمال البر.

وهو عن الحسن ومقاتل.

والثاني: عقبة حقيقية في الآخرة يصعد بها الناس في جهنم. وهو قول عطاء و

الكلبي ومقاتل ومجاهد والضحاك.^٢

قال ابن القيم: (وقول هؤلاء) يعني أصحاب الحقيقة لا المثل (أصبح نظرا

وأثرا ولغة)^٣.

ثم ذكر وجوها كثيرة في الترجيح، ويهنا هنا ترجيحه بعادة القرآن حيث

قال: (فهذا القول أقرب إلى الحقيقة والآثار السلفية والمألوف من عادة القرآن في

استعماله) وما أدراك (في الأمور الغائبة العظيمة)^٤.

٥١- قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) سورة الشرح الآية ١

حمل بعض المفسرين قول الله جلا جلاله: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) على حادثة

مشهورة في السيرة وهي الحادثة المعروفة بشق الصدر ويقولون إن المراد أن يذكر الله

بنعمته عليه حين أرسل الملكين حين شقا صدره واستخرجا قلبه وغسلاه ثم أعاده إلى

مكانه.

^١ انظر الطبري، جامع البيان ١٢ / ٥٩٢ وابن كثير ٤ / ٦٦٢.

^٢ انظر الطبري، جامع البيان ١٢ / ٥٩٢ وابن كثير ٤ / ٦٦٢.

^٣ ابن القيم، التبيان ١ / ٢٤

^٤ المصدر نفسه ١ / ٢٤

قلت: تأويل كلام الله جلا وعلا لا يجوز أن يحمل إلا على المؤلف من استعمالات القرآن و إن مادة (شرح) والشرح وردت في القرآن في عدد من المواضع، وما جاءت في موضع من هذه المواضع بمعنى الشق الذي يذهب إليه بعض المفسرين.

فموسى عليه الصلاة والسلام يقول: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)) سورة طه، والله جلا وعلا يقول: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)) سورة الأنعام ، ويقول الله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)) سورة الزمر ، وهذه الآية: (ألم نشرح لك صدرك) ففي جميع استعمالات القرآن لمادة (شرح) لم تأت بمعنى الشق وإنما للدلالة على هذه الطمأنينة التي تكشف عن سعة الصدر واطمئنان الإنسان للطريق الذي هو فيه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي هذا الموضوع أجمل ما قد تم بيانه في ثنايا البحث، فهذه أهم نتائج البحث والتوصيات.

نتائج الدراسة :

تبين من هذه الدراسة الأمور التالية:

٠١ تبين أن العُرف القرآني له أنواع متعددة :

أولاً: من جهة كونه في لفظ مخصوص أو لا يتقيد بلفظ يتنوع إلى نوعين

أحدهما: في عُرف الألفاظ. والثاني عُرف الأساليب.

وثانياً: من جهة الاطراد وعدمه: يتنوع إلى نوعين: أحدهما العُرف الغالب

والثاني العُرف المطرد.

٠٢ تبين أن العُرف القرآني له شرطان:

الأول: أن تكون عادة قرآنية مطردة أو غالبية.

والثاني: أن يكون عُرف من جهة القرآن الكريم لا من جهة اللغة العربية.

٠٣ تبين أن طريقة استخراج العُرف القرآني من القرآن نفسه أمر ليس بالهين بل

من أصعب الأمور فهو بحاجة إلى علم غزير في جانبين الأول: العلم الدقيق باللغة

العربية ومعهود استعمالها في الألفاظ والأساليب.

والثاني: الإحاطة والتدبر في القرآن الكريم فالأمر يتطلب إطالة النظر في جميع الآيات الواردة في اللفظ الواحد أو الأسلوب الواحد للوقوف على عادة القرآن فيه، لذا فإن استخراج العُرف القرآني موكل بالعلماء والمفسرين أولي الخبرة والعلم الغزير.

٤٠. بالنسبة لعلاقة مصطلح القرآن بالمصطلحات ذات الصلة:

أ. إن مصطلح (عُرِف القرآن) ومصطلح (عادات القرآن) من الألفاظ المترادفة ويستعمل كل لفظ مكان الآخر في كلام أهل العلم.

ب. هناك مصطلحات ذات صلة بعُرف القرآن وهي العُرف الشرعي ومصطلح القرآن ومبتكرات القرآن وكليات القرآن وهذه المصطلحات ليست من المصطلحات المترادفة لعُرف القرآن بل تتداخل معه ولكل مصطلح وجهته، أما يندرج تحت هذه المصطلحات من الفاظ ويحقق شروط العُرف القرآني فهو من عرف القرآن، وإلا فليس منه وإن كان من هذه المصطلحات.

٥٠. تبين أن هذا النوع من المعرفة القرآنية يعد على رأس قواعد التفسير ولا ينبغي لمن تصدى للتفسير إلا أن يحيط بهذا النوع من المعرفة وأن يطيل النظر فيه، كما تبين أن الفوائد العملية لهذا النوع من التفسير كثيرة الجوانب منها إظهار بلاغة القرآن وإعجازه وبيان فائدته في مناسبات ترتيب آيات القرآن واستخراج النكت البلاغية وما يترتب عليها من معارف وعلوم. وقد خصت الدراسة واحدا منها بفصل مستقل لأهميته وارتباطه الوثيق بمعاني القرآن وتفسيره إلا وهو قضية الترجيح الدلالي بين أقوال المفسرين، وقت حوت الدراسة على واحد و خمسين موضعا في القرآن تم دراسة الترجيح بين أقوال المفسرين باعتماد عُرِف القرآن في استعمال الألفاظ والأساليب.

٥٦. تبين بعد دراسة الموضوع أن عرف القرآن وعاداته يمكن أن يعد علما قائما برأسه من علوم القرآن، وبما أن العلم يتحدد ببيان عشرة أمور هي حده وموضوعه وواضعه واستمداده واسمه وحكمه ومسائله ونسبته وفائدته وغايته فهنا تلخيص لذلك:

أولاً: حده: هو علم يعرف به الخصوصيات التي جرت بها عادات القرآن الكريم في استعمال بعض الألفاظ بمعان معينة، وبعض الأساليب بطرق خاصة.

ثانياً: موضوعه: ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه، من حيث اختصاص القرآن ببعضها بعرف معين غير ما تعارف عليه اللغويون والبلاغيون.

ثالثاً: واصله: جهابذة العلماء والمفسرين ممن لهم النظر والاجتهاد في بيان أي القرآن بحسب البراهين الشرعية، والطاقة البشرية.

رابعاً: استمداده: مصادر استمداده من أقوال الصحابة وتابعيهم وجهابذة المشتغلين بعلوم القرآن وتفسيره.

خامساً: اسمه: علم معرفة عرف القرآن في الألفاظ والمعاني والأساليب وما يترتب على هذه المعرفة من الترجيح الدلالي للمفسرين الفقهاء أو الفقهاء المفسرين.

سادساً: حكمه: الوجوب الكفائي على العموم والعيني عند اللزوم.

سابعاً: مسأله: آيات القرآن الكريم من حيث النظر المحرر في التعرف على عادة القرآن وأعرافه في إيراد اللفظ على معنى يقصده القرآن الكريم على وجه بعينه أو أسلوب بذاته على وجه كلي أو جزئي.

ثامناً: نسبته: من أفضل العلوم الشرعية لصلته بكتاب الله تعالى والبحث عن مراده بحسب الطاقة البشرية.

تاسعا: فائدته: فوائد كثيرة عديدة أهمها: الاحتراز عن الجهل بما تضمنه كتاب الله فيما تعورف عليه من إيراد جملة من ألفاظه على نحو مخصوص وأسلوب مميز مقصود.

عاشرا: غايته: الفوز بسعادة الدنيا والدين، أما الدنيا: فبامتثال أوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والحث على طلب العلم لفرضيته. وأما الآخرة: فبالجنة التي وعد الله بها عباده المحافظين على كتاب ربهم وسنة نبيهم.

التوصيات:

٠١ أوصي ان تتابع الدراسة في هذا الشأن من قبل الباحثين في الدراسات العليا، فقد نبهت الدراسة منذ بدايتها في عرض منهج الدراسة ان هذه الدراسة ليس من شأنها الحصر التام لما في القرآن الكريم من عادات في استعمال الألفاظ أو الأساليب، فهذا الأمر تقنى فيه الأعمار ولا ينتهي، وإنما كان غرض الدراسة إظهار أهمية هذا النوع من المعرفة القرآنية المهمة جدا في التفسير والترجيح، وبيان الضوابط المهمة في ذلك، والإكثار من الأمثلة كل ذلك ليكون نبراسا ومنهجاً يهتدى به في تفسير القرآن الكريم. ومن هنا اقترح ان تجتزئ الدراسات القادمة طائفة من هذه العادات يجمعها رابط وتدرس بعد ذلك في القرآن دراسة إحصائية كاملة ويتم استخراج الفوائد المترتبة على ذلك.

٠٢ أوصي ان يُضم هذا اللون من التفسير أو العلم إلى علوم القرآن وأن يذكر في باب مستقل تحت عنوان عادات القرآن وعُرفه.

وبعد: فإن هذه الدراسة التي ابتغيت بها وجه الله تعالى ثم استكمال برنامج الدكتوراه، فاني ارجوا ان أكون قد وفقت في البحث ووفيت الموضوع حقه من العرض والتحليل والموضوعية وأمانة النقل والتوصل إلى النتائج المترتبة على الدراسة، وقد بذلت الجهد والجهيد في ذلك وقمت بمحاولة قد تكون الأولى في بابها، والي أسأل الله تعالى ان يكتب لهذا الجهد والعمل القبول والتوفيق فان أصابه التوفيق فبفضل الله تعالى ورحمته وان كان غير ذلك فالخطأ سمة البشر اسأل الله تعالى الغفران.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه

أجمعين.

فهرس المصادر و المراجع

وهذه قائمة بكل مرجع اعتمدت عليه في هذا البحث، ولقد جاء ترتيب المراجع حسب تسلسل الحروف الهجائية، وقد أهملت من الحسبة (الألف واللام التعريفية و

ابن وبنث و أبو).

* إبراهيم، محمد إسماعيل،

- القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي ودار الثقافة العربية للطباعة. ص

.٤٥

* أفندي، علي حيدر الحنفي،

- درر الحكّام شرح مجلّة الأحكام ، دار الجليل

* الألباني، محمد ناصر الدين ،

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف

الرياض ط ٥ ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- صحيح سنن ابن ماجه، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ٣

١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف - الرياض، لطبعة: الخامسة.

- صحيح سنن الترمذي، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ١ ٠٨

١٤ هـ / ١٩٨٨ م.

- صحيح الجامع المكتب الإسلامي ط ٣ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

* ابن الأثير الجزري ، مجد الدين المبارك بن محمد ٦٠٦هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطنحاني،

المكتبة الإسلامية.

* الأزهري، منصور محمد بن أحمد ٣٧٠ هـ،

- تهذيب اللغة ، تحقيق: مجموعة من الباحثين دار المصرية للتأليف والترجمة.

* الاسنوي، عبد الرحيم بن حسن ،

- التمهيد في تخریج الفروع على الأصول، مؤسسة الرسالة بيروت / ط١، ١٤٠٠

تحقيق د. محمد حسن هيتو ص

* الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ٤٣٠ هـ،

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ط ٧

١٤٠٠ هـ.

* الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ١٢٧٠ هـ ، روح المعاني في

تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٤

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

* الامدي، أبو الحسن علي بن محمد،

- الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤، تحقيق د. سيد

الجميل

* ابن الأباري، محمد بن القاسم ٣٢٧ هـ،

- الأضداد ، تحقيق: محمل أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا

بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

* باز مول، محمد عمر،

- الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية:، ط ١ / ١٤١٥ هـ، دار
الهجرة - الرياض.

* البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين،

- كشف الأسرار عن أصول فخري الدين

* البخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦ هـ -

- صحيح الإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا، توزيع مكتبة العلم
بالسعودية.

* البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ٥١٦ هـ -

- معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدا لله النمر، عثمان جمعه ، سليمان مسلم الحرش ،
دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩ هـ.

* البقاعي، أبو الحسن إبراهيم عمر، ٨٨٥ هـ -

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م

* البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد القاضي ٦٩١ هـ -

- أنوار التنزيل وحقائق التأويل، تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية بتركيا دار
صادر.

* البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ٤٥٨ هـ -

- شعب الأيمان تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية
بيروت لبنان ط ١ ١٤١٠ هـ.

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٧٩ هـ ،

- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، حققه وصححه: عبد الوهاب عبد اللطيف دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط ٢ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

* ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ٧٢٨ هـ ،

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب

الجديد، لبنان ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.

- الإيمان، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)، تحقيق: د. محمد السيد الجليلند

مؤسسة علوم القرآن - دمشق الطبعة الثانية، ١٤٠٤

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد

القاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦ هـ /

١٩٩٥ م.

- مقدمة في أصول التفسير ط ٢ مؤسسة الرسالة - بيروت

- منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، ط ٢

، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

* الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف،

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان.

* الثعالبي، أحمد بن محمد ٤٢٧ هـ ،

- الكشف والبيان - تفسير الثعالبي، دراسة وتحقيق: أبي محمد بن عاشور طبعة دار

إحياء التراث العربي، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ .

* الجاحظ، عثمان عمرو بن بحر،

- البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي - بيروت الطبعة الأولى،

١٩٦٨.

* الجديع، عبد الله يوسف،

- تيسير علم أصول الفقه، ط ١/١٨٤١ هـ، توزيع مؤسسة الريان - بيروت.

* الجرجاني، علي بن محمد،

- التعريفات ت ٨١٦ هـ تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

* الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي ٣٧٠ هـ،

- أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، طبعة مصورة عن الطبعة

الأولى في مطابع الأوقاف الإعلامية في دار الخلافة ١٣٣٥ هـ

* ابن جني، أبو الفتح عثمان،

- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتاب العربي بيروت.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ٥٩٧ هـ،

- زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي ط ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

* الجوهري، إسماعيل حماد ٣٩٣ هـ،

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبدا الغفور عطار دار العلم

للملايين لبنان ط ٤ ٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

* ابن أبي حاتم ٣٢٧ هـ،

- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب مكتبة نزار الباز مكة المكرمة ط ١

٤١٧ هـ.

* الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٤٠٥ هـ - -

- المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ٧٤٨ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

* ابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، -

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣

* ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ٨٥٢ هـ -

- تغليق التعليق على صحيح البخاري، دراسة وتحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي
المكتب الإسلامي دار عمار ط ١ ٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث القاهرة ط ٢ ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

* الحري، د. حسين علي،

- قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، دار القاسم، الرياض، ط ١
١٧، ١٤٠٥ هـ / ١٩٩٦ م.

* الحري، حسن،

- الكليات الشرعية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، المغرب.

* حسن، العباس،

- النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط ٧.

* الحفناوي، محمد،

- التعارض والترجيح. دار الفكر، بيروت.

* ابن حنبل، الإمام أحمد الشيباني الأصبحي ت ٢٤١هـ ،

- الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق عبد الرحمن عميره الرياض دار اللواء

ط ٢ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة

* الحنفي، ابن أبي العز ٧٩٢ هـ ،

- شرح العقيدة الطحاوية ، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني المكتب

الإسلامي ط ٩ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

* أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ٧٤٥ هـ،

- البحر المحيط، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١

١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير مجنوب المكتب

الإسلامي بيروت ط ٢ ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م.

* حيدر مختار محمود،

- المناسبات القرآنية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر بيروت

ص ٣٤٢ .

* الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ٧٢٥ هـ،

- لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبطه وصححه: السلام شاهين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

* خان، صديق حسن ١٣٠٩ هـ،

فتح البيان في مقاصد القرآن ، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري طبعة إحياء
التراث الإسلامي قطر ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.

* خضر حسين، محمد،

- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، دار الفكر * خلاف، خلاف، عبد

الوهاب،

- علم أصول الفقه، دار الفكر، بيروت.

الخياط، عبد العزيز،

- نظرية العرف، دار الفكر بيروت

* الدامغاني أبو عبد الله الحسين بن محمد ٤٧٨ هـ ،

- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، حققه وقدم له محمد حسن أبو العزم

الزفيتي القاهرة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

ابن دقيق العيد، أبو الفتوح ،

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتاب العربي بيروت

* الرازي، أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر،

- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان بيروت الطبعة طبعة جديدة،

١٩٩٥ - ١٤١٥

* رضا دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ٣٢١ هـ ،

- جمهرة اللغة ، دار صادر.

* رضا، محمد رشيد،

- تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
لبنان.

* الراغب الأصفهاني، ٥٠٢ هـ،

- مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، دمشق، الدار
الشامية ، بيروت ، ط ٢ ، ٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

* الرافعي، مصطفى صادق،

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

* الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ٣١١ هـ،

- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب ، ط ١ ،
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

* الزحيلي د. وهبة،

- أصول الفقه الإسلامي، دار المعرفة بيروت.

* الزرقا مصطفى أحمد،

المدخل الفقهي العام، بيروت.

* الزرقاني، محمد عبد العظيم،

- مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، دار الكتاب العربي،
بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

* الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ٧٩٤ هـ ،

- إعلام الساجد بأحكام المساجد، قدم له واعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

- البحر المحيط في أصول الفقه ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بالكويت ط ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.

- البرهان في علوم القرآن، ت ٧٩٤ هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار

الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

- المنثور في القواعد، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية - الكويت الطبعة الثانية، ١٤٠٥

* الزلمي، مصطفى،

- أسباب اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية، بغداد.

* الزمخشري، جار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ،

أسا

س البلاغة، طبعة دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠

- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ، رتبته

وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١

، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

زيدان، عبد الكريم،

- الوجيز في أصول الفقه، مكتبة القدس.

* الزيلي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي،

- نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، مع الكتاب: حاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلي، دار الحديث - مصر، ١٣٥٧

* السبكي، علي بن عبد الكافي،

- الإيهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ تحقيق: جماعة من العلماء.

* السجستاني، سليمان بن الأشعث، ٢٧٥ هـ،

- سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر مكتبة الرياض الحديثة.

* السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد،

- أصول السرخسي، تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٧٢

* السعدي، عبد الرحمن ١٣٧٦ هـ،

- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة ١٤٠٤ هـ.

* أبو السعود العمادي، محمد بن محمد ٩٥١ هـ،

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* سعيد بن منصور ت ٢٢٧ هـ،

- سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: د. سعد عبد الله آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

* ابن سلام أبو عبيد، القاسم ،

- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه ، تحقيق احمد عبد الواحد الخياطي طبعة وزارة

الأوقاف بالمغرب ١٩٩٥ م

* السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر ٤٨٩ هـ ،

- تفسير القرآن تحقيق: أبي تميم ياسر إبراهيم وأبي بلال غنيم عباس غنيم، دار

الوطن ء ط ١ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

* السمين الحلبي ، أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد ٧٥٦ هـ ، -

- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق وتعليق: علي محمد معوض

عادل أحمد عبد الموجود جاد مخلوف جاد زكريا عبد المجيد النوتوي دار

الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م توزيع: مكتبة الباز

مكة المكرمة.

أبو سنة، أحمد فهمي،

- العُرف والعادة في رأي الفقهاء، مطبعة الأزهر، ١٩٤١، ص ٨.

* ابن سيده، علي بن إسماعيل ٤٥٨ هـ،

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، تحقيق: مجموعة من الباحثين ، دار الكتاب

الإسلامي القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م.

* السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ ،

- الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، الكاتب، دار الكتب

العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

- الإنتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ء لبنان، ط ٢، ١١ ١٤

هـ ١٩٩١ م.

- التحرير في علم التفسير، تحقيق فتحي عبد القادر فريد دار العلوم للطباعة والنشر ط ١ ١٩٨٢ م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

معتزك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي.

* بنت الشاطي، د/ عائشة،

- التفسير البياني للقران الكريم، دار المعارف الطبعة الرابعة.

* الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ٧٩٠هـ ،

- الموافقات ، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن سلمان ، دار ابن عفان ، ط ١.

١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

* الشافعي، الإمام محمد بن إدريس،

- الأم، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢١هـ الدار المصرية للترجمة والتأليف.

* شلبي، محمد مصطفى ،

- أصول الفقه الإسلامي ، دار الفكر، بيروت.

* الشنقيطي، محمد الأمين ١٣٩٣ هـ ،

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ / محمد عبد

العزیز الخالدي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ١ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

* الشوكاني، محمد بن علي ، ١٢٥٠ هـ ،

- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد سعيد البدري ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الأولى ١٤١٢ هـ (٣٣ / ١)

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، حققه وخرج أحاديثه:

د. عبدالرحمن عميرة دار الوفاء، ط ١ ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

* ابن أبي شيبه الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد ،

- المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، كتبة الرشد -

الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٩

* الشيرازي، أبو اسحق إبراهيم بن علي،

- اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ

* الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام ٢١١ هـ،

- المصنف ، ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي توزيع المكتب الإسلامي ط ٢ ،

١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

* الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ٣٦٠ هـ ،

- المعجم الأوسط ، تحقيق: د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ،

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة

بالعراق، ط ٢

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ٣١٠ هـ،

- جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

* الطحاوي، أبو جعفر ٣٢١ هـ،

- شرح معاني الآثار، حققه وصححه: محمد زهري النجار دار الكتب العلمية

لبنان ط ٢ ٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

طنطاوي د. محمد السيد،

- التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية - بيروت ج ١٤ / ص ١٨٨

1 المصدر نفسه ٢ / ٢٥٦.

* الطيّار، د. مساعد،

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، دار ابن الجوزي، ط ١ ١٤٢٢ هـ.

- فصول في أصول التفسير، دار النشر الدولي للنشر و والتوزيع الرياض ، ط ١

٤٦٣ هـ / ١٩٩٣ م.

* ابن عابدين،

- نشر العُرف مجموعة رسائل ابن عابدين، دار المعرفة بيروت.

* ابن عاشور،

- محمد بن الطاهر ١٣٩٣ هـ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م.

* العاملی، زين الدين بن علي،

- الروضة البهية في شرح الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، دار العالم

الإسلامي بيروت.

* عباس، حسن فضل،

- إعجاز القرآن الكريم، دار البشير ص ٧٦١.

* ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، ٤٦٣ هـ، -

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد تحقيق: مصطفى العلوي محمد

البكري ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

* ابن عبد السلام، العز ،

- قواعد الأحكام، دار الكتب العلمية بيروت

* العبيد، د. علي سليمان،

- تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ، مكتبة التوبة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

* العثيمين ، محمد الصالح،

- شرح العقيدة الواسطية، دار العلوم السلفية المملكة العربية السعودية

* العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني ،

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، دار

الكتب المصرية.

* ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف، ٥٤٣ هـ ، -

- أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي دار الفكر.

* العسكري، أبو هلال الحسن ٤٠٠ هـ،

- الفروق اللغوية ، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود منشورات محمد

علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

* ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق، ٥٤٦ هـ،

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق مجموعة من الباحثين ، الطبعة

القطرية، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م.

* عكاوي، د. إنعام ،

- معجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب ضمن سلسلة الخزانة اللغوية ط دار

الكتب العلمية

* أبو عودة، عودة،

- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار

الأردن ط ١ ١٩٨٥ م، ص ٣٤٦.

* عياض، القاضي،

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى تحقيق علي محمد البجاوي ط الباب الحلبي ١٩٧٧ م (

١ / ٢٨).

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد،

- جواهر القرآن، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم - بيروت

الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ج ١ ص ٤٤.

- قواعد العقائد مع الكتاب: تخريج الحافظ العراقي، من كتاب إحياء علوم الدين ج ١

ص ٤٧.

- المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب

العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٣

* ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن الحسين الصاحبى ٣٩٥هـ ، -

- معجم مقاييس اللغة ، ، ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى

البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ / ٩٧٠ م.

* فخر الدين الرازي، محمد بن عمر ٦٠٦ هـ،

- التفسير الكبير، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

* الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ،

- معاني القرآن ، تحقيق: محمد النجار، الدار المصرية للتأليف و الترجمة.

* الفرهيدي الخليل بن أحمد ١٧٥ هـ ،

- العين ، تحقيق: مجموعة من الباحثين منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

ط ٢ ٨ ٤٠ هـ - ١٩٨٨ م.

* الفرهي ، عبد الحميد الهندي ،

- تفسير نظام القرآن و تاويل الفرقان بالفرقان ، الدائرة الحميدية سراتي مير اعظم

كره الهند ط ١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

* الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ ،

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المكتبة العلمية بيروت لبنان.

* الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ٧٧٠ هـ،

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ، المكتبة العلمية ، بيروت.

* القاسمي، محمد جمال الدين ١٣٣٢ هـ،

- محاسن التأويل = تفسير القاسمي -، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج

آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر،

بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

* القاضي، محمد مختار،

- الرأي في الفقه الإسلامي دار الكتب العلمية بيروت

* ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢٧٦هـ ،

- تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره: أحمد صقر المكتبة العلمية.

* القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس،

- الفروق، دار عالم الكتاب بيروت

* القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ٦٧١ هـ ،

- الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة التاريخ العربي، طبعة دار إحياء التراث العربي

بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

* القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري ٢٦١ هـ،

- صحيح الإمام مسلم ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع استانبول

تركيا، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي.

* ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ٧٥١هـ

- أحكام أهل الذمة، ٧٥١ هـ، حققه وعلق حواشيه: د. صبحي.

* الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤٠١ هـ _ ١٩٨١م.

- أعلام الموقعين عن رب العالمين، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد،

دار الجيل، بيروت ١٩٧٣ م.

- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي،

دار المعرفة بيروت لبنان.

- بدائع الفوائد، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: معروف مصطفى زريق محمد

وهبي سليمان علي عبد الحميد بلطه جي توزيع: دار الخاني، دار الخير ط ١

١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

- التبيان في أقسام القرآن، صححه وعلق عليه: الشيخ / طه يوسف شاهين ٠٢

١٤ هـ / ١٩٨٢ م.

- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، دار الكتب العلمية بيروت

لبنان ط ١ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

- زاد المهاجر إلى ربه تحقيق: د. محمد جميل غازي مكتبة المدني - جدة

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل دار الكتب العلمية

بيروت لبنان ط ٣

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

وقدم له: د. علي محمد الدخيل الله دار العاصمة الرياض النشرة الأولى

١٤٠٨ هـ.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تحقيق: سيد إبراهيم بن صادق بن عمران

دار الحديث القاهرة ١٩٩١ م. قى- ابن القسيم ٧٥١ هـ - عدة

الصابرين، شرح ومراجعة سعيد اللحام دار الفكر اللبناني بيروت لبنان.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ٧٥١ هـ، تحقيق

وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، ط ١ ،

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

- مفتاح دار السعادة ومنشور الراية أهل العلم والإرادة ٧٥١ هـ، تحقيق: علي

بن حسن علي عبد الحميد الحلبي، دار ابن عفان، ط ١، ٤١٦ هـ، / ١٩٩٦ م.

* الكاساني، أبو بكر بن سعود،

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٩٧ م

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو ٧٧٤ هـ،

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت ٢٨١/١٠،

- تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم بيروت ط ١ ١٤١٩ هـ.

* الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، ١٠٩٤ هـ،

- الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق: د. عنان درويش -

محمد المصري مؤسسة الرسالة ، ط ٢، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

* ابن ماجه القزويني ، عبد الله محمد بن يزيد ٢٧٣ هـ،

- سنن ابن ماجه، بحاشية السندي، إشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز

آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع توزيع جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس

الوطني ط ٢ ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

* مالك، الإمام مالك بن أنس الأصبحي، ١٧٩ هـ،

- المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التتوخي عن الإمام عبد الرحمن

بن قاسم ، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان.

* الماوردي أبو الحسن محلي بن محمد بن حبيب ٤٥٠ هـ ، -

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزلي ،

تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

* الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠ هـ، -

- النكت والعيون = تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود عبد

الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

* مختار، د أحمد عمر،

- دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، عالم الكتب ط ١ ٢٠٠١

* معمر بن المثنى، أبو عبيدة ٢٠٧ هـ.

- مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة

الرسالة، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.

* مقاتل بن سليمان البلخي ١٥٠ هـ ،

- الأشباه والنظائر، دراسة وتحقيق: د. عبد الله شحاته، الهيئة المصرية العامة

للكتاب: ط ٢ ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

- تفسير مقاتل، دراسة وتحقيق: د. عبد الله شحاته الهيئة المصرية العامة

للكتاب ١٩٨٩ م.

* المقدسي أبو أحمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، ٦٢٠ هـ ،

- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل،

قدم له وعلق عليه: د. محمد بكر إسماعيل مكتبة العلوم والحكم المدينة

المنورة.

-المغني، تحقيق: د. عبد الله التركي، د. عبد الفتاح الحلوي، توزيع وزارة الشؤون

الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة، دار عالم الكتب ، الرياض، ط

٣ ، ٤١٧ هـ / ٩٩٧ م.

* مكى بن أبي طالب أبو محمد،

- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، تحقيق

أحمد حسن فرحات ط دار المنار جدة الأولى ١٤٠٦ هـ.

* الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد ٣٧٧هـ

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، هـ تحقيق: يمان سعد الدين الميادين

الناشر: رمادي للنشر ط ١ ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م.

* المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار

الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧

* النجار زغلول

- موسوعة الإعجاز العلمي، دار الكتب العلمية بيروت

* النجار، عبد المجيد

- مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم، بيروت

* ابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى الحنبلى

- شرح الكوكب المنير، ت ٩٧٢ هـ تحقيق: د. محمد الزحيلي و د. نزيه

حماد، مكتبة العبيكان ١٤١٣ هـ ٩٩٣ م

* ابن نجيم

- الأشباه والنظائر وبحاشيته نزهة النواظر على الأشباه والنواظر لابن عابدين

تحقيق محمد مطيع الحافظ ط دار الفكر دمشق الأولى ١٤٠٣

* النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ٣٣٨ هـ

- إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة

العربية، ط ٢ ١٤١٥ هـ ١٩٨٥ م.

* النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ٣٠٣ هـ ،

- السنن الكبرى ، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن دار

الكتب العلمية بيروت ط ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

- سنن النسائي الصغرى، دار السلام للنشر والتوزيع ط ٢ ١٤٢١ هـ

٢٠٠٠ م.

* النسفي، أبو البركات عبد الله ٧٠١ هـ،

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، دار الفكر.

* أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن محمد،

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠ للهجرة.

* النووي، يحيى بن شرف ٦٧٧ هـ ،

- شرح النووي لصحيح الإمام مسلم، ضبط نصه ورقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد

عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط ١ ٤١٥ هـ ٩٩٥ م.

* الهيثمي علي بن أحمد بن أبي بكر، ٨٠٧ هـ

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢ هـ /

١٩٨٢ م.

* الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ٤٦٨ هـ،

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: مجموعة من الباحثين دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى القاسمي،

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد،

دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية.

Abstract

Quranic Convention And Its Well – Known Meanings,

Usages And Effect On Denotative Probability

(An Authenticating Applied Study)

Definition of the research topic

Research talks about one of the explanation topics which is the privacy of the Koran word using rather than meanings as well as structures and methods and manner of dealing with the presentation of issues and topics like jurisprudence and the way of dialogue and communication and other topics .

The importance of research

To study the Koran discerning has a big role in the understanding of the quranic meanings accurately with the greatest impact to know the trunks of the Koran and and knowing its rhetorical secrets, as well as its active role in the overbalancing between explainers statements.

Writing reasons:

this kind of topics was not under care ,and no comprehensive books have been written to collect its parts and link them together. its not new matter and it is published in the explanations books and the statements of the scholars in addition of different science books. this research has been created to provide the islamic liorq+¥ of this kind of quranic knowledge.

Divisions of the research:

this research was divided into five sections Chapter I, in which:

- Definition of the Koran custom.
- Quranic custom extraction method
- The benefits of knowing and studying the Koran custom.

Chapter II: Koranic custom in the use of terms rather than meanings.

Chapter III: Koranic custom in the use of methods

Chapter IV: The role of the Quran in vitrification between explainers statements.

the research results:

1 - this research didnt cover all habits and costumes in the Koran ,because this achievment cant be done by anyone., but it was created as explanatory models or a Platform to light for those who seek to reach this science.

2 - many quranic aspects have been covered , rhetorical and miraculous which cant be achieved without the study of quranic custom.